

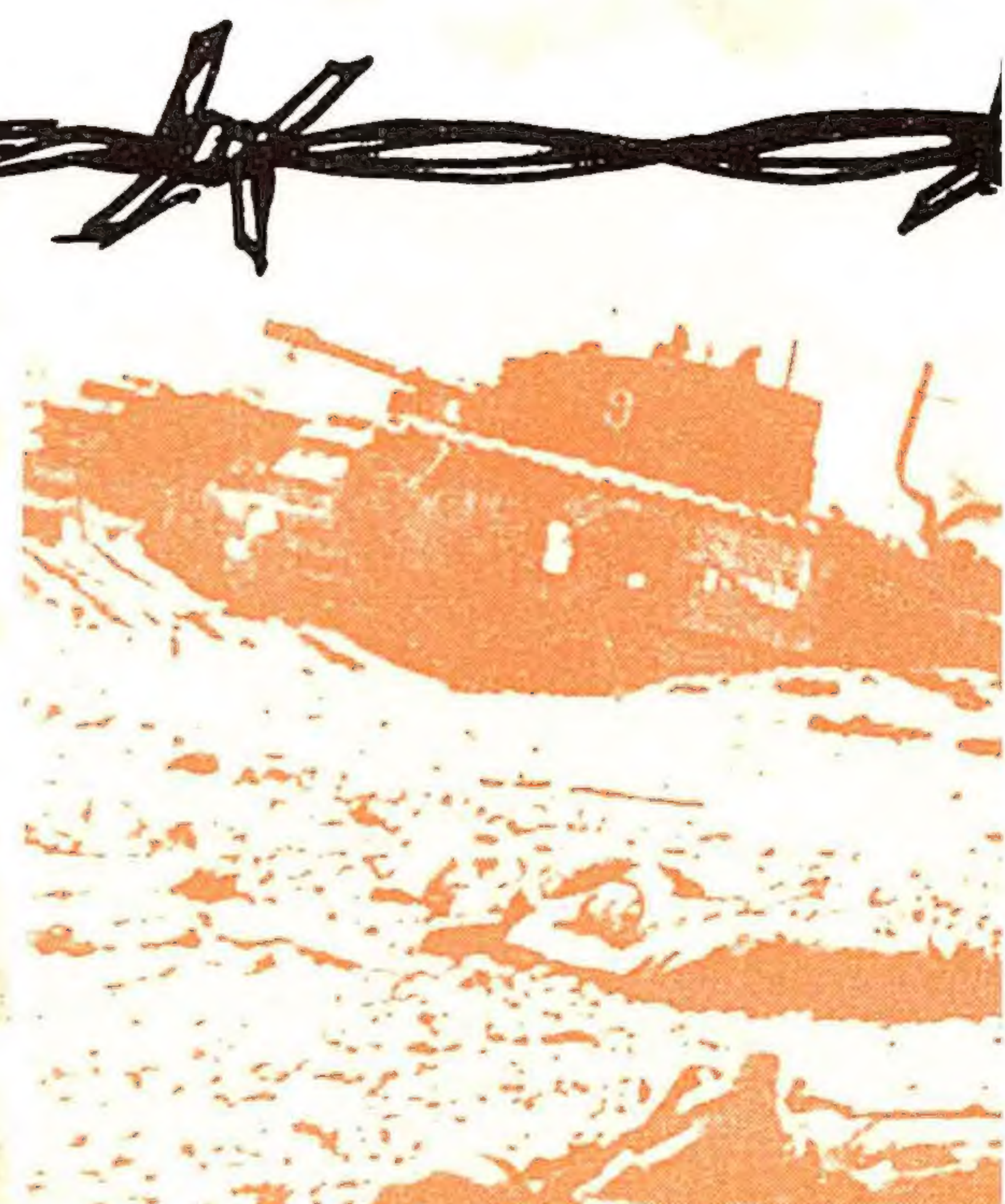
مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

٤

مونتغومري



بسّام العسلي



دار النفائس

(٤)

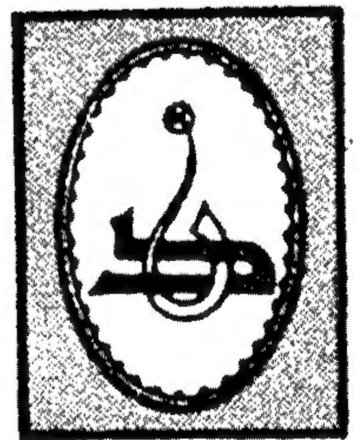
مشاهير قادة الحرب العالمية الثانية



مونتغومري

بسّام العسليّ

دار النفائس



دار النفائس
للطباعة والنشر والتوزيع
شارع فردان - بناية الصباح
وصفي الدين - ص.ب ١٤/٥١٥٢
برقياً: دانفايسكو - ت ٨١٠١٩٤
أو ٨٦١٣٦٧ بيروت - لبنان

الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الوجيز في حياة مونتغومري
١٨٨٧ - ١٩٧٦

١٨٨٧ ولادة مونتغومري في لندن ، وانتقاله مع أهله في السنة ذاتها إلى تاسمانيا بأوستراليا.

١٩٠١ عودته مع أهله إلى لندن وقد أنهى دراسته الابتدائية.

١٩٠٦ حصوله على الثانوية، والتحاقه بالكلية العسكرية (ساندهورست) .

١٩٠٨ تخرجه من الكلية العسكرية، برتبة ملازم، ونقله إلى لواء - ووركشاير - على الحدود الشمالية الغربية للهند، وتعلمه للغة الهندية حتى الاتقان.

١٩١٥ نقله إلى الجبهة الغربية، وإصابته مرتين بجراح، ومنحه عدداً من الأوسمة.

١٩٣٤ تعيينه مدرساً في كلية أركان حرب - في كامبرلي - .

١٩٣٥ تعيينه برتبة مقدم (كولونيل) في بلوخستان - بالهند - .

١٩٣٧ إعادته إلى إنكلترا، وتعيينه قائداً للواء المشاة التاسع.

١٩٣٨ تعيينه قائداً لإحدى الفرق البريطانية التي اشتركت في قمع الثورة الفلسطينية.

١٩٣٩ نقله إلى فرنسا وتعيينه قائداً للفرقة البريطانية الثانية،

واشتراكه في معركة دونكرك.

١٩٤٠ تعيينه قائداً للقوات البريطانية في جنوب إنكلترا.

١٩٤٢ تعيينه قائداً للجيش الثامن في أفريقية، وانتصاره على روMل في معركة علم حلفا ثم في العلمين.

١٩٤٣ قيامه باختراق خطوط دفاع رومل في (ماريت) وتوغله في تونس.

١٩٤٣ قيادته للجيش الثامن في الهجوم على صقلية، ثم على إيطاليا.

١٩٤٤ تعيينه لقيادة قوات الحلفاء البرية (الأرضية) في إنزال النورماندي.

١٩٤٤ تعيينه لقيادة مجموعة الجيوش ٢١ ، بعد نجاح عملية الإنزال.

١٩٤٥ قيادته لقوات الاحتلال البريطانية في ألمانيا المحتلة.

١٩٤٦ تعيينه عضواً في القيادة العليا لقوات الحلفاء.

١٩٥١ تعيينه قائداً أعلى لقوات الحلفاء في أوروبا (حلف شمال الأطلسي).

١٩٥٨ إحالته على التقاعد.

١٩٧٦ وفاته، وتشييعه باحتفال رسمي وشعبي.

مما قيل في مونتغومري (مونتي)

وصف رئيس الوزراء البريطاني تشرشل، الجنرال مونتغومري، بقوله:

« إن مونتغومري لا ينهزم أمام الهزائم، ولا يقهر وقت التقهقر، ولا يطاق وقت النصر ».

وكان مونتغومري قد خدم طويلاً تحت قيادة الجنرال ألكسندر الذي وصفه بقوله:

« عندما يتوافر لك قائد ممتاز فدعه وشأنه، إن كل ما كنت أفعله هو أن اذكر - لمونتي - ما أريده، ولا أزيد شيئاً، فيقوم هو بكل شيء حتى يكمل تنفيذ ما كنت أريده بدقة، ولم يحدث يوماً أن ساورني الشك أو القلق على نتيجة ما كنت أطلبه منه ».

وقال أيزنهاور دفاعاً عن مونتغومري:

« عندما بدأنا غزو صقلية، كان القائد العام للقوات البرية الجنرال ألكسندر، يرجو أن تتمكن قواتنا التي ستنزل شرق الجزيرة

من الاندفاع بسرعة نحو الشمال لاحتلال مضيق مسينا ، ومنع قوات المحور من الانسحاب . وبدأ مونتغومري بتنفيذ عملياته على الشاطىء الشرقي ، فحقق نجاحاً ، وظهر أن ما كان يرجوه ألكسندر قد يتحقق . ولكن ما إن وصل مونتغومري إلى خطوط الدفاع الطبيعية على سفوح جبل أثنه حتى وجد أن العدو قد وضع قوات ضخمة استطاعت أن توقف زحفه شمالاً ، واستطاعت القوات الألمانية والإيطالية من الوصول إلى مسينا قبل قواتنا . وتعرض مونتغومري نتيجة ذلك للانتقاد والتجريح ، لا سيما من قبل رجال الصحافة ورجال الطيران الذين اتهموه بشدة الحذر .

إن توجيه النقد هو عملية سهلة ، فمن يقوم بهجوم فاشل تثار الضجة حوله بأنه سفاح ، ومن يتحلى بالحيطة والحذر يتهمونه بالجبن ، وتفتقر مثل هذه الاتهامات دائماً إلى البراهين التي تدعمها . وفي زمن الحرب ، يجري الحكم على القائد من خلال إحصاء سجل المعارك التي خاضها ، وتتم المقارنة بين ما أحرزه من انتصارات وما تعرض له من الهزائم ، فإذا رجحت كفة انتصاراته ، تسجل له مهارته ، وصواب رأيه في تقويم الأمور ، ويتم الاعتراف له بكفاءته في إدارة الحرب . وعليه فإن الذين يوجهون اتهاماتهم ضد مونتغومري بأنه قصَّر في الوصول إلى هدفه ، يجب عليهم أن يعترفوا ـ على الأقل ـ بأنه لم يذق طعم الهزيمة في أية معركة قادها . وإني قد درست ما أحاط بمعركة (أثنه) من مضاعفات ، وعالجتها مع مونتغومري وألكسندر ،

وتبين لي أن أي هجوم على مواقع العدو، كان سيمنى بالفشل، هذا إذا وضعنا باعتبارنا ما كان بين أيدينا من موارد وإمكانات ـ في منتصف شهر تموز ـ يوليو ـ ١٩٤٣ ـ . ويجب أن نتذكر أن هنالك بوناً شاسعاً بين الحذر والجبن، وأن هناك فارقاً كبيراً ومميزاً بين الشجاعة والتهور».

وكان الجيش الثامن في حالة نفسية متدهورة يوم تولى مونتغومري قيادته . ولم تمض سوى فترة قصيرة حتى كان كل ضابط وجندي في هذا الجيش يردد :

« لقد أرسل الله لنا مونتغومري من السماء ، فبعث الجيش الثامن بعثاً جديداً ، فانقلبت به الهزيمة إلى نصر » .

مما قاله مونتغومري

كان مونتغومري قد تسلم قيادة الجيش الثـامن يوم ١٥ ـ آب ـ أغسـطس ـ ١٩٤٢ ، فمضى لإعادة تنـظيم هذا الجيش وإعـداده لمعركة العلمين الحاسمة .

وفي يوم ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢ ، وقبل ساعات من الانطلاق للهجوم ، وجه مونتغومري أمـره اليومي إلى القـوات ، وهو الأمر الذي تضمن ما يلي :

١ ـ أعلنتُ عندما استلمت قيادة الجيش الثامن بـأن المهمة الملقـاة على عاتقي تقضي بتدمير رومل وقواته ، وتنفيذ هذه المهمة فور إنهاء الاستعدادات لها .

٢ ـ أصبحنـا الآن ونحن على استعـداد للعمل . إن المعـركة التي سنخوضها ستكون إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ ، وهي تشكل نقطة التحول في هذه الحـرب . إن أنظار العـالم جميعه ترقبنا ، وينتظر العالم بقلق ليعرف لمصلحة أي طـرف ستدور دائرة القتال ، ولكننا نستطيـع إجابتـه منذ الآن بـأنها ستكون لمصلحتنا .

٣ ـ إننا نملك أفضل الأسلحة والمدرعات والمدافع ضد الدبابات ، ومدفعية متنوعة ضخمة ولدينا ذخائر بكميات مذهلة . ومعنا أفضل طيران في العالم وهو على استعداد لإنزال الضربة القاصمة بالعدو . وعلى كل واحد منا ، جندياً أو ضابطاً ، أن يتقدم إلى القتال بتصميم وعناد ، ماضياً حتى النهاية ، تحدوه إرادة القتال وعزيمة النصر . وإذا ما نهجنا جميعاً على هذا السبيل ، فإننا سنقهر العدو ، وسنطرده إلى خارج أفريقيا ، وبالتالي فإننا سنربح هذه الموقعة الجبارة التي ستكون نقطة التحول الحاسمة في هذه الحرب ، وعندها سنعود جميعاً إلى الوطن لنلتقي بأهلنا وعائلاتنا .

٤ ـ فليتقدم كل ضابط وجندي إلى القتال ، بقلب ثابت وعزيمة ماضية وإرادة جبارة ، لا تتراجع عن هدفها طالما بقي فيها دم ينبض . ويجب ألا يتوقف أحد أو يستسلم طالما بقي قادراً على التقدم ، وطالما لم تمنعه الجراح من متابعة القتال .

لنسأل الله القادر ، رب هذه الجيوش ، أن يمنحنا النصر .

وانتصر (مونتي) في العلمين ، وسئل عن العوامل أو المبادىء التي مهدت له سبيل النجاح فقال :

١ ـ كن بسيطاً في كل شيء .

٢ ـ إمنع المراسلات ، وعوِّد مرؤوسيك على العمل بالأوامر الشفهية والتعليمات المباشرة .

٣ ـ ادرس الروح المعنوية ، واعمل على رفعها ، واعلم أنها شيء عظيم في الحرب ، وبدونها لن تكسب شيئاً .

٤ ـ عندما يبدو الموقف غير مستقر في كفة الميزان ، اظهر منتهى الثقة في العمليات والخطط ، حتى لو كنت تشعر بعدم الطمأنينة تجاه نتائجها .

٥ ـ إنتخب رئيساً لهيئة أركان حربك ، تتوافر له صفة الحزم ، وسداد الرأي ، وحدد له الهدف ، وابتعد عن التفاصيل ، واتركها له .

٦ ـ وأخيراً ، دع الهموم جانباً ، وانظر بتفاؤل .

المقدمة

عاش حياته ، ودولته (بريطانيا العظمى) تعيش أوج عظمتها ، وذروة رفعتها ، وغاية قوتها وترفها وازدهارها . لقد كانت أمبراطورية لا تغرب عنها الشمس ، وأدرك بإحساسه الفطري ـ الغريزي ـ أن القوة ، والقوة وحدها ، هي العامل الأول فيما وصلته دولته . لقد كان طفلاً وهو في أوستراليا ، وشاهد فرقة من فرق الجيش وهي تقوم باستعراض مثير ، فانطبعت هذه الصورة في مخيلته ، ولم تفارقه أبداً ، حتى إذا ما بلغ مبلغ الشباب ، أقبل طوعاً على احتراف مهنة الجندية . ومضى يتدرج في مرتباتها ، ويتنقل في وحداتها ، مستمتعاً بحياة الإثارة التي ضمنتها له حرفته وهو يجوب أقطار الدنيا ما بين الهند وبلاده ـ مروراً بفلسطين ومصر ـ . وعرف تنوع الأقاليم ، واختلاف الأحوال المناخية ، وتباين العروق والأجناس ، وعرف كيف يتكيف مع التناقضات جميعها ، وكيف يتعلم من مدرسة الحياة ما لا يمكنه تعلمه على مقاعد الدراسة ، فجمع المعرفة النظرية إلى جانب التجربة العملية ، وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وبدأت التحولات المثيرة والحاسمة .

لقد كانت بريطانيا العظمى يومها ، تعتمد على نخبة من القادة الأكفاء في إدارة الأقاليم والبلاد التي تحكمها بواقع الاستعمار أو الوصاية والانتداب . وكان لها في كل إقليم رجالها الذين تمرسوا بإدارة الحرب والسلم . ولم يكن (ويفل) ولا (أوكنلك) ولا (ريتشي) من أقل هؤلاء القادة كفاءة واقتداراً . وكان من الصعب ـ لولا لعبة القدر ـ أن يقف مونتغومري نداً لهؤلاء أو منافساً لهم ، ولكنها ظروف الحرب ولعبة الحظ والقدر وضعت مونتغومري في مواجهة أخطر قائد أبرزته حرب الصحراء ـ رومل ـ . يومها ، كان المسرح الأفريقي يحتل المرتبة الأولى في اهتمام القيادة البريطانية ، فعملت على تعيين مونتغومري لقيادة الجيش الثامن الذي جعل من مصر قاعدة له ـ في حين كان الجيش التاسع ينتشر في فلسطين والأردن والعراق والشام ـ وكان الجيش الثامن قد تعرض لهزائم متتالية ولانتكاسات مريرة ، وصلت به إلى العلمين ومرسى مطروح ، غير بعيد عن الإسكندرية وقناة السويس .

لم يكن الجيش الثامن على كل حال يوم تسلمه مونتغومري في مثل حالة الضعف التي وصف بها ـ عن عمد ـ لإبراز دور مونتغومري ، ولكن كانت تنقصه الوسائط القتالية الحديثة ، وتنقصه القوات الاحتياطية ، ومع تعيين مونتغومري ، أخذت قوات الدعم في التدفق بصورة مذهلة . وسارع مونتغومري في مضمار العمل ، فأعاد تنظيم قواته ، وعالج نقاط ضعفها ، ودعم من مرتكزات قوتها ، وأكمل ما كان قد بدأ به أسلافه من إعداد

للمعركة الحاسمة ، حتى إذا ما انتهت الاستعدادات ، انطلق مونتغومري يجمع قوته ليضرب جيشاً استنزفت المعارك قدرته القتالية ، وأضعفت طول خطوط المواصلات - البحرية والبرية - إمداداته ووسائطه . ولكن ، وبالرغم من ذلك ، فقد كانت إدارة الحرب ضد عدو عنيد ومصمم على القتال ويمتلك خبرة قتالية عالية وروحاً معنوية صلبة ، كانت مثل إدارة الحرب هذه تحتاج إلى استخدام جيد للقوى والوسائط ، قدر حاجتها لتنظيم رائع . وكان مونتغومري هو رجل التنظيم الرائع ، ورجل إدارة الحرب الحازم ، فأمكن له انتزاع النصر ، ومضى من نصر إلى نصر عبر ثماني معارك رئيسة حاسمة ، حتى أمكن له دحر قوات المحور ، وتحقيق الاتصال مع القوات الأنكلوامريكية التي كانت قد نزلت في المغرب والجزائر ، والتي توافق إنزالها مع انطلاقة مونتغومري في هجوم العلمين . وإذن فقد كان انتصار مونتغومري هو ثمرة التفوق الكبير في القوى والوسائط ، وتفوق قوى جبهتين أطبقتا على رومل وقوات المحور ، كما تطبق الكماشة فكيها على ثمرة الجوز أو البندق .

ولكن ذلك لا ينتقص من كفاءة مونتغومري في شيء ، لقد عمل عندما تحول المد لمصلحة الحلفاء ، فكان من نصيبه أن يعيش مع هذا التحول .

ثم كان الإنزال في صقليا . وجابهت مونتغومري وجيشه الثامن صعوبات كبيرة . وهنا أيضاً عرف كيف يفيد من تنسيق التعاون مع الجيوش الأخرى - الأمريكية - لينتزع لنفسه ولجيشه انتصارات كبيرة .

وجاءت مرحلة الإعداد لاقتحام جدار الأطلسي (عملية أوفرلورد) وبرز مونتغومري من خلال وضع المخططات الدقيقة ، وإجراء التقديرات الصحيحة ، فأصبح موضع ثقة قائد قوات الغزو ايزنهاور ؛ وقاد بعدئذ قواته وشارك في اقتحام جدار الأطلسي .

كان مونتغومري يخوض معاركه في مفهوم (بريطانيا العظمى ، التي بات هو أحد قادتها) ولكن بريطانيا لم تعد عظمى ، وها هو ميزان التفوق بالقوى والوسائط يؤكد أن أمريكا هي التي باتت تمتلك مفاتيح التفوق . وكان من الصعب على مونتغومري الاعتراف للأمريكيين بتفوقهم ، مما خلق نوعاً من الشقاق بينه وبين القادة الأمريكيين .

وكانت رؤية مونتغومري للأمور تنطلق من خلال رؤيته لعالم ما بعد الحرب ، فكان يضع الهدف السياسي قبل هدف الحرب ، مثل ضرورة الانطلاق من إيطاليا شمالاً حتى يحرم السوفييت من السيطرة على أوروبا أو احتلال برلين . ولكن القرار السياسي لم يكن في قبضته ، ولا حتى في قبضة السياسيين ذاتهم - مثل تشرشل وروزفلت وحتى أيزنهاور - وكان ذلك بدوره سبباً في إثارة الانفعالات ضد مونتغومري . ثم بدأ بعدئذ بإدراك الواقع ، والتكيف معه ، عندما أصبح في قيادة قوات الحلفاء الغربيين ، ثم في قيادة حلف شمال الأطلسي . لقد عاش (مونتي) مع إشراقه شمس أمبراطوريته ، ثم عاش مع مرحلة كسوفها . وكما هرمت

الامبراطورية وشاخت فأفسحت المجال للدولتين العظميين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي) فكذلك هرم مونتغومري وشاخ . ولقد بلغ الواحدة والسبعين من عمره وهو لا زال يحتل منصباً قيادياً رفيعاً . وآن له أن يستريح .

لقد وهن العظم منه واشتعل الرأس شيباً ، فمضى لتسجيل تجربته في حياة الجندية ، وفيما رافق هذه الحياة من أحداث مثيرة ، وأمجاد رفيعة .

لقد كانت معركة العلمين هي أعظم معاركه ، ولقد مضى عليها ربع قرن من عمر الزمن ، وحمله الحنين لميدان نصره ، فحمل عكازه ، وحمل أعباء السنين على كاهله ، وجاء إلى مصر يستعيد ذكرياته ، وتجول بميدان العلمين . كم تغيرت الدنيا ، وكم هو تغير أيضاً ، ولم يبق له في هذه الحياة ما يستزيد به ، فليمض عن الدنيا في موعده مع قدره .

وغيبت الدنيا قائداً من قادتها ، واحتفظت له بأعماله وذكرياته ، لأن هذه تخص أهل الدنيا الراغبين في معرفة واستقراء كل تجربة من تجاربها .

بسام العسلي

« إذا سئل رجل بعد الحرب عما فعل
فسيكفيه أن يقول إنني سرت مع الجيش الثامن »

مونتغومري

الفَصْل الأوَّل

١ ـ الإنسان وقدره .
٢ ـ قيادة الجيش الثامن .
٣ ـ علم حلفا ـ نقطة التحول الحاسمة .
٤ ـ الإعداد للهجوم الكبير .
٥ ـ معركة العلمين .
٦ ـ استثمار النصر (المطاردة) .
٧ ـ معركة العقيلة .
٨ ـ الجيش الثامن في معركة تونس .

١ ـ الإنسان وقدره

ترى كم هو عدد المواليد الذين رأوا نور الدنيا للمرة الأولى يوم ١٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ سنة ١٨٨٧ ؟ إنهم يزيدون على الملايين وعشرات الملايين في كل أرجاء الكرة الأرضية ، ومن المفروض وفقاً لما تقوله تنبؤات الأبراج أن تكون لهم أقدار واحدة ؛ أو متشابهة . غير أن لعبة القدر برهنت بعدد ملايين المواليد أن لكل واحد منهم قدره الخاص به ؛ ولكل واحد منهم نصيبه في هـذه الدنيـا ؛ ولكل دوره في هذه الحياة.

حكمـة بـالغـة ؛ وسنـة محكمـة ؛ وهكـذا ومن بـين مـلايـين الأطفال ؛ جاء برنارد لو مونتغومري حاملاً معه قدره ؛ إلى الدنيا ؛ وقـد شاء لـه قدره أن يكـون والده منتـظماً في السلك الكهنـوتي ، وأن يكون أسقفاً في تاسمانيا بأستراليا . وإذن فقد كان من المحتمل جداً أن ينشأ ليكـون قساً مثله كمثـل أبيه ، ولكن قـدره رسم له مستقبلاً مناقضاً تماماً . فإذا كان رجل الـدين يمثل ـ ولـو نظريـاً ـ

إنسـان السلام ، فقـد اختار القـدر أن يكون هـذا المولـود رجـل الحرب ، فكان مثله كمثل قائد روسي ولد بعد ذلك بسنوات قليلة من أب قس فكان من كبار رجال الحرب ومن أكثر جنودهـا كفاءة واقتداراً وهو (آ . فاسيليفسكي ١٨٩٥ ـ ١٩٧٧) .

ولعل من سخريـة القدر بـأصحاب الـدنيا أن يعيش القـائدان سنوات متقاربـة على أرض الـدنيا . فقـد توفي مـونتغومـري سنة ١٩٧٦ ، أي قبـل سنـة واحـدة من وفـاة فـاسيليفسكي . وليس المجال هنا على كل حال ؛ هو مجـال المقارنـة بين الـرجلين اللذين عاشا حياة متشابهة في ولادتهما وفي دورهما على الأرض وفي مفارقتهما للدنيا . وبالرغم من ذلك التشابه ، فقد كان هناك ثمة اختـلاف وتباين ، مثل تباين البعد بين موسكو ولندن . فلقد عاش برنارد لـو مونتغومري حياة طفولته في تاسمانيا بأستراليا ، وكانت حياة حـرة طليقة ؛ على نحو ما عرف عن نهج التربية الإنكليزيـة من النزوع إلى الفردية والاستقلالية في الفكر والعمل . ولقد اعتاد الباحثون في حياة كبار الرجال والمؤرخون لسيرة حياتهم ؛ التركيـز على النشـأة الأولى في محاولة لتحديد العوامل المسـاعدة والتي يمكن بـواسطتهـا الكشف عن احتمالات مستقبل من له يدرسون ؛ فأصابوا أحيـاناً وفشلوا في أكثر الأحيان .

وهكذا لم يكن في النشأة الأولى للطفل برنارد لو مونتغومري ما يشير إلى ما سيكون عليه مستقبله . لقد تميز خـلال تلك الفترة ، ولما يتجاوز العاشرة من عمره بطبيعته الخاصة ، وحركته المستمرة ؛

ومـزاجه العصبي ، وضيق صـدره في ممـارسـة عمـل واحـد لمـدة طـويلة ، وهذه صفـات ملازمـة لنشأة الأطفـال جميعاً في المـراحل الأولى من حياتهم ـ أو معظمهم على الأقل ـ كما أن النزوع للسيطرة والتمرد هي من الصفات الملازمة لمعظم الأطفال ـ وحتى الكبار ـ في مراحل معينة وفي ظروف معينـة من حياتهم . وهكـذا أيضاً كـان برنارد لومونتغومري في طفـولته مشـاغباً ؛ شـرساً ؛ محبـاً للصراع والاقتتال ؛ متمرداً على كل القيود المفروضة .

كان برنارد لومونتغومري يوماً (من عام ١٨٩٩) يسير في شارع من شوارع المدينة عندما استوقفـه منظر مثـير ؛ فقد كـانت تخترق شوارع المدينة قوات عسكرية في نظام العرض وهي في طريقها إلى حرب البوير . وكان مشهداً مثيراً حقاً بالنسبـة لكل طفـل في مثل عمره ، إلا أنه من المحال الافتـراض بأن هـذا المشهد هـو الذي صنـع من مونتغـومري جنـدي المستقبل . غـير أن حادثـة طارئـة صادفته في تلك الفترة برهنت على الطبيعة الثابتة لهذا الطفل ؛ فقد ضبطه والده وهو يدخن ؛ وكان ذلك إثماً بالنسبة للطفل ، فصحبه والده إلى الكنيسة ، وهناك ركع الاثنان في خشوع لمدة ربع ساعة . وبعد أن غادرا الكنيسة قال الوالد لابنـه برنـارد إن الله لا بد وأن يكون قد غفر له زلته ما دام قد اعترف بها ؛ وما دام قد قرر عدم العودة لمثلها . إلا أنه لشدة دهشـة الوالـد ، أجاب الابن بـأنه لا يستطيع أن يقطع على نفسه عهداً بعدم التدخين طالما أنه لا يستطيع أن يثق بقدرته على التزامه بهذا العهد .

ومضت سنوات ، وبلغ برنارد لو مونتغومـري مبلغ الرجـال ،

وجاء الأب يعرض على ابنه التدخين ، فأجاب الابن بأنه قرر بأن يختار لنفسه ما يراه صالحاً ، ولهذا فقد أقلع عن التدخين . وبقي محافظاً على التزامه هذا طوال حياته .

نقل والد مونتغومري إلى لندن سنة ١٩٠١ ، وانتقل مونتغومري إلى مدرسة ثانوية ، بينما التحق الأخ الأكبر لمونتغومري بـالجيش ، وسافر بحراً إلى أفريقية .

وقـد أظهر (بـرنارد لـو مونتغـومري) ولعـاً شديـداً بالألعـاب الرياضية ؛ وقدرة على احتمال التعب والمشـاق ، فأصبـح وهو في مرحلة الدراسة الثانوية سبّاحاً ماهراً ، وعدّاء قوياً ؛ ولاعباً متفوقاً في فريق مدرسته لكرة القـدم ـ وهي اللعبة التي يفضلهـا الانكليز على كل ما عداها ـ ، ولهذا لم يكن غريباً أن يصبح (مونتغومري) نجماً معروفاً في مدرسته وفي محيطه ؛ وقد كتبت مجلة (وسدن) في سنـة ١٩٠٦ إشارة إلى تفـوق (مونتغـومـري) من خـلال الفقـرة التالية : « لقد بات معروفاً عن فريق مدرسة سانت بول أنه لا يكاد ينزل إلى الملعب حتى يبدي من المهارة ما يفوق الوصف . وفي هذه المرة أظهر الفريق المذكور مقدرة عظيمة في صعود المرتفع ، وأظهر اللاعبان ـ كوبر ـ و ـ مونتغومري ـ براعة فائقة عندما أضافـا نقطة إلى مجموع فريقهما في اللحظة الأخيرة ؛ وعندما كان الفشل المحقق يلوح في الأفق » .

ولقد كانت بريطانيا يومها تشكل أمبراطوريـة ـ لا تغرب عنهـا الشمس ـ وكانت قوة هذه الأمبراطورية تعتمد على جنودها ، ولهذا

كان التوجه العسكري يشكل أساس المجتمع الانكليزي ؛ وكان التخصص يبدأ في المدارس الثانوية لإعداد الراغبين في احتراف حياة الجندية . وقد اختار (مونتغومري) الانضمام إلى القسم العسكري ، حتى إذا ما أنهى دراسته الثانوية التحق بالكلية العسكرية (ساندهورست) .

ولم يفلح التدريب العسكري لا في مرحلة الدراسة الثانوية ؛ ولا في الكلية العسكرية ؛ من كبح العدوانية في نفس (مونتغومري) بل ربما زادتها تطرّفاً ؛ حتى وقعت له حادثة غيرت من سلوكه تماماً . فقد شكّل (مونتغومري) مع بعض رفاقه زمرة من أمثاله ـ أصحاب النفسية العدوانية ـ وذلك على نحو ما يحدث أحياناً في كثير من الكليات والمدارس العسكرية في كل أنحاء العالم . وكانت مهمة هذه الزمرة هي الاعتداء على كل من يناصبهم العداء ؛ أو يظهر نفوراً من أحدهم أو منهم جميعاً . واتفقت الزمرة ذات يوم على إنزال العقاب بأحد الطلبة ، وأخذ مونتغومري على عاتقه قيادة زمرة التنفيذ . وبينما كان الطالب ـ الضحية ـ يخلع ملابسه في المهجع هاجمته الزمرة بالحراب واضطرته للوقوف ورفع ذراعيه ؛ فيما قام مونتغومري بإشعال النار في ذيل قميصه ، وأصيب الطالب ـ الضحية ـ ببعض الحروق التي اضطرته لدخول المستشفى ؛ وقد التزم هذا الطالب بالصمت ؛ ولم يبح بأسماء الزمرة التي اعتدت عليه. وقد تأثر (مونتغومري) تأثراً شديداً ، فأقلع عن العدوانية العابثة ، ووجه جهده نحو الدراسة والعمل الجاد ؛ ولم يلبث حتى أظهر تفوقه ، فلما جاءت نتائج

الفحوص النهائية للتخرج كان اسم (مونتغـومري) يحمـل درجة (الامتياز) وكان ترتيبه الثلاثين من مجمـوع الناجحـين الذين بلغ عددهم (١٥٠) خريجاً .

وأصبح (مونتغومري) سنة ١٩٠٨ ضابطاً برتبـة ملازم ، فتم تعيينه في لواء (وورکشاير) الذي كان يتمركز على الحدود الشمالية الغربية للهند ؛ حيث التحق في الكتيبة الأولى من هذا اللواء .

وانصرف (مونتغومري) منذ وصوله إلى مقر عمله لتعلم اللغة الهندية ؛ وسرعان ما أتقنها ـ قراءة وكتابة ـ ، وساعده إتقانها بعـد ثلاثين عاماً على إصدار أوامره للوحدات الهندية ـ التي تولى قيادتهـا ـ باللغة الهندية .

وتفجرت الحرب العـالمية الأولى ، ورجـع (مونتغـومري) إلى إنكلتـرا ؛ لينتقل منهـا إلى فرنسـا حيث اشترك في تجـربـة حـرب الخنادق على الجبهة الغربية ، وجرح مـرتين ؛ وخـرج من الحرب وقـد حمل وسـام الامتيـاز ؛ ووسـام الصليب الحـربي الفـرنسي؛ ثم خدم في جيش الاحتلال بألمانيا . وتنقل في عدد من المراكز ، حتى إذا ما كانت سنة ١٩٣٤ عين مدرساً في كلية هيئة أركان الحرب في (كامبرلي) بإنكلترا ، وعمل بعد ذلك في (بلوخستان) بـالهند ؛ وقد أصبح يحمل رتبة عَقيد (كولونيل) ، رجع بعدها مرة أخرى إلى إنكلترا حيث عين قائداً للواء المشاة التاسع في (بورتسموث) .

وعنـدمـا تفجـرت الثـورة الفلسـطينيـة (سنـة ١٩٣٧) عـين مونتغومري قائداً لفرقة بريـطانية ، فـأمضى زهاء سنـة متنقلاً بـين

شرقي الأردن وفلسطين ، حتى إذا ما لاحت سحب الحرب العالمية الثانية في سماء الغرب ؛ نقل (مونتغـومري) إلى إنكلتـرا ، حيث عين قائداً للفرقة البريـطانية الثـالثة التي نقلت إلى فـرنسا ، والتي كانت أول فرقة بريطانية خاضت تجربة الحرب الحديثة ؛ وقد قدِّر لمونتغومري أن يعمل في هذه الفترة تحت قيادة قائد ستقوده الظروف للعمل معه مرة أخرى ؛ وهذا القائد هو (الجنرال ألكسندر) قائد القوات البريطانية في فرنسا ؛ الـذي لم يتمكن من مقاومـة الهجوم الألماني في فرنسا ؛ واضطر (الجنرال ألكسندر)[1] لإعـطاء أوامره بسحب القوات البريطانية من فرنسا .

وقـام (مـونتغـومـري) بتنـظيم الانسحـاب والمقـاومـة في (دنكرك). وقد أدى نجاح مونتغومري في تنفيذ أعمالـه بشكل رائـع إلى تعيينه قائداً للفيلق البريطاني الخامس ؛ ثم قائداً للقطاع الجنوبي لإنكلترا ، حيث انصرف مونتغومـري لتنظيم الـدفاع عن انكلترا

---

(١) الجنرال الكسندر : (Sir. Harold Rupert Alexander) قائد بـريطاني (١٨٩١ - ١٩٦٩) حمل لقب أمير تونس الأول . وصل إلى رتبة فيلد مارشال . خدم في فرنسا في الحرب العالمية الأولى ، ثم عين قائداً للحدود الشمالية الغربية للهند (١٩٣٣) وقائداً للفرقة البريطانية الأولى (١٩٣٨ - ١٩٤٠) وقائداً أعلى للقوات البريطانية في بورما (شباط - فبراير - ١٩٤٢) ، ثم قائداً أعلى للقوات البريطانية في الشرق الأوسط (آب - أغسطس - ١٩٤٢) خلفاً للمارشال أوكنلك ، ثم عين في قيادة الحلفاء تحت قيادة أيزنهاور (شباط - فبراير - ١٩٤٣) ، ثم قائداً أعلى لقوات الحلفاء في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط (تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٤) وأصبح هو المسؤول عن متابعة فتح إيطاليا .

لمواجهة احتمال قيام ألمانيا بمهاجمة انكلترا (وفقاً للخطة المعروفة باسم أسد البحار) .

وأظهر (مونتغومري) حماسة مثيرة في العمل ؛ وانصرافاً كلياً لتنفيذ واجباته ؛ التي لم يكن هناك أي شيء يصرفه عنها[1] . وقد ركز جهده على التدريب الميداني والإعداد للمعركة . وكان يطلب إلى قادته (حتى رتبة لواء) أن يشاركوا جنودهم في العدو لمسافة عشرة كيلومترات - في كل أسبوع - وكان في أغلب الأحيان يشارك جنوده هذه التمارين . وكثيراً ما أظهر القادة - المتقدمون في السن - تذمرهم من التمارين الصعبة ، غير أن اشتراك مونتغومري فيها كان يحملهم على الصمت وإخفاء تذمرهم .

لقد كان (مونتغومري) معروفاً في وسط الجيش بكفاءته ؛ ولكنه كان مجهولاً تماماً في خارج دوائر الجيش .

وكان (مونتغومري) يقترب بسرعة من الشيخوخة ؛ لقد تجاوز الخمسين من عمره بأربع سنوات (سنة ١٩٤٢) ، وكان من المحتمل جداً أن يمضي (مونتغومري) ما بقي له من سنوات الخدمة في مكتب من مكاتب هيئة الأركان في لندن ، أو في قيادة

(١) كان مونتغومري قد تزوج سنة ١٩٢٧ ، وأنجب ابناً - هو الوحيد الذي أنجبه - إذ توفيت زوجته سنة ١٩٣٧ - وكانت شريكة لمونتغومري في كافة نشاطاته - فلما توفيت افتقدها كثيراً ؛ ولم يتزوج بعدها . وقد سئل مرة عما إذا كان يرغب بالمزيد من الأولاد فأجاب : « كلا ؛ بكل تأكيد ، فعندي ما يكفي من الأعمال في هيئة أركان الحرب » . وكان عمله يصرفه عن التفكير بأي شيء سوى العمل .

بعض المراكز التدريبية التي كانت تضج بالحركة لرفد جبهات القتال بالقوات بصورة مستمرة ؛ ثم يمضي بعد ذلك لقضاء بقية حياته بعيداً عن الشهرة والأضواء ، وهنا تدخل القدر ليمارس دوره في إبراز (مونتغومري) ليصبح كما اعتقد كثير من البريطانيين ؛ وربما من غير البريطانيين أيضاً ؛ بأنه أبرز من أنجبته بريطانيا من القادة العسكريين بعد (ويلينغتون) .

فما هي هذه المصادفة التي حملت (مونتغومري) ليكون شريكاً في شهرة (ويلينغتون)[1] ؟

كان الموقف على أرض شمال أفريقية يتدهور يوماً بعد يوم ، منذ

---

(١) ويلينغتون :(Sir Arthur Wellesley, Ist duke of Wellington) قائد بريطاني ؛ ورئيس لوزراء بريطانيا (١٧٦٩ ـ ١٨٥٢) . تطوع في الجيش سنة ١٧٨٧ ، وخدم بعد ذلك لفترة طويلة في الهند ؛ واكتسب شهرة واسعة خلال المرحلة الثانية من حرب (ماراتا Maratha ١٨٠٣ ـ ١٨٠٥) وأصبح أصغر قائد في عمره وقد حمل رتبة فريق في الجيش ، فعين ومعه مجموعة من الضباط للعمل في البرتغال سنة ١٨٠٨ حيث استطاع الانتصار على القوات الفرنسية في معركة (شنترين) ، وتمكن من متابعة عمله حتى أخرج الفرنسيين من شبه الجزيرة الإسبانية . وقد عين سفيراً لبريطانيا في فرنسا سنة ١٨١٤ (لدى نابليون بونابرت) . ومثل بريطانيا في مؤتمر فيينا (١٨١٤ ـ ١٨١٥) وذلك قبل موقعة واترلو التي كان له دور أساسي وحاسم فيها ضد نابليون بونابرت ثم شغل منصب وزير الحرب البريطاني (١٨١٨ ـ ١٨٢٧) فقائداً أعلى للقوات المسلحة (حتى سنة ١٩٢٨) ، ثم رئيساً للوزراء (حتى سنة ١٨٣٠) وعمل وزيراً للخارجية تحت رئاسة رئيس مجلس الوزراء بيل (١٨٣٤ ـ ١٨٣٥) ، عاد بعدها ليشغل منصب القائد الأعلى للجيش من سنة ١٩٤٢ حتى نهاية حياته . اشتهر بلقب (الدوق الحديدي) و(القائد الذي لم يهزم قط) وترك أثراً عميقاً في الجيش البريطاني .

أن تسلم القائد الألماني رومل قيادة الحرب على هذه الجبهة ، وتبع ذلك اضطراب عام في الشرق الأوسط ؛ مما وضع بـريطانيـا أمام مأزق صعب ؛ فقد كانت سمعة بريطانيا ومكانتها التقليدية مرتبطة بالمحافظة على مصالحها فيما وراء البحار ، لا سيما في الهند والطريق إليها في الشرق الأوسط .

ولما كان الجيش البريطاني الثامن هو المكلف بحماية مصر ، فقد أجرى رئيس الوزراء البريطاني ـ تشرشل ـ مجموعة من التنقلات ؛ شملت تعيين (الجنرال جوت) لقيادة الجيش الثامن ؛ وهو الذي كـان معروفـاً بأنـه من أكثر القـادة البريـطانيـين كفـاءة في حـرب الصحراء . وفي يوم من أيام شهر آب ـ اغسطس ـ ١٩٤٢ امتطى (جوت) طائرة من طراز (بومباي) متوجهاً بها إلى القاهرة لقضاء يوم أو يومين ، لدراسة الموقف ، قبل الانتقال إلى جبهة العلمين . ولكن ؛ وبينما كانت طائرة (جـوت) تقترب من أفق العلمـين ، شاهدتهـا على البعـد طائـرتان ألمـانيتان من طـراز (مسرشميـدت ١٠٩) وهما عائدتان من إغارة كانتا قد نفذتاها على الخطوط الخلفية للقوات البريطانية . ولم يكن باستطاعة الطيارين الألمانيين إفلات هذه الطريدة من أيديهما ـ وهما لا يعلمان بالتأكيد من في داخلها إذ لو عرفا ذلك لزادت شهيتهما لاقتناص الغنيمة ؛ وعلى كل حال ، فقد سارع أحد الطيارين ؛ وتبعه الآخر نحو الطائرة البريطانية ؛ فقـذف الطيـار الألماني الـطائرة المعـادية بنيـران مدفعه الـرشاش . وحاولت الطائرة البريطانية الفـرار ؛ غير أن عمليـة الفرار لم تكن سهلة ؛ مما اضطر الطيار للهبوط بها على أمل أن يتمكن من إنقـاذ

الركاب . ولكن الطائرة الألمانية تـابعت هجومهـا فانقضت عليهـا وقـذفتها بقنبلة حـارقة أشعلت النـار فيهـا من قبـل أن تصـل إلى الأرض. وهـوت الـطائـرة البـريـطانيـة كـالشهـاب؛ واصـطدمت بالصخور ، وتمزقت شر ممزق وقتل جميع ركـابها ـ وعـددهم سبعة ضباط بريطانيين ـ .

وتلقت القيادة البريطانية ـ في مصر ولندن ـ النبأ وكأنه صـاعقة عنيفة ، غير أنه ما من نكبة أو كارثة تستطيع إيقاف عجلة الحرب . وسرعان ما وقع اختيار تشرشل على (مونتغومـري) ليكون قـائداً للجيش الثـامن ؛ وأصدر أوامـره لهذا التعيـين الفوري ، وانتقـل مونتغومري إلى القاهرة .

ولا بد لمعرفة الصعوبـات التي كانت تنتـظر (مونتغـومري) في عمله الجـديد ؛ من العـودة إلى الظروف التي دفعت إلى تعيينـه . ففي صيف سنة ١٩٤٢ ، كان رومل قد حقق أضخم انتصاراته في (طبرق) و(مرسى مـطروح) وباتت القـوات الألمانيـة وهي تدق أبـواب مصر بعنف وقوة ؛ وكـان لا بد لـرئيس وزراء بـريـطانيـا (تشرشل) من أن تنتابه الهواجس والمخاوف ؛ لا من أجل مصير (مصر) وإنما على مصير الشرق الأوسط كله . ولما كان على خلاف مستمر مع قائد قوات الشرق الأوسط (أوكنلك)[1] بشأن الأهداف

---

(١) (Sir. Claude John Eyre, Auchinleck) أوكنلك : (فيلد مارشال بريطاني) ولد سنة ١٨٨٤ ، اشترك في الحرب العالمية الأولى ، خدم طويلاً في الهند ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ؛ وأصبح قائداً عاماً للقوات البريطانية في الهند عشية اندلاع الحرب =

الاستراتيجية ذاتها . فقد جاء إلى مصر في محاولة لبحث الموقف على الطبيعة . وكان (تشرشل) يريد من (أوكنلك) تركيز الجهود كلها على ميدان الصحراء الغربية (في مواجهة رومل) بينما كان (أوكنلك) يرى أن (مسرح العمليات الأفريقي) على أهميته ، إنما هو جزء من منطقة الشرق الأوسط التي يجب أن تحظى باهتمام متعادل . فلما وصل تشرشل إلى القاهرة (يوم ٤ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢) عقد مؤتمراً مع كبار قادته (ويڤل) والماريشال (سميتث ـ رئيس اتحاد جنوب أفريقيا) وماريشال الجو (تيدر) وقائد القوات البحرية في المتوسط (كوننغهام) وسواهم من القادة ، وبحث معهم الموقف ؛ وضرورة العمل لدعم الجيش البريطاني الثامن . ثم قام تشرشل في اليوم التالي بزيارة جبهة (العلمين) ، ووجد أنه من الصعب التفاهم مع (أوكنلك) فاتخذ قراره يوم ٧ آب ـ أغسطس ـ بتعيين الجنرال (جوت) قائداً للجيش الثامن ؛ ومنحه

= العالمية الثانية ، فرجع إلى انكلترا في نهاية سنة ١٩٣٩ حيث أسندت اليه قيادة القوات البريطانية في النروج سنة ١٩٤٠ ، وعاد بعدها إلى الهند ثم أعيد إلى انكلترا حيث أسندت إليه قيادة المنطقة الجنوبية في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤١ وقد اختاره تشرشل ليحل محل (ويڤل) في قيادة الشرق الأوسط (في تموز ـ يوليو ـ ١٩٤١) فعمل أوكنلك على مقاومة ضغوط تشرشل بشن هجوم فوري ضد رومل في شمال أفريقيا ، وبدأ عملية الهجوم (كروزيدر) في ١٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وحقق انتصاراً محدوداً على رومل الذي ما لبث أن انتزع المبادأة وأحرز انتصاره في أيار ـ مايو ـ ١٩٤٢ (في الغزالة) فقرر تشرشل تعيين الماريشال ألكسندر مكانه . وتم تعيين أوكنلك قائداً عاماً في الهند في حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٣ ، ثم رفع لرتبة فيلد مارشال سنة ١٩٤٦ ؛ وعين قائداً عاماً للهند والباكستان سنة ١٩٤٧ .

الصلاحية المطلقة للعمل من أجل إخراج الجيش الثامن من مأزقه . ثم عمل على تبديل قائد منطقة الشرق الأوسط (أوكنلك) وعين مكانه (ألكسندر) . ولكن (جوت) قتل في اليوم ذاته ، فتم تعيين مونتغومري .

٢ ـ قيادة الجيش الثامن

بينما كان (مونتغومري) في طريقه لاستلام قيادة الجيش الثامن ؛ أصدر ـ تشرشل ـ توجيهاته إلى قائد منطقة الشرق الاوسط ؛ والتي جاء فيها :

١ ـ إن واجبك الأول والرئيسي هو العمل على أسر أو تدمير الجيش الألماني ـ الإيطالي الذي يقوده المارشال رومل في أقرب فرصة ؛ وكذا منشآته وقواعد تموينه في ليبيا وعلى حدود مصر .

٢ ـ عليك القيام بإنهاء الواجبات الأخرى المتعلقة بقيادتك ؛ على ألا تتعارض مع الواجب آنف الذكر والذي يجب أن يبقى هو الواجب الرئيسي بالنسبة لمصالح صاحب الجلالة.ووصل (مونتغومري) ، وتلقى مهمته من قائد منطقة الشرق الأوسط ـ الجنرال ألكسندر ـ ولقد ساعدت المعرفة السابقة ـ منذ عمليات دونكرك ـ على التفاهم بسرعة بين القائدين . وانصرف (مونتغومري) فوراً لدراسة موقف الجيش الثامن لمعرفة نقاط الضعف الرئيسة والتي كانت تتلخص بما يلي :

١ ـ الاعتماد على سياسة دفاعية جامدة ؛ كان من نتيجتها تركيز

الجهد على حماية المؤخرات والاستعدادات للتقهقر والانسحاب ؛ بدلاً من تطبيق سياسة هجومية .

٢ ـ الاعتماد في خوض المعارك على تنظيم اللواء ، أو حتى بمجموعة تنقص عن اللواء ؛ بدلاً من زج الفرق الكاملة ؛ أو التشكيلات الكبرى التي تضمن استخدام أكبر حشد من القوى .

٣ ـ فصل مقر قيادة الجيش الثامن عن مقر قيادة (قوة الصحراء الجوية) والتي كانت تتمركز في (برج العرب) أي على بعد ستين كيلومتراً من مقر قيادة الجيش الثامن ، مما كان يعيق عمليات تنسيق التعاون بين الجيش الثامن وبين القوات الجوية المخصصة للعمل معه .

٤ ـ تدهور الروح المعنوية لأفراد الجيش الثامن ؛ وضياع الثقة بالقادة والأسلحة .

ما أن أنهى مونتغومري دراسته لموقف قواته ؛ حتى شرع في وضع خطته لمعالجة نقاط الضعف ، وجمع الضباط قادة الجيش الثامن عند (تبة الرويسات) في مساء يوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٢ ؛ وخاطبهم لأول مرة ، فشرح سياسته الجديدة ؛ وكان مما قاله :

١ ـ لقد مضت الأيام السيئة إلى غير ما رجعة ، وإن مهمتنا هي تدمير قوات المحور في شمال أفريقية . ويستطيع كل من لا يثق

بقدرتنا جميعاً ، على تنفيذ هذا الواجب ، أن يذهب في الحال ، فأنا لا أريد أن يبقى بيننا من لديه الشك في إمكانات تحقيق الواجب .

٢ ـ لا تقهقر بعد اليوم ، ويجب نسيان كل شيء عن التراجع أو الانسحاب ، فلا بد من القتال حيث نحن الآن . وقد صدر الأمر بإحراق جميع الخطط التي وضعت سابقاً لانسحاب الجيش الثامن والدفاع فيما وراء خط العلمين ، كما صدر الأمر بسحب كل القوى والوسائط القتالية التي خصصت للدفاع عن دلتا النيل ؛ وزجها في جبهة العلمين لدعمها وتقويتها .

٣ ـ من المتوقع أن يقوم رومل بهجومه بعد أسبوعين (أي اعتباراً من يوم ١٢ آب ـ أغسطس ـ) وأنا أرحب بهذا الموعد ؛ إذ سأكون عندها مستعداً لمقابلته ، أما إذا قام بالهجوم قبل هذا الموعد ، فسينشأ وضع قد لا يكون مريحاً .

٤ ـ سيبدأ العمل على الفور لوضع الخطط اللازمة لتوجيه ضربة قوية من أجل تدمير قوات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) . ويجب أن يتوافر لقوات هذه الضربة قدر كاف من القوات الاحتياطية التي يتم تدريبها بعيداً عن خطوط القتال ، وعلى أن تضم هذه القوات الاحتياطية على الأقل فرقتين مدرعتين وفرقة محمولة ـ ميكانيكية ، وذلك على غرار تشكيل الفيلق الأفريقي (الألماني) ، ولن يتم توجيه هذه الضربة إلا بعد أن يتم الاستعداد لها بصورة كافية ؛ وذلك مهما كان الضغط الخارجي للتعجيل بتوجيه الضربة .

٥ ـ لقد تم إلغاء تنظيمات الألوية ومجموعات القتال والكتائب

المستقلة ، وسيتم العمل على دمج كافة التشكيلات في إطار تنظيم (الفرقة) باعتبارها هي التشكيل المقاتل .

٦ ـ لقد اتخذت الترتيبات لوضع مقر قيادة الجيش الثامن إلى جوار مقر قيادة (قوة الصحراء الجوية) ، وذلك لوضع خطط العمليات بصورة مشتركة ؛ ولتنسيق التعاون مع القوات الجوية بصورة مستمرة .

٧ ـ أما بالنسبة للانضباط ؛ فإن أي تهاون أو استرخاء في العمل هو أمر مرفوض ؛ ولن يسمح به . وعلى الضباط إيقاف الجدل والنقاش ؛ وتنفيذ الأوامر بكل حزم وسرعة .

لقد أفاد (مونتغومري) من خبراته بأحوال الصحراء ؛ ومعرفته لها ؛ منذ أن عمل في الأردن ، فمضى لدراسة مسرح العمليات الأفريقي بكل دقة ؛ وفعل ما كان يفعله خصمه رومل ؛ حيث أمر بصنع نماذج هيكلية (صناديق رمل) للمناطق التي سيخوض الحرب عليها ؛ وذلك من أجل تدريب القادة والقوات ، ولشرح خططه بصورة تفصيلية ؛ وفي الوقت ذاته إجراء التمرين على أسلوب (مونتغومري) في إدارة الحرب ، حيث كان يعتمد في أسلوبه على (الأوامر الشفهية) ، وعلى دفع الضباط والقادة للعمل مع قواتهم في الخطوط الأولى ، الأمر الذي أرغم القادة وضباط هيئات الأركان على ترك مكاتبهم الوثيرة في القاهرة ، والعمل في مقرات القيادة في الميدان ، والبقاء على اتصال مستمر بالقوات والجنود . وأسهم ذلك إسهاماً كبيراً في رفع الروح المعنوية

للجنـود ، واجتاحت الجيش الثـامن حالـة نفسية جـديدة تمـاماً ؛ وعادت الثقة للقوات بقدرتها على العمل .

ولقد قام (مونتغومري) باستعدادات ضخمة لمجـابهة الهجـوم المتوقع لرومل ؛ فيـما كان يقـوم بإجـراء استعدادات ممـاثلة للقيام بتوجيه ضربته الحاسمة . وقد تبين لـه بنتيجة دراستـه للأرض أن مرتفع (تبة) علم حلفا تحتل أهمية خاصة بالنسبة لجبهـة العلمين بكاملها ، حيث كان هذا المرتفع يقع في منتصف الجبهة البريطانية وإلى الخلف منها ، مما جعله قادراً على التحكم في منطقة واسعة من الأرض المحيطة به . ولذلك فهو سيكون في مواجهة قـوات رومل إذا تقدمت نحو (الحمام) أو سارت نحو (الرويسـات) لتهديـد الجناح الأيمن للقوات البـريطانيـة ؛ فيما إذا نجحت قـوات رومل بالالتفاف حول الجناح الأيسر للقوات البريـطانية . وكـذلك فـإن استيلاء قوات رومل على (علم حلفا) فيما إذا نجحت بالاستيلاء عليه سيهدد مؤخرات القوات البريطانية وخطوط مواصلاتها تهديداً خطيراً .

ولما كانت القوات المكلفة بالدفاع عن هذا المرتفع لا تشكل أكثر من قوات رمزية ؛ فقد أمر (مونتغومري) فرقة المشـاة البريـطانية ٤٤ ؛ والتي كـانت قد وصلت حـديثاً ؛ بـاحتلال مـرتفـع (علم حلفا) والدفاع عنه . كما أمر بدعم المواقع الدفاعية ؛ وزرع حقول ألغام جديدة ، وأوقف كل الأعمال الدفاعية التي كانت تجري وراء جبهة العلمين حتى يوجه كل الإمكانات المتوافرة والأيدي العـاملة

لإعادة تنظيم ودعم خط المقاومة الرئيسي بأقصى سرعة ممكنة .

وأصدر (مونتغومري) أمره بتدريب جميع الجنود الإداريين في القواعد المختلفة ؛ وبصورة خاصة ما كان منها في القاهرة ؛ وذلك حتى يتمكن هؤلاء الجنود من خوض الحرب ـ هجومياً ودفاعياً ـ بكفاءة عالمية ، فيما إذا تمكنت قوات رومل من الالتفاف حول الدفاعات الجنوبية لخط العلمين ؛ وتجاوزت القوات البريطانية دون أن تحاول الاصطدام بها ، وتقدمت إلى القاهرة أو الإسكندرية .

وبالاضافة إلى ذلك ؛ فقد أصدر أوامره إلى الفرقة البريطانية ٥١ ـ والتي لم تكن قد أكملت بعد تنظيمها وتدريبها ـ بالدفاع عن القاهرة ؛ وذلك بهدف توفير جميع التشكيلات المدربة للقتال على جبهة العلمين . واتخذ (مونتغومري) كل التحضيرات اللازمة لانتشار دباباته في مواقع مجهزة ومحمية بنار المدفعية ؛ مما يجعل هذه الدبابات قادرة على التعامل مع دبابات رومل من مواقع ثابتة ، وليس من مواقع مكشوفة على نحو ما كان يحدث في كل المعارك السابقة .

استمر (مونتغومري) في استعداداته للهجوم الكبير ؛ في الوقت ذاته ؛ وكان الفيلق الجديد في دور التكوين والتنظيم ؛ كما كانت المدافع والأسلحة والمركبات وسواها من الوسائط القتالية لا زالت في معظمها في طريقها إلى مصر . وقد تركز الجهد خلال ذلك على تدريب قوات المشاة للقيام بأعمال الاقتحام واختراق المواقع الدفاعية من أجل شق الطريق وتمهيده أمام القوات المدرعة في

المعركة الهجومية . وكان للألغام دورها الكبير في هذا التـدريب ؛ ذلك لأن (رومل) كان قد نشر حقول الألغام الشاسعة والعميقـة أمام مواقعه الدفاعية ؛ وكان لا بد للبريطانيين من اختراقها في حال قيـامهم بالهجـوم . وقد سـاهم المهندسـون في الجيش البـريـطاني بمجهود كبير لحـل مشكلة الألغام آليـاً ؛ فاختـرعوا لـذلك جهـازاً يـركب في مقـدمـة الـدبابـات (العقـرب أو سكـربيـون) مـع استخدام تصاميم أخرى لتفجير الألغام آلياً بواسطتها .

وقد حدد (مونتغومري) منطقة واسعة بعيداً عن خط العلمين في الخلف لتـدريب قواتـه على أحـدث أسـاليب الحـرب والقتـال بالقوات المدرعة ؛ كما دربها تـدريباً واسـع النطاق عـلى العمليات الليليـة ؛ إذ كان قـد صمم على القيـام بهجومـه الكبير ليـلاً حتى يتمكن من حل مشكلة الألغام .

وقد اكتشف (مونتغومري) أن لدى بعض قواتـه من المشاة ؛ خبرة كبيرة في أعمال الدوريات الليلية ؛ كانت قد اكتسبتهـا أثناء حصارها في طبرق ، فاستعان بها لأقصى حـد للقيام بـالدوريـات الليلية في منطقة العلمين ، لمعرفة المواقع الدفاعية للقوات الألمانية معرفة دقيقـة ؛ وللحصول عـلى الأسرى لاستجـوابهم ؛ وكذلـك لإزعاج القوات الألمانية واستنزافها بصورة مستمرة .

وضع (مونتغومري) خطته الدفاعيـة لمواجهـة الهجوم المتـوقع لقـوات المحور (الألمـانية ـ الإيـطالية) عـلى أساس أن (رومـل) سيكرر أسلوبه الناجح الذي طبقه في معاركه السابقة ؛ بحيث يقوم

بحركة التفاف حول الجناح الأيسر للقوات البـريطانيـة ؛ ثم يتجه إلى الشمال للوصول إلى منـطقة مـرتفع (علم حلفـا) لاستدراج القـوات المدرعـة البريـطانيـة والاشتبـاك معهـا في معـركـة كبيـرة لتـدميرهـا ؛ أو طردهـا على الأقـل بعيداً عن مشـاتها ؛ مما يؤمن الفرصة لتدمير المشاة البريطانية ، بعد عزلها عن دعم مدرعـاتها ، وبعد أن يتم قطع خطوط مواصلاتها مع الشرق .

ووضـع (مونتغـومري) في تقـديـره أن احتمـال عـدم نجـاح (روميل) في توجيه ضربته هذه ؛ سيقود (روميل) إلى توقع قيـام القوات المدرعة البريطانية بهجوم مضاد كبير لطرد قواته ؛ وعندها سيكون باستطاعته تدمير هذه القوات المدرعة بنيران مدافعه القوية المضادة للدبابات .

واستناداً لهذا التقدير ؛ وضع (مونتغومري) خـطته الـدفاعيـة التي تلخصت في دعم خـطوط جبهة العلمـين ما بـين البحر حتى مرتفع (تبة الرويسات) حتى أقصى حد ممكن ؛ مع دعم المواقـع الخلفية ما بين (علم نايل) وحتى (علم حلفا) . وقرر في الوقت ذاته استخدام فرقة المـدرعات السـابعة مـع اللواء المدرع الخفيـف الرابع التابع لها ، لتنفيذ مهمة التصدي لحركة الالتفـاف الرئيسـة التي قد تقوم بها قوات البانزر الألمانية عبر القطاع الجنوبي من جبهة العلمين ؛ ولكن دون التورط معها في معركة تسمح لها بالمرور عبر المواقع البريطانيـة ، ثم تقوم بعـد ذلك بتـدمير مـركباتهـا وآلياتهـا وخطوط مواصلاتها . وكان على قوات المشاة البريطانيـة في الوقت

ذاته التمسك بخنادقها ومواقعها في (علم حلفا) والإفادة من نيران المدفعية التي تدعمها لمجابهة قوة الصدمة الرئيسة لقوات البانزر ؛ في حين تعمل المدرعات البريطانية من مواقعها المخفية والمموهة لمجابهة قوات البانزر الألمانية وكأنها مدفعية متحركة ، أي عدم الاشتباك مع قوات البانزر في قتال تصادمي (متلاحم) . وكان على هذه القوات ، في حال قيام البانزر بالتقدم نحو الشمال الشرقي (إلى الحمام) ، توجيه ضرباتها إلى الجانب الأيسر لقوات البانزر بقوة وعنف ، والحرص على قطع خطوط مواصلاتها بصورة مستمرة .

وقد وضع (مونتغومري) في اعتباره أن تكون هذه الخطة بسيطة وواضحة حتى تناسب مستوى تدريب قواته واستعدادها في تلك الفترة . وقد مكنه ذلك من تدريب قواته على كل خطوة ؛ وكل حركة من تلك الخطة ؛ حتى تقوم القوات بتنفيذها أثناء المعركة دون أي ارتباك ؛ كما وضع خطة دقيقة واضحة لتعاون القوات الجوية البريطانية مع الجيش الثامن في هذا الدفاع ، للحصول على أفضل النتائج .

وكان توزيع قوات الجيش الثامن في خط العلمين الدفاعي ـ جبهة العلمين ـ بناء على هذه الخطة ـ قبيل معركة علم حلفا ـ كما يلي :

١ ـ الفيلق ٣٠ ، ويحتل المنطقة من البحر وحتى (تبة الرويسات) جنوباً .

٢ ـ الفيلق ١٣ ، ويحتل دفاعات خطوط العلمين ما بين (علم نايل) حتى مرتفع (تبة علم حلفا) بالخلف ، بينما تراقب فرقة المدرعات السابعة القطاع الجنوبي من خط العلمين[١] .

٣ ـ يبقى اللواء المدرع المستقل ٢٣ ، والذي كان يعمل بصورة مؤقتة تحت قيادة قائد فرقة المدرعات العاشرة ـ تحت تصرف قيادة الجيش الثامن باعتباره احتياط الجيش ؛ وذلك بمهمة دعم أي من الفيلقين ؛ وفقاً لتطورات الموقف .

لقد كان كل ما يحتاجه (مونتغومري) هو المهلة الزمنية لمدة أسبوعين ؛ وما أقصرها من مهلة زمنية ؛ وذلك قبل أن يبدأ (رومل) هجومه المتوقع ، وها قد مضت فترة أسبوعين ولما يقع الهجوم .

واستطاع (مونتغومري) خلال هذين الأسبوعين إنجاز الكثير من الأعمال ؛ وبات مطمئناً إلى استعداداته وإلى قدرته على مجابهة الهجوم الألماني .

وفي هذه الفترة ذاتها ، لم يكن رومل جامداً ولا متوقفاً عن العمل ؛ فقد كان يعمل بكل طاقاته لإنجاز استعداداته من أجل

---

(١) **كان الفيلق ١٣** يضم الفرقة النيوزيلاندية الثانية ؛ وفرقة المشاة البريطانية ٤٤ وفرقة المدرعات السابعة وفرقة المدرعات العاشرة ـ المكونة من اللواءين المدرعين ٨ و٢٢ ـ **وكانت فرقة المدرعات السابعة** مكونة من اللواء الآلي ـ المحمول ـ السابع ومن اللواء المدرع الخفيف الرابع ـ **أما الفيلق ٣٠** فكان يضم الفرقة الاسترالية التاسعة وفرقة جنوب أفريقيا الأولى والفرقة الهندية الخامسة ومعها لواء مختلط من الدبابات والمشاة .

الهجوم الحاسم . وكان يضع الآمال الكبار لتحقيق النجاح في هذا الهجوم ؛ إذ لو استطاعت قواته اقتحام حاجز العلمين ؛ لانفتحت أمامه أبواب مصر على مصاريعها ؛ ولبات قادراً على أن يجند إمكانات مصر وقدراتها للوصول إلى بلاد الشام ، لينفذ منها إلى الحدود الشرقية للاتحاد السوفييتي ـ عبر إيران والقفقاس ـ ، وعندها سيتحول مجرى الحرب تحولاً حاسماً .

ولكن ما هي القوات التي كان يمتلكها رومل لتحقيق هذه الأهداف الكبيرة ؟

كان كل ما لديه هو ٢٢٩ دبابة بانزر ألمانية و٢٨١ دبابة إيطالية ، مقابل ٤٨٠ دبابة بريطانية . أي كان هناك ثمة تعادل في القوى الأساسية لحرب الصحراء . وكان لدى البريطانيين تفوقهم في القدرة البحرية في شرق البحر الأبيض المتوسط (الإسكندرية) ، وكان لديهم تفوقهم أيضاً في القوات الجوية . وعلاوة على ذلك ؛ فقد كان سيل الإمدادات بالقوى والوسائط مضموناً لمونتغومري عبر طريق رأس الرجاء الصالح ـ قناة السويس ـ وعبر طريق الهند ، في حين كانت إمدادات رومل محدودة ومقننة . وإذن فقد كان مصير المعركة الحاسمة مرتبطاً بالدرجة الأولى بكفاءة المتحاورين في الصراع . وقد برهن (رومل) في كافة معاركه السابقة على كفاءته العالية في حوار الإرادات المتصارعة ، فهل سيكون (مونتغومري) قادراً على الدخول في هذا الحوار ضد رومل ؟ .

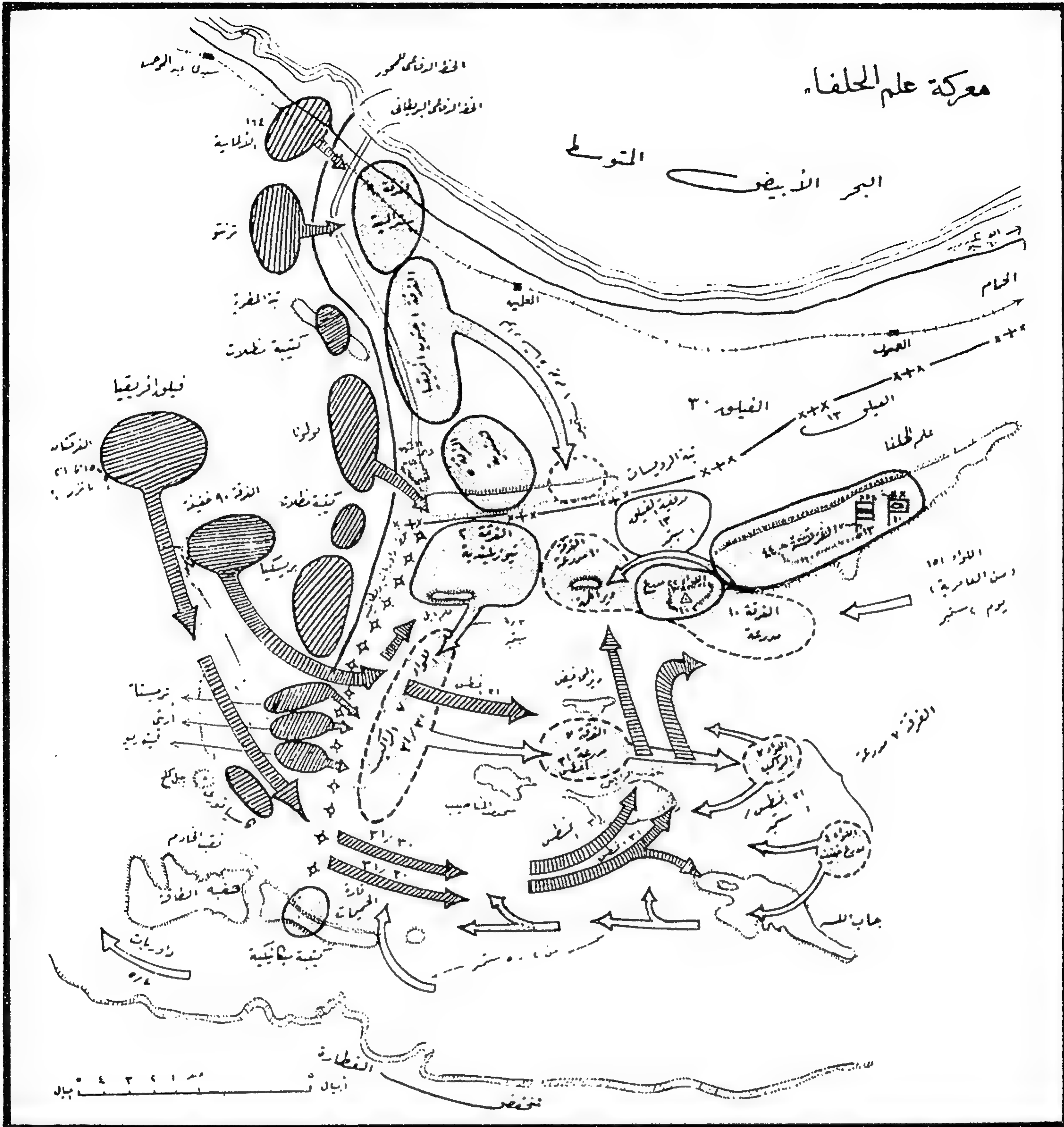
٣ ـ علم حلفا ـ نقطة التحول الحاسمة

كان القمر بـدراً في ليل ٣٠ ـ ٣١ آب ـ أغسـطس ـ ١٩٤٢ . وقد اختار رومل هذا الليل ليطلق قواته للهجوم ، فقامت القوات الجوية بهجمات متتالية على القـوات والمواقـع البريـطانية تمهيـداً للهجوم . وانطلقت فـرقة (بـو لونـا) قبل منتصف الليـل بقليل بالهجوم عـلى قطاع الفـرقة الهنـدية الخـامسة ؛ فيـما قامت الفـرقة الايطالية (تورنتو) ومعها وحدات من فرقة المشـاة الألمانية ١٦٤ بالهجوم على قطاع الفرقة الأسترالية التاسعة .

وكان هدف الهجوم هنا هو تثبيت القوات البـريطانيـة وتضليل قيادتها عن اتجاه الضربة الرئيسة التي انطلقت بها الكتلة الأساسية للفيلق الأفريقي والتي أخذت في تنفيذ حركة التفاف واسعة ؛ بين الجنـاح الأيسر للفرقـة النيوزيـلانـديـة ـ وقـارة (الحميمـات) في الجنوب ـ على نحو ما كان يتوقعه (مونتغـومري) تمـاماً ـ . وقـد اصطدمت هذه القوات منذ انطلاقتها بحقـول الألغام البـريطانيـة الواسعة والعميقة والتي تم زرعها بكفاءة وبصورة سـرية بحيث لم تعرف بها القوات الألمانية . وقد بذلت وحدات المهندسين الألمـان جهـوداً جبارة من أجـل فتح الثغـرات اللازمـة لقوات البـانـزر ؛ وحققت بعض النجاح رغم المقاومة الضارية التي أظهرتها القوات البريطانية من فرقة المدرعات السابعة لعرقلة العملية . إلا أن فتح الثغرات لم يتم بالسرعة المطلوبة ؛ فلم يتمكن الفيلق الأفريقي من الـوصـول إلى أهـدافـه المحـددة لـه في فجـر يـوم ٣١ آب

ـ أغسطس ـ . وبدلاً من أن تكون قوات هذا الفيلق قد وصلت في هذا الوقت إلى الجنوب ـ الغربي من بلدة (الحمـام) كانت قـواته الأمامية لا تزال حتى بعد تسعة أميال فقط إلى الشرق من الخطوط الدفاعية الألمانية . وقد تـرتب على هـذا التأخـير في التقدم نتـائج خـطيرة جـداً ، بالنسبـة (لرومـل) إذ أن هذا التـأخير قـد أتـاح (لمونتغومري) الفترة الكافية لمعرفة الاتجاه الرئيسي للهجوم ، وبذا أمكنه توزيع قواته توزيعاً صحيحاً يتناسب مع الموقف . كما أن هذا التأخير قد أضاع كل أثر لعامل (المباغتة) وهو العامل الذي كان يعتمد عليه رومل لنجاح خطته ؛ والوصول إلى مؤخرة البريطانيين قبل أن تتاح لهم فرصة اتخاذ الإجراءات المضادة .

ولهـذا فقد فكـر رومل ـ في صبـاح يـوم ٣١ آب ـ أغسـطس ـ بإيقاف الهجوم ، وعدم التورط بعمليات أخـرى ؛ إلا أنه عنـدما علم أن قوات الفيلق الأفريقي قد أكملت اختراق حقـول الألغام البريطانية ؛ وأنها في طريقها نحو الشرق ؛ قرر متـابعة الهجـوم ؛ ولكنه قام بإجراء تعديل أساسي على الخطة الأصلية للهجوم . فقد كانت هذه الخطة تقضي بالتقدم شرقاً ثم الالتفاف شمالاً للوصول إلى بلدة (الحمـام) عـلى السـاحـل ، ولكن بعـد ضيـاع عـامـل المبـاغتة ؛ خشي رومـل تنفيذ هـذا التقدم الجـريء ؛ مـع وجـود القـوات المدرعـة البريـطانية في منـطقة (علم حلفـا) على جـانبه الأيسر ؛ وهي متحفزة لملاقاته ومنتظرة لقدومه . ولهذا قرر استبدال حركة الالتفاف البعيدة هذه ؛ بحركة التفاف قريبة جداً ؛ وجعل هدف الفيلق الأفريقي هو الوصول إلى النقطة ١٠٢ عنـد الطرف



معركة علم الحلفاء

الغربي لمرتفع (تبة علم حلفا) ، وطلب ضرب دفاعات البريطانيين في علم حلفا ، تمهيداً للهجوم عليها ، وقامت القوات الجوية الألمانية ـ قوات كيسيلرينغ ـ بتنفيذ هذا الطلب .

نجحت قوات فرقتي البانزر ١٥ و٢١ بالمرور عبر حقول الألغام البريطانية في الساعة العاشرة من صباح يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ ، واتجهتا شرقاً في المنطقة ما بين (دير الراجل) و(جاب الله) .

وذلـك رغم ما قـام به اللواء المـدرع الخفيف الرابـع من محاولات لإزعاجهما أثناء انسحابه إلى منطقة (جاب الله) . كـما استطاعت الفرقة الألمانية الخفيفة ٩٠ أن تخترق حقـول الألغام البـريطانيـة ، ووصلت بعد عناء كبير إلى هدفها عند (دير المخافيض) في الساعة ١٦,٠٠ من يـوم ٣١ آب ـ أغسـطس ـ واتخـذت مـوقفاً دفـاعيـاً هناك .

كان الفيلق الايطالي ٢٠ يتقدم أثناء ذلـك بين الفـرقة الألمـانية الخفيفة ٩٠ وبين فرقتي البانزر ١٥ و٢٠ ، ولكن وحداته تأخـرت وقتاً طويلاً جداً في عبور حقول الألغام البريطانية ولم تتمكن فرقتا (آريتي) و(تريستا) من بدء التقدم شرقاً إلا في السـاعة ١٥,٠٠ من اليوم ذاته .

تطلبت عملية إعادة ملء خـزانات الـوقود لفـرقتي البانـزر ١٥ و٢٠ ، وقتاً طويلاً ، ولهذا لم تستأنف قوات الفرقتين تقدمهما شمالاً لتنفيذ الأوامر الجديدة (لرومل) إلا في الساعة ١٣,٠٠ . وفي هذه اللحظة هبت عاصفـة رملية شـديدة أعـاقت الرؤيـة ، فانتهـزت القوات الألمانية هذه الفرصة للتخلص من الهجمات الجوية العنيفة للطائرات البريطانية ، واستمرت في تقدمها ومعها الفرقة المـدرعة الإيطالية (ليتوريو) التي انضمت إليها في هذه المرحلة .

وجـابهت قوات البـانزر مصـاعب هائلة أثنـاء تقـدمهـا بسبب العواصف الرملية من جهة وبسبب الرمال الناعمة من جهة ثانية . وقامت هذه القوات بعد ذلك بالهجوم على اللواء المدرع ٢٢ الذي

كان يدافع عن النقطة ١٠٢ . وتمكن اللواء في النهاية من إحباط الهجوم الألماني بعد قتال عنيف ؛ دعمه خلاله اللواء المدرع ٢٣ . وأمام هذا الموقف ، أصدر رومل أمره إلى الفيلق الأفريقي بإيقاف الهجوم في الساعة ١٦,٠٠ .

جرت الهجمات التثبيتية في القطاع الشمالي على النحو التالي : تمكنت الفرقة الأسترالية التاسعة من إحباط الهجوم الألماني بعد معركة ضارية . وحقق الهجوم الألماني على الفرقة الهندية الخامسة بعض النجاح عندما تم الاستيلاء على الطرف الغربي من مرتفع (تبة الرويسات) إلا أن قوات الفرقة الهندية الخامسة قامت بهجوم مضاد عنيف في صباح يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ وتمكنت من طرد القوات الألمانية .

قامت وحدات من ألوية الاستطلاع الألمانية ـ والتي كانت مكلفة بحماية الجناح الشرقي والجنوبي الشرقي لفرقتي البانزر ـ بمهاجمة اللواء المدرع الخفيف الرابع في منطقة (جاب الله) وذلك مع آخر ضوء من يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ ، فاضطر اللواء المدرع الخفيف الرابع للانسحاب شرقاً . ومع ذلك ؛ فقد تعرضت قوات البانزر طوال ليل ٣١ آب ـ أغسطس ـ ١ أيلول ـ سبتمبر ـ لمجموعة من الهجمات الجوية العنيفة بقوات القاذفات البريطانية التي كانت تلقي قنابلها على ضوء المشاعل، مما أنزل بهذه القوات خسائر فادحة ، وحدد إلى درجة كبيرة جداً كل التحركات الليلية اللازمة لإعادة التنظيم . وكان من نتيجة ذلك ـ بالإضافة إلى

النقص في إمداد الوقود ـ أن أصدر (رومل) أمره بقصر عمليات اليوم التالي (١ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٢) على عمليات محدودة جداً ، وتجنب كل عملية على نطاق واسع .

أظهر (مونتغومري) قدراً كبيراً من الحذر في تصرفاته طوال يوم ٣١ آب ـ أغسطس ـ حتى إذا ما تأكد تماماً من الاتجاه الرئيسي لهجوم رومل ، أصدر أمره بزج الفرقة المدرعة العاشرة كلها في الثغرة بين الفرقة النيوزيلاندية الثانية وبين الفرقة ٤٤ ، كما أمر بسحب لواء من الفرقة الأولى لجنوب أفريقيا ، ليحتل الطرف الشرقي من مرتفع (تبة الرويسات) ـ أي خلف المواقع الجديدة للفرقة المدرعة العاشرة ـ وبذلك صار باستطاعته مواجهة تقدم القوات الألمانية نحو مرتفع (علم حلفا) ، وبات مطمئناً لما أحرزه من نتائج مشجعة .

قامت الفرقة الأسترالية التاسعة بهجوم في ليل ٣١ آب ـ أغسطس ـ ١ أيلول ـ سبتمبر ـ تمكنت خلاله من فتح ثغرة في خطوط المحور الدفاعية . وكانت النية متجهة إلى إرسال جماعات صغيرة خلال هذه الثغرة في صباح يوم ١ أيلول ـ سبتمبر ـ للإغارة على المناطق الخلفية لقوات المحور ، إلا أن القوات المدافعة (الألمانية ـ الإيطالية) تمكنت من سد هذه الثغرة على أثر هجوم مضاد عاجل وقوي .

قامت فرقة البانزر ١٥ وحدها بالهجوم على المنطقة شرقي النقطة ١٠٢ في صباح اليوم الأول من أيلول ـ سبتمبر ـ . وكانت الفرقة

المدرعة العاشرة قد نفذت أمر مونتغومري واحتلت مواقعها الجديدة في الليلة السابقة . ولقد نجحت فرقة البانـزر ١٥ في التقدم رغم المقاومة العنيفة التي واجهتها من نيران المدفعية البريطانية ؛ ولكنها اضطرت في النهاية لإيقاف هجومها ؛ والانسحاب من جديد بعد أن نفد وقود آلياتها؛ وبعد أن أنزلت في القـوات المدرعـة البريـطانية خسائر فادحة . وقد قامت القوات الجوية البريطانية بضرب قوات البانزر ضرباً عنيفاً ومستمراً طوال اليوم وخلال ليل ١ ـ ٢ أيلول ـ سبتمبر ، وأوقعت بها خسائر كبيرة ، وخاصة في العربات .

لم تحـاول قوات البـانزر القيـام بأي هجـوم في يـوم ٢ أيلول ـ سبتمبر ـ ، بل توقفت ، وانتشرت دفاعياً ؛ على أمل قيام القوات المدرعة البريطانية بمغادرة مواقعها المجهزة والهجوم عليها ، مما يتيح لقـوات البانـزر فرصـة تدمـير المـدرعـات البـريـطانيـة . غـير أن (مونتغومري) لم يستسلم لهذا الإغراء ؛ وألزم قواته المدرعة بالبقاء في مواقعها ؛ فيما وجه كافة أسلحة المدفعية لمجابهة دبابات البانـزر بسيل جارف من النيـران الذي استمـر طوال اليـوم ، بينما كـانت القوات الجوية البريطانية تتابع هجماتها على قوات البانزر بصـورة مستمرة (بمعدل إغارة في كل سـاعة ، كـانت تنفذهـا الطائـرات القاذفة) . وقد حاولت المقاتلات الألمانية إبعاد القاذفات البريطانية عن سماء المعركة ، إلا أنها فشلت في محاولتها .

هكـذا ؛ وقفت قـوات البـانـزر وهي عـاجـزة عن الحـركـة ؛ وتزايدت صعوبات الإمداد بالوقود والذخائر ؛ بحيث لم يبق لدى

الدبابات ما يكفيها للتحرك لأكثر من مائة كيلومتر . وزاد الموقف سوءاً بهجمات وحدات فرقة المدرعات السابعة ؛ وبطبيعة الأرض الرملية جنوب تبة (علم حلفا) فاضطر (رومل) لإعطاء أمره بالانسحاب في ليل ٢ ـ ٣ أيلول ـ سبتمبر ـ .

وفي الوقت نفسه أصدر (مونتغومري) أمره ـ وقد أدرك صعوبة الموقف الذي وصل إليه رومل وقواته ـ بالانطلاق للهجوم المعاكس ؛ بهدف إقفال الثغرات التي عبرت منها القوات الألمانية ، وحصارها . كما أمر بزج اللواء ١٥١ من الفرقة البريطانية ٥٠ (مشاة) لاحتلال مواقع إلى الجنوب من تبة (علم حلفا) حتى لا يضطر إلى تغيير انتشار قواته أو إعادة تنظيمها فيما إذا حاول رومل الاتجاه شرقاً نحو (الحمام) .

وباتت قوات البانزر في مساء ٣ أيلول ـ سبتمبر ـ وهي شبه مطوقة . وأدرك رومل خطورة الموقف ؛ فقطع اتصاله بالقوات البريطانية ، واتجه نحو الجنوب الغربي ، حيث نظم ثلاث مجموعات قتالية لحماية الانسحاب .

كما نظم رومل هجوماً مضاداً في فجر يوم ٤ أيلول ـ سبتمبر ـ وأعقبه بهجوم مضاد في مساء اليوم ذاته ، وبذلك استطاع منع القوات البريطانية من إقفال الثغرات . ولكن القوات الجوية البريطانية ؛ وقوات فرقة المدرعات السابعة البريطانية تابعت ضغطها على قوات رومل المنسحبة والتي تمكنت من متابعة تقهقرها تحت ستار كثيف من نيران المدفعية ؛ وتحت حماية الطائرات .

وتمت عملية الانسحاب في صباح يوم ٦ أيلول ـ سبتمبر ـ وأصدر (مونتغومري) أمره في اليوم التالي بإيقاف الأعمال القتالية .

وبذلك انتهت معركة (علم حلفا) بالفشل التام ، وضاع بفشلها أمل رومل الأخير في الوصول إلى قناة السويس .

كانت معركة (علم حلفا) هي نقطة التحول الحاسمة بالنسبة للجيش الثامن ولقائده مونتغومري ، حيث كانت هذه المعركة بمثابة اختبار لقيادة الجيش الثامن وجنوده ووسائطه القتالية ولمخططاته وأساليبه التعبوية التكتيكية الجديدة التي حددها مونتغومري ، وبات باستطاعته المضي قدماً في استعداداته للمعركة الهجومية التي كان يخطط لها مستفيداً من جميع الدروس التي أمكن استخلاصها من معركة (علم حلفا) .

فلقد قدمت هذه المعركة إلى (مونتغومري) وإلى الضباط في هيئة أركانه وإلى جنوده الفرصة المناسبة للتدريب على العمل المشترك ، كما أوجدت جواً من الثقة التامة بين الجنود وبين قائدهم الجديد ؛ إذ جرت وقائع المعركة كما توقعها مونتغومري تماماً ، وما كان على قواته إلا تنفيذ أوامره بدقة ، وجاء كسب المعركة ليعزز من هذه الثقة . وكذلك فقد كانت هذه المعركة فرصة للعمل المشترك ولتنسيق التعاون الأمثل بين قيادة الجيش الثامن وبين قيادة القوات الجوية ؛ لتحقيق أفضل النتائج .

جرت في معركة (علم حلفا) تجربة نظام جديد للقيادة

والسيطرة من أجل تأمين السرعة في نقل المعلومات من خطوط الجبهة إلى قيادة الجيش ، وإيصال الأوامر من القيادة إلى الجبهة .

وكانت عملية الاتصالات تستغرق وقتاً طويلاً مما كان يسبب اضطرابات كثيرة لا سيما عند طلب الدعم الجوي العاجل . ولذلك نظمت قيادة الجيش الثامن شبكة من مراكز الرصد اللاسلكية ؛ ووزعتها على مجموعة من النقاط ما بين أقصى الخطوط الأمامية المتقدمة وبين مراكز قيادات الفيالق ؛ حيث تنسق المعلومات ، وترفع مباشرة إلى قيادة الجيش . كما نظم فرع خاص في قيادة الجيش لاستقبال المعلومات وتنسيقها ثم إبلاغ كل جهة من الجهات المختصة مباشرة بما تحتاجه من المعلومات . وقد تطور هذا النظام فيما بعد ؛ ودربت وحدات خاصة من سلاح الإشارة تحت قيادة ضباط أكفاء ، لكي ترسل لقيادة الجيش المعلومات الدقيقة عن مجرى القتال في النقاط الهامة .

تعرض (مونتغومري) للنقد الشديد من قبل بعض قادته ، لاتخاذه القرار يوم ٧ أيلول ـ سبتمبر ـ بإيقاف القتال ، إذ كان من رأي هؤلاء الإفادة من انسحاب رومل لشن هجوم عام قبل أن يتمكن رومل من التقاط أنفاسه ؛ والعمل على إعادة تنظيم قواته ، لكن (مونتغومري) لم يكن مستعداً للانسياق وراء هذا الإغراء ، طالما أنه لم يكتسب الثقة الكافية بقدرة قواته على العمل في عمق ترتيب القوات الألمانية ؛ وطالما أنه لم تتوافر له المعلومات الدقيقة عن قدرة القوات الألمانية وإمكاناتها . ثم إنه لم يكن

مستعجلاً للهجوم وهو على ثقة بأن موازين القوى لن تكـون بعد معركة (علم حلفا) أبداً في مصلحة رومل ، إذ كان سيل الإمداد بالقوى والوسائط بات مضموناً ومستمراً لقواته ، فيما كان (رومل) يعـاني من النقص المتزايـد في إمداداتـه ؛ بسبب انشغـال القيـادة الألمـانية بتـركيز الجهـد الرئيسي عـلى جبهة الشـرق (مـع الاتحـاد السـوفييتي) ، ثم بسبب تعاظم النشـاط المستمر للقـوات الجويـة البريطانية وللقوات البحرية البريطانية التي كانت تضيق الخناق على طرق الإمداد عبر البحر الأبيض المتوسط (ما بين صقلية وليبيا) .

ولقد أدرك (مونتغومري) بنتيجة (معركة علم حلفا) أنـه لن يكون باستطاعة رومل وقواته القيام بهجـوم جديـد وكبير إلا بعـد مضي فترة طويلة ، لدعم قواته في العلمين بـالقوى والـوسائط ، فانتهز هذه الفرصة وشرع على الفور بالإعداد لهجومه القادم .

وكان يعرف عن يقين أن مصير هذا الهجوم الكبير متوقف على ما يتوافر لكل طرف من الإمدادات بالقوى والوسائط القتالية ، فبات العامل الحاسم هو الإفـادة من عامـل الوقت قـدر المستطاع لسبق خصمه في التموين .

وقد واجهت (مونتغـومري) في أعقـاب معركـة (علم حلفا) ثـلاث مشكلات هي (القيـادة والوسـائط والتدريب) فبـدأ بحل المشكلة الأولى ، وعمل على تغيير قادة الفيالق وبعض قادة الفرق ، وكذلك بعض القادة في هيئات الأركان والتشكيلات الأخرى ، ممن وجد أنهم تنقصهم الكفاءة اللازمة للتكيُّف مع متطلبـات الإعداد للهجوم القادم .

٤ ـ الإعداد للهجوم الكبير

عكف (مونتغومري) على دراسة التنظيم الدفاعي لقوات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) فكان هذا التنظيم يعتمد على :

١ ـ خط دفاعي أول يمتد من البحر عند نقطة شرق (سيدي عبد الرحمن) بحوالي عشرة كيلومترات ، حتى (منخفض القطارة) عند (قارة الحميمات) جنوباً .

٢ ـ خط دفاعي ثان خلف الخط الأول ويمتد من البحر شمالاً حتى (دير المناصيب) جنوباً .

٣ ـ خط دفاعي ثالث ؛ خلف الخط الثاني من البحر شمالاً حتى مسافة عشر كيلومترات جنوب (سيدي عبد الرحمن) .

كانت هذه الخطوط الدفاعية محمية على جبهتها الأمامية بحقل ألغام كثيف يتراوح عمقه بين ١,٥ و٣ كيلومتر ، وخصصت بعض النقط خفيفة الحركة لستره بنيران المدفعية المضادة للدبابات والمدافع الرشاشة . وقد استخدم في إنشاء حقول الألغام حوالي نصف مليون لغم ؛ وقد عززت بعشرات الآلاف من القنابل البريطانية التي سبق الاستيلاء عليها ، والتي جهزت بأسلاك متصلة بمتفجرات لتفجيرها عندما تقترب منها القوات المهاجمة ، إلا أنه لم يتوافر لهذه الحقول العدد الكافي من الألغام المضادة للأشخاص لجميع حقول الألغام ، كما أنه لم تتوافر الإمكانات اللازمة لتغطية جميع هذه الحقول بنيران الأسلحة المضادة للدبابات والرشاشات .

نظم الخط الدفاعي خلف حقول الألغام ، وكان هذا الخط يستند إلى مواقع دفاعية تم انتخابها بعناية ؛ بحيث تستطيع تبادل الدعم والمعاونة بالنيران ؛ وضمان دفاع دائري عن كل مجموعة منها ، حتى تستطيع إيقاف الهجوم لأطول مدة ممكنة ؛ وإتاحة الفرصة أمام القوات الاحتياطية للقيام بالهجوم المضاد.

وكان عمق هذا الخط الدفاعي يتراوح بين ٣ و٥ كيلومترات . وقد نظم خطان دفاعيان آخران في القطاع الشمالي (الساحلي) لزيادة عمق الدفاع هناك . وكان كل خط يتكون من حقل ألغام ، يليه مجموعة من المواقع الدفاعية في الخط الثاني ، مع بعض المواقع المحفورة المجهزة للمدافع المضادة للدبابات وللدبابات في الخط الثالث . وقد وصل عمق التنظيم الدفاعي الشمالي (الساحلي) حتى ٨ ـ ١٥ كيلومتراً .

ونظراً لضعف مستوى تدريب القوات الإيطالية ؛ وعدم توافر إرادة القتال لديها ؛ فقد عمل (رومل) على توزيع بعض كتائب المظليين الألمان بين فرق المشاة الإيطالية المنتشرة على الخطوط الدفاعية ؛ في محاولة لإثارة حماستها للقتال .

كما عمل (رومل) على توزيع قواته الاحتياطية المكلفة بتنفيذ الهجمات المضادة ، فوضع قوة احتياطية من الفرق المدرعة الألمانية والإيطالية على القطاع الشمالي للجبهة (الساحلي) ، كما وضع قوة احتياطية أخرى مماثلة في تنظيمها وقوتها على القطاع الجنوبي من الجبهة ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ومتوقعاً نظراً لجهل (رومل) بنوايا

خصمه (مونتغومري) ، وعدم معرفته للاتجاه الرئيسي للهجوم المحتمل الذي قد يبدأه البريطانيون .

خصص (رومل) قوات لمراقبة الساحل لمجابهة احتمال وقوع إنزال بحري بريطاني ؛ وكان على هذه القوات الانضمام إلى القوات الاحتياطية خلف المواقع الدفاعية ؛ وذلك إذا لم يقم البريطانيون بإنزال قواتهم على أرض الساحل . كما كلف مدفعية الفرق المدرعة الموجودة في الاحتياط بالاشتراك في خطة النيران الدفاعية ؛ لتكثيف النيران أمام المواقع التي تحتلها المشاة على امتداد الجبهة .

أخذ (مونتغومري) بعد دراسته لوضع الجبهة الألمانية في وضع خطته للهجوم ؛ في العلمين ؛ وقد وضع في اعتباره مجموعة العوامل الأساسية المؤثرة على العمليات ؛ ومنها :

أولاً : عدم توافر إمكانية تطويق مواقع القوات الألمانية المستندة إلى مانعين طبيعيين : البحر في الشمال و(منخفض القطارة) في الجنوب .

ثانياً : امتلاك التفوق على الألمان ـ بالدبابات خاصة ـ مما يسمح له بتضحية عدد منها خلال المرحلة الأولى من الهجوم ؛ بدون أن يؤثر ذلك تأثيراً خطيراً على تطوير العمليات .

ثالثاً : ضمان الإمداد الإداري والفني للقوات بأفضل ما كان متوافراً للألمان ، وقصر خطوط الإمداد البري ومحاور العمليات بالمقارنة مع ما كان عليه موقف الألمان .

ووجد (مونتغومري) أن هذه العوامل تضمن له الفرصة المناسبة لتدمير القوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ أو معظمها ؛ في معركة حاسمة على أرض العلمين . وقد نضجت خطة الهجوم على مراحل ؛ فقد وضع (مونتغومري) خطته في بداية الأمر على أساس قيام المشاة بفتح الثغرات في الخطوط الدفاعية الألمانية ، لتمر منها القوات المدرعة حيث تنطلق بعدها إلى مؤخرة الجبهة ، من أجل مهاجمة قواعد الإمداد وأرتال التموين ؛ ولتقطع خطوط المواصلات مما يرغم رومل على دفع قواته المدرعة للاشتباك مع القوات المدرعة البريطانية ، حيث تتوافر هنا الفرصة التي توقعها (مونتغومري) للإفادة من تفوقه الساحق في المدرعات ؛ فيشتبك مع دبابات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) التي ستصل إلى ميدان المعركة تباعاً ؛ مما يسهل من عملية تدميرها على التتابع حتى يتم له تدميرها ، وتصبح المواقع الدفاعية عندها محرومة من دعم المدرعات ، فيسهل تدميرها تدميراً كاملاً ونهائياً .

وقد درب (مونتغومري) قواته على تنفيذ مراحل هذه الخطة ؛ إلا أنه وجد في مطلع شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ أن تدريب قواته المدرعة لا زال دون المستوى المطلوب فأدخل تعديلاً جوهرياً على خطته ، بحيث تبدأ المشاة البريطانية بالهجوم على جبهة واسعة ضد الجبهة الدفاعية الألمانية ، لتدمير تلك المواقع ؛ والقضاء على قوات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) غير المدرعة . وتعمل المشاة في الوقت ذاته على فتح الثغرات لمرور القوات المدرعة إلى ما وراء الجبهة ؛ حيث تنتشر هناك لحماية المشاة البريطانية من الهجمات

المضادة ؛ وتوفير الفرصة لها لإنجاز واجباتها بحرية تامة ؛ على أن تدفع القوات المدرعة في الوقت ذاته بعض وحداتها الخفيفة لمهاجمة القواعد الإدارية الخلفية وقطع خطوط المواصلات ، مما يرغم القوات المدرعة (الألمانية ـ الإيطالية) على القيام بالهجوم على القوات المدرعة البريطانية التي تكون في انتظارها وهي متمركزة في مواقع مناسبة .

وكان نجاح هذه الخطة يعتمد اعتماداً تاماً على اختراق الخطوط الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية اختراقاً كاملاً ؛ حتى تتمكن القوات المدرعة البريطانية من عبور الثغرات المفتوحة واتخاذ المواقع المناسبة لحماية المشاة من ناحية الغرب .

ونظراً لأن حقول الألغام الكثيرة الواقعة بين نطاقات الدفاع الألمانية ـ الإيطالية كانت تحدد محاور الاقتراب التي يمكن للقوات المدرعة التقدم عليها ، فقد عمل (مونتغومري) على اختيار المناطق المناسبة لانتشار قواته المدرعة عقب اجتيازها الثغرات ؛ وبحيث تضمن هذه المناطق الإشراف على جميع محاور الاقتراب التي تستطيع أن تسلكها قوات الهجوم المضاد الألمانية .

استقر (مونتغومري) أخيراً على أن يقوم بهجومه الرئيسي في القطاع الشمالي ـ الساحلي ـ بينما يقوم بهجوم تثبيتي في القطاع الجنوبي .

ولقد كان القطاع الشمالي مميزاً بقوة مواقعه الدفاعية ، وبطبيعته الصعبة إذ إن الأرض الرملية الناعمة تعيق كثيراً حركة المركبات

وحتى الدبابات ، كما أن الأرض منبسطة تقريباً ؛ ومكشوفة ؛ في كل هذا القطاع مما يجعل من المحال تقريباً اتخاذ تدابير الإخفاء والتمويه ؛ ولكن وعلى الرغم من ذلك كله ؛ فقد قرر (مونتغومري) القيام بهجومه الرئيسي عبر هذا القطاع للأسباب التالية :

أولاً : لقد ركز (رومل) مواقعه الدفاعية على هذا القطاع ، وزج فيه بالقسم الأكبر من قوة المشاة الألمان ؛ وبات مطمئناً إلى أن الجيش البريطاني الثامن لن يغامر باقتحام هذا القطاع ؛ وهذا مما يسهل على الجيش الثامن مباغتة (رومل) بالهجوم من مأمنه .

ثانياً : إن نجاح الهجوم في القطاع الشمالي - الساحلي - سيضمن السيطرة على المحور الرئيسي لمواصلات القوات الألمانية - الإيطالية (الطريق الساحلي) ، كما يتيح الفرصة لتهديد قواعد الإمداد والتموين .

ثالثاً : يمكن للبحرية البريطانية تقديم الدعم القوي للهجوم في ذلك القطاع بضرب المواقع الدفاعية الألمانية - الإيطالية بنيران البحرية القوية .

لقد كان (مونتغومري) يعتمد على (المباغتة) وعلى إمساكه (بالمبادأة) لضمان النجاح في تنفيذ مخططه . ولهذا فقد وضع (خطة خداعية) متكاملة لتضليل (رومل) وقيادته عن حجم قواته واتجاهات عملها ؛ ومحور الجهد الرئيسي للهجوم . وقد

شملت (الخطة الخداعية) مجموعة إجراءات معقدة ؛ كان منها :

١ ـ اتخذت التدابير والإجراءات الكافية للمحافظة على منطقة حشد القوات للهجوم الرئيسي بحيث تظهر كما هي ؛ وبدون أي تغيير أو تبديل ، حتى يحين موعد الهجوم .

وتنفيذاً لذلك ؛ جرى توزيع جميع الفائض من المركبات المعطلة وهياكل العربات والأسلحة في تلك المنطقة ، ثم جرى استبدالها تدريجياً بمركبات جديدة وأسلحة حقيقية . وكان يتم هذا التبديل في الليل ، حيث تسحب الهياكل إلى المناطق الخلفية على بعد ٧٥ حتى مائة كيلومتر من خطوط الجبهة . وأمكن بهذه الطريقة حشد الفرقة النيوزيلاندية الثانية والفيلق العاشر في منطقة الحشد الأمامية خلال اليوم السابق للهجوم ؛ بدون أن يسترعي ذلك انتباه القيادة الألمانية ؛ أو يستثير شكوكها .

٢ ـ استخدمت العربات الهيكلية لإخفاء مدافع الميدان تحتها ؛ حتى لا تعرف قيادة القوات الألمانية عدد المدافع التي حشدت في منطقة الهجوم ، كما موهت الدبابات على شكل العربات .

٣ ـ استمرت فرقة المدرعات السابعة في المناورات التدريبية على نطاق واسع في القطاع الجنوبي وذلك طوال الأسابيع التي سبقت الهجوم ، حتى يوحي نشاطها بأن الهجوم الرئيسي سينطلق من ذلك القطاع .

٤ ـ أنشئت الخنادق والحفر والمواقع اللازمة لاستيعاب قوات الهجوم الرئيسي في المنطقة الأمامية قبل موعد الهجوم بشهر كامل ؛

واتخذت الإجراءات لإظهارها وكأنها محتلة بأعداد كبيرة من الجنود ؛ بينما لم يشغلها في الواقع جنود القوات المخصصة للهجوم ؛ إلا قبيل الهجوم بمدة وجيزة .

٥ ـ نفذت تحركات قوات الهجوم جميعها في الليل ؛ وتمت أعمال الحفر الإضافية جميعها أيضاً في الليل ، بحيث كانت أعمال الإخفاء والتمويه تنتهي قبل شروق الشمس .

٦ ـ أخفيت مستودعات التموين الكثيرة ؛ التي كدست فيها احتياجات الهجوم الرئيسي ؛ بواسطة أعمال التمويه البارعة التي أقيمت على نطاق واسع . وقد كدست المؤن على شكل العربات ، بحيث لا تثير شكوك القيادة الألمانية بشأن حقيقتها .

٧ ـ أنشئت عدة طرق في القطاع الجنوبي ؛ كما أنشئت عدة مستودعات هيكلية ضخمة ومدد خط أنابيب مياه هيكلي بذلك القطاع ؛ حتى تعتقد القيادة الألمانية بأن الهجوم الرئيسي سيحدث منه .

٨ ـ أذيعت في ليل الهجوم معلومات من رئاسة أحد الألوية المدرعة بطريقة توحي للقيادة الألمانية عندما تلتقطها بأن القوات المدرعة البريطانية قد أخذت في التحرك نحو الجنوب .

٩ ـ اتخذت التدابير لإقناع القيادة الألمانية ـ الإيطالية بأنه سيتم إنزال قوات ضخمة من البحر وراء جبهة العلمين . وخرجت قافلة كبيرة من السفن من ميناء الإسكندرية في الساعة ١٦,٠٠ في يوم

الهجوم ؛ واتجهت غرباً . وجرى تحميل السفن بالجنود والدبابات بشكل تظاهري ؛ حيث شاهد عملية التحميل عدد كبير من الناس ـ بينهم عدد من عملاء الألمان وجواسيسهم على ما يعتقد ـ وقد عادت معظم السفن إلى الإسكندرية في الليل ، فيما تابعت مجموعة من السفن الأخرى طريقها للقيام بهجوم تظاهري مخادع على الشاطىء ، خلف الجبهة الألمانية ـ الإيطالية في العلمين ؛ وذلك باستخدام أجهزة الإشارة والمدافع الرشاشة ومدافع الهاون ، مع قيام الأسطول البريطاني بدعم هذا الهجوم بضرب المواقع الألمانية ضرباً قوياً بالمدافع . وحدد موعد هذا الهجوم بحيث يبدأ بعد ثلاث ساعات من انطلاقة القوات البرية للهجوم ، وذلك بهدف تثبت القوات الاحتياطية المواجهة لمحاور العمليات في المنطقة الشمالية ـ الساحلية ـ .

١٠ ـ استمر العمل في المنشآت الهيكلية وخط أنابيب المياه الهيكلي لخداع القيادة الألمانية عن موعد الهجوم ، وبحيث يظهر بأن العمل لن يتم قبل نهاية الأسبوع الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ أي بعد الموعد الحقيقي للهجوم بأسبوعين .

لقد حققت (الخطة الخداعية) نجاحاً رائعاً حتى أن (رومل) ذاته بقي في المانيا عندما بدأت معركة العلمين ثقة منه بأنه لا زال أمامه متسع من الوقت قبل بدء الهجوم البريطاني . كما أن القيادة الألمانية لم تكتشف حشد القوات ، ولم تعرف باتجاه الضربة الرئيسة حتى بعد أن بدأ الهجوم ، فأبقت على تقسيم قواتها الاحتياطية ـ

على قسمين في الشمال والجنوب ـ بدلاً من زج كل القوات الاحتياطية ضد قوات الهجوم الرئيسي .

لقد تطلب الإعداد لمعركة العلمين ، وتنفيذها ؛ اتخاذ مجموعة من التدابير الإدارية الضخمة ؛ والتي كانت من أصعب الأعمال التي اضطلع بها الجيش البريطاني الثامن قبل المعركة . وكان في طليعة هذه التدابير إنشاء ست طرق فرعية فوق الرمال الناعمة لتصل إلى خط انطلاق الفيلق الثلاثين . وأمكن بفضل الجهود الشاقة نقل جميع القواعد الإدارية وإنشاء المستودعات وتكديس الأعتدة والذخائر والمواد التموينية قبل البدء بالهجوم ، وكان يتم تنفيذ هذه الأعمال جميعها ليلاً. وبلغ معدل ما كان يتم نقله يومياً من الإمدادات إلى القواعد الأمامية في حدود أربعة آلاف طن . وعلاوة على ذلك فقد أنشىء عدد كبير من المطارات الميدانية ـ المهابط ـ بالقرب من الجبهة ، وتم تمديد خطوط جانبية للسكة الحديدية . كما أنشئت نقاط تموينية للمياه بأعداد كبيرة ؛ ووضع تنظيم محكم لصيانة العربات والمدرعات وإصلاحها وتبديلها إذا ما اقتضى الأمر . وأقيمت لكل فيلق منطقة تموينية متقدمة كدست فيها كميات كبيرة من جميع أنواع الاحتياجات ؛ علاوة على احتياطي مناسب من الوحدات للتعويض عن الخسائر . كما نظمت قوة إدارية لمعاونة الهجوم ، ضمت بعض وحدات من التسليح والإمداد والخدمة والصيانة ، وهي خاضعة لقيادة واحدة ، واجبها هو التقدم خلف القوات الأمامية التي ستقوم بالمطاردة ؛ لتجهيز وتنظيم وإدارة الموانىء والأماكن ذات الأهمية الإدارية فور الاستيلاء

عليها ؛ والقيام أيضاً بعمليات التفريغ والشحن وتوزيع الإمدادات ووضع الأفضلية للمواد التي سيتم توزيعها .

وبالاضافة إلى ذلك كله ، تم شحن عدد كبير من السفن بميناء الإسكندرية وذلك قبل بدء المعركة بمختلف المواد التموينية ، وجهزت السفن للإبحار بمجرد صدور الأمر إليها ، حتى تقوم بتموين قوات المطاردة من المرافىء التي يتم الإستيلاء عليها . وتم تمديد خط هاتفي أرضي من القاهرة حتى الخطوط الأمامية ليوضع تحت تصرف الهيئات الإدارية لاستخدامه في طلب أي نوع من الاحتياجات من القاعدة الكبرى في القاهرة أو القنال وتلبية الطلب بأقصى سرعة ممكنة .

وأولى (مونتغومري) الشؤون الإدارية جل اهتمامه ؛ فاختار لها أفضل ضباطه وقادته ؛ وتابع أعمالها ، وضمن لها تأمين متطلباتها ؛ ودعمها حتى أمكن لها إنجاز أعمالها بنجاح .

لم يكن (مونتغومري) وهو الذي عاش حياة الجندية وعرف مصاعبها ومشكلاتها ؛ ليتجاهل أهمية التدريب للمعركة . ولهذا وضع لقواته برنامجاً قاسياً لتدريب الجنود تدريباً عنيفاً يؤهلهم لتحمل مشاق الأعمال الهجومية في حرب الصحراء . وبذل عناية خاصة للارتفاع بمستوى التدريب الفني والتقني للوحدات المدرعة حتى تتكيف مع الدبابات الحديثة ، (مثل دبابات شيرمان الأمريكية) . وشمل التدريب بداهة العمل على فتح الثغرات في حقول الألغام ؛ والتقدم في الثغرات ليلاً .

ولما كان (مونتغومري) يؤمن بأن (العامل المعنوي) هو العامل الأول في كسب الحرب ، فقد بذل كل جهد مستطاع لرفع الروح المعنوية لجنوده ؛ ومنحهم الثقة بقدرتهم الهجومية ، وقضى على عوامل التردد والهزيمة، وغرس فيهم روح المبادأة والاعتماد على الذات ؛ ودربهم على الهجوم بدون دعم من المدفعية والدبابات حتى يتمكنوا من العمل في مثل هذه الظروف إذا ما اقتضى الأمر ، وثبت في نفوسهم أن واجب المشاة في المعركة هو قتل العدو أينما وجد ؛ وفي جميع الظروف مهما ساءت ، بل أمرهم بأن يستمر الجرحى منهم في المقاومة حتى آخر رمق فيهم لزيادة متاعب العدو .

وأجريت تمارين ومناورات على نطاق واسع للتدريب على المعركة القادمة فوق أرض تم اختيارها خلف جبهة العلمين بحيث كانت مشابهة إلى حد كبير تلك التي سيجري عليها الهجوم . وكان يتم في أعقاب كل تمرين دراسة الأخطاء المكتشفة ، وتوضع الحلول المناسبة لعلاجها ؛ ويجرى تعميمها على كافة الضباط والجنود .

وكان (مونتغومري) يزور جنوده يومياً في مواقعهم الدفاعية ، في رحلات تفتيشية وزيارات تفقدية مستمرة ، فيتحدث إلى الجنود ببساطة ، ويناقشهم في واجباتهم ، ويطبق على نفسه الشعار الذي طلب إلى ضباطه الالتزام به وهو : « إذا أردت أن تنتصر ، فاعرف جنودك ، وتحدث معهم ، واعرف متاعبهم ـ إذا كانت هناك ثمة متاعب ـ وبذلك تستحوذ على ثقتهم » ، و« يتساوى القائد والجندي في الميدان ؛ إذ يجب أن يعمل كلاهما في الخطوط

الأمامية » . ولهذا فقد فرض (مونتغومري) على ضباطه البرنامج التدريبي المطبق على الجنود لرفع كفاءتهم البدنية ـ الجسمية ـ .

لقد عاش (الجيش البريطاني الثامن) هذه التحولات المثيرة ؛ خلال فترة زمنية قصيرة ؛ غير أن العامل الأساسي والحاسم في هذه التحولات كلها ؛ هو توافر الإمداد . وكان الحظ بجانب (مونتغومري) حقاً ، فقد ترافق وصوله لقيادة الجيش ؛ مع تزايد الاهتمام الأمريكي ـ البريطاني بالأعمال القتالية على المسرح الأفريقي . ولهذا فقد تلقى من الإمدادات ما ساعده على تشكيل قوات جديدة ؛ وعلى تجهيز هذه التشكيلات بأحدث الوسائط القتالية (الأمريكية) .

لقد توافرت (لمونتغومري) عشية هجوم قواته في العلمين الوسائط القتالية التالية : **١١١٤ دبابة** (منها ٢٦٧ دبابة شيرمان و١٢٨ دبابة غرانت و١٢٨ دبابة ستيوارت و٢٦٠ دبابة كروسيدور و١٩٦ دبابة فالانتان و٣٥ دبابة تعاون قريب) ، بينما لم يكن لدى (رومل) أكثر من **٥٦٠ دبابة** .

ولم يكن التفوق العددي خطيراً بقدر ما كان التفوق النوعي ؛ فبينما كان لدى مونتغومري ٤٠٠ دبابة مسلحة بمدافع ٧٥ مم (شيرمان وغرانت) لم يكن لدى رومل سوى ٣٨ دبابة ألمانية (مارك ٤) مسلحة بهذا المدفع . وعلى ذلك كان تفوق مونتغومري في الدبابات يعادل ٥ ـ ٦ مقابل دبابة المانية .

وفي مجال المدفعية ؛ كان لدى مونتغومري **١٦٠٠ مدفع ميدان**

و٥٧٧ مدفعاً مضاداً للدبابات ؛ بينما كان لدى رومل ٤٠٠ مدفع ميدان و٩٠٠ مدفع مضاد للدبابات .

وهنا لا بد من الإشارة أيضاً إلى أن هناك ٧٥٣ مدفعاً من مدافع مونتغومري كانت تستطيع العمل باعتبارها مدفعية ميدان وتستطيع في الوقت ذاته التعامل مع الدبابات . هذا بالإضافة إلى توافر ٢٤ مدفعاً ذاتي الحركة ـ أمريكي ـ عيار ١٠٥ مم كانت ذات تأثير كبير على الدبابات . فكان تفوق المدفعية لدى الجيش الثامن يزيد على ضعفي مدفعية رومل .

وفي مجال الطيران ، كان الدعم الجوي للجيش الثامن متوافراً بقوة (٥٠٠) طائرة مقاتلة و(٢٠٠) طائرة قاذفة ، مقابل (٦٠٠) طائرة إيطالية وألمانية من أنواع مختلفة .

نظم مونتغومري قواته في ثلاثة فيالق :

١ ـ **الفيلق الثلاثين** : وضم فرقة المشاة الأسترالية التاسعة ؛ وفرقة المشاة الهايلاندرز ٥١ ؛ وفرقة مشاة جنوب أفريقيا الأولى وفرقة المشاة الهندية الرابعة . وتقرر أن تنضم لهذا الفيلق أثناء تنفيذ المرحلة الأولى من هجوم العلمين الفرقة النيوزيلاندية الثانية لتسهم في تدمير المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، ثم تنفصل عنه لتنضم إلى الفيلق العاشر الذي سيقوم بالمطاردة . وتم توزيع اللواء المدرع ٢٣ لدعم فرق المشاة التابعة للفيلق ٣٠ ، فتم وضع فوج تحت قيادة كل فرقة من الفرق الأربعة .

٢ ـ **الفيلق الثالث عشر** : وضم فرقة المشاة البريطانية ٥٠ وفرقة

المشاة البريطانية ٤٤ والفرقة المدرعة السابعة ، ولواء يوناني ولواء فرنسا الحرة (ديغول) . وكانت الفرقة المدرعة السابعة قد ضمت اللواء المدرع ٢٢ واللواء المدرع الخفيف الرابع .

٣ - **الفيلق العاشر** (وقد تم تنظيمه حديثاً) : وضم الفرقة المدرعة الأولى والفرقة المدرعة العاشرة والفرقة النيوزيلاندية الثانية . وكانت الفرقة المدرعة الأولى قد ضمت اللواء المدرع الثاني ولواء المشاة المحمول السابع . أما الفرقة المدرعة العاشرة فقد ضمت اللواء المدرع الثامن واللواء المدرع ٢٤ ولواء المشاة ١٣٣ . أما الفرقة النيوزيلاندية الثانية فتشكلت من لواءين من المشاة ومن اللواء المدرع التاسع .

كان مجموع الفرق في الجيش الثامن ٦ فرق من المشاة و٣ فرق مدرعة وفرقة مشاة راكبة ولواء مشاة فرنسي (ديغولي) ولواء مشاة يوناني .

ما إن أنجز (مونتغومري) استعداداته لمعركة العلمين ، وفرغ من إعادة تنظيم قواته وتسليحها وتدريبها ؛ حتى بدأ في تنفيذ الأعمال التمهيدية للهجوم والتي استندت إلى فكرة القيام بهجوم بحري على ميناء طبرق ؛ باعتبار أن هذا الميناء هو أقرب الموانىء الهامة التي تمون قوات (رومل) مما يستدعي تدمير مستودعاته وتخريب منشآته والقضاء على المواد التموينية المكدسة فيه .

وكان (مونتغومري) يهدف من هذا الهجوم تحقيق ما يلي :

أولاً : إرغام (رومل) على نقل إمداداته من ميناء (بني غازي)

بـدلاً من (طبرق) وبـذلك تتـزايد مصـاعبـه الإداريـة ؛ وتتعاظم الأعباء على أرتال تمـوينه وقـوافل إمـداداته ؛ ممـا ينقص بـالتالي من قـدرته عـلى تأمـين متطلبـات قـواتـه في الخطوط الدفاعية المتقدمة .

ثانياً : إرغام (رومل) عـلى تركيـز جهد أكبـر للدفاع عن مـوانئه الهامة ، مما يضطره لسحب جزء من قواته من منطقة (جبهة العلمين) ، الأمر الذي يؤدي إلى تشتيت جهوده .

ثـالثاً : خلق حـالة من التهـديد المستمـر عـلى مؤخـرات القـوات الألمـانية ـ الإيـطالية ، الأمـر الـذي سيحمـل رومـل عـلى تخصيص قـوات كبيرة لحمـاية المنـاطق الهامـة على امتـداد الساحل .

وتنفيذاً لذلـك ؛ قامت قـوة بريـطانية بـالإغارة عـلى طبرق في الساعات الأولى من يـوم ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ ، بعـد أن مهدت للعملية قوة من ١٨٠ طائرة قامت بإغارات جوية عنيفة على المواقع الـدفاعيـة البحريـة في (طبـرق) ، ثم اقتحمت السفن المهـاجمـة الساحل ؛ وأنزلت قواتها على أرض السـاحل . وتبـع ذلك قتـال عنيف بينها وبين الحامية المدافعة عن طبرق ؛ وانتهى بنجاح قوات الحامية بتطويق قوة الهجوم البريطانية ؛ وإنـزال الخسائـر الفادحـة بأفرادها ؛ علاوة على أسر من بقي منها على قيد الحياة . وبذلـك فشـل الهجوم البـريطاني فشـلا ذريعاً ، ولم يحقق الهـدف الخـاص بتـدمير المينـاء ومنشآتـه ؛ غير أنـه نجح في تثبيت جـزء من قوات

(رومل) للدفاع عن الموانىء ولحراسة الأهداف الساحلية . والأمر المهم هو أن هذا الفشل لم يؤثر على سير الاستعدادات للهجوم .

وعمل (مونتغومري) على توزيع خطته على قيادة التشكيلات لدراستها في يوم ٦ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ ١٩٤٢ ، ثم قام بجولة على قيادات التشكيلات (الفيالق والفرق) ليشرح الخطة بنفسه لأكبر عدد من القادة والضباط . واستدعى يومي ١٩ و٢٠ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ جميع الضباط حتى رتبة مقدم (كولونيل) وشرح لهم الخطة كاملة ، وطلب منهم شرحها بدورهم لمرؤوسيهم في يومي ٢١ و٢٢ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ حتى يعرف كل جندي دوره في المعركة .

قامت القوات الجوية البريطانية بإغارات متواصلة وعنيفة على مطارات المحور وعلى القواعد الجوية والمهابط الميدانية المتقدمة (في الضبعة وفوكة) ، وأمكن تدمير عدد كبير من الطائرات الألمانية ـ الإيطالية وهي جاثمة على الأرض ، كما تم تدمير المطارات ذاتها وإصابتها بأضرار كبيرة ، فانتقلت السيطرة الجوية الكاملة لمصلحة الجيش البريطاني الثامن من قبل أن يبدأ الهجوم .

وقامت الطائرات البريطانية بعد أن وصلت إلى هذه النتيجة ، بنقل ثقل هجماتها إلى خطوط المواصلات الخلفية وإلى القواعد الإدارية في المؤخرات ، كما عملت على استطلاع المواقع الألمانية ـ الإيطالية والتقطت لها آلاف الصور الجوية ، بحيث تم تحديد مربض كل مدفع من المدافع ؛ مما ساعد المدفعية البريطانية على

تدمير معظمها عندما بدأ الهجوم .

تم حشد القوة الضاربة المكلفة بالهجوم (الفيلق العاشر) في المنطقة المحددة لها خلف الفيلق الثلاثين ؛ وذلك في ليل ٢٢ ـ ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ، فيما استعدت قوات المشاة المكلفة بفتح الثغرات والاقتحام في مناطق حشدها . وأمضت جميع القوات يوم ٢٣ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ في سكون تام وهي في خنادقها ، بينما قامت القوات الجوية بأعنف هجوم لها ؛ إذ استمرت طوال اليوم وهي تهاجم المطارات ومرابض المدفعية وخطوط المواصلات والقواعد الإدارية .

كما بدأ الأسطول البريطاني بضرب القاعدة الإدارية في (مرسى مطروح) ضرباً عنيفاً بمجرد حلول الظلام من ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وكانت بطاريات المدفعية البريطانية قد احتلت مرابضها في مواقعها المتقدمة ؛ لدعم الهجوم ؛ خلال الليالي السابقة ؛ وخلال هذه الليلة أيضاً . وتم تمويه مرابض المدافع تمويهاً متقناً بحيث لم تتمكن وسائط الاستطلاع والرصد الألمانية (الأرضية منها والجوية) من كشف مواقع هذه المرابض ؛ ولذلك لم تتمكن المدفعية الألمانية من ضربها برمايات (معاكس التمهيد) . وبلغ تركيز وحشد المدفعية البريطانية درجة لم يسبق بلوغها في كافة المعارك السابقة ، حيث حشد في القطاع الشمالي حوالي ٥٠٠ مدفع خصص لكل واحد منها جبهة لا تزيد على الاربعين متراً . أما في القطاع الجنوبي فحشد ٣٠٠ مدفع .

وحدد (مونتغومري) ساعة الصفر (بدء الهجوم) بالساعة ٢٢,٠٠ من ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ، وقد وضع في اعتباره عندما حدد هذا الموعد أن يكون القمر ساطعاً ؛ حتى تسهل عملية فتح الثغرات في حقول الألغام .

وتجدر الإشارة إلى أن رئيس وزراء بريطانيا المستر تشرشل ـ آنذاك ـ قد حث مونتغومري على البدء بهجومه قبل هذا الموعد بشهر ؛ وذلك حتى يتم استنزاف قوات المحور قبل بدء عملية إنزال قوات الحلفاء في المغرب والجزائر (عملية مشعل)[١] إلا أن (مونتغومري) صمم على تأجيل هجومه حتى تشرين الأول ـ أكتوبر ـ للأسباب التالية :

أولاً : لقد أدى هجوم رومل في (علم حلفا) إلى حدوث تأخير كبير في الاستعدادات الإدارية للجيش الثامن .

---

(١) عملية مشعل : (**Torch**) هي العملية التي تضمنت إنزال قوات الحلفاء في شمال أفريقيا؛ وكانت العملية الأولى التي تشترك فيها القوات البرية الأمريكية في الحرب العالمية الثانية ، وقد عين الجنرال أيزنهاور قائداً أعلى لها . وكانت الولايات المتحدة تريد نقل القوات الأمريكية من أمريكا إلى المغرب والجزائر مباشرة ، إلا أن القيادة البريطانية أظهرت مدى المجازفة في مثل هذا التنقل عبر الأطلسي ، فتقرر اعتماد حل وسط . وشكلت ثلاث مجموعات ؛ مجموعتان تنطلقان من بريطانيا ، ومجموعة ثالثة تنقل من أمريكا مباشرة . وتم إنزال المجموعة الأولى في وهران (الجزائر) يوم ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ ، والمجموعة الثانية في الدار البيضاء (في المغرب) . ثم جاءت المجموعة الثالثة إلى الدار البيضاء في يوم ١١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وتم إنزال قوة من المظليين البريطانيين في (بونة ـ عنابة) الجزائر يوم ١٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ .

ثانياً : لم يكن تـدريب القوات البـريطانيـة قد وصـل إلى المستوى المطلوب في فترة ضوء القمر الساطع خـلال شهر أيلول ـ سبتمبر ـ لهذا كـان من الضروري الانتـظار إلى فترة ضـوء القمر التالية .

كانت الخطة التي وضعها (مونتغومري) للهجوم في العلمين ؛ تتطلب من قواته تنفيذ المعركة على ثلاث مراحل أساسية :

المـرحلة الأولى (وحـدد لتنفيـذهـا ليلتي ٢٣ ـ ٢٤ و٢٤ ـ ٢٥ تشرين الأول ـ اكتوبر ـ) : وفيها تقوم قوات المشـاة بفتح الثغـرات في حقول الألغام والمواقع الدفاعية ، لتعبرها المدرعات حتى تتمكن من الانتشار خلف المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، وحتى تقوم بمنع القوات المـدرعة والاحتيـاطية الألمـانية ـ الإيـطالية من القيـام بهجمات مضادة أثناء تنفيذ المرحلة الثانية .

المـرحلة الثانيـة (وحـددت لتنفيـذهـا الفتـرة من ٢٥ تشـرين الأول ـ أكتوبر ـ حتى أول تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ) وفيها تقوم قوات المشاة بتنفيذ عمليات (قتال الالتحـام) لتدمـير المواقـع الدفـاعية للقـوات الألمانيـة ـ الإيطاليـة ، مع دفـع بعض القـوات المـدرعـة للهجـوم عـلى القـواعـد الإداريـة في مؤخـرة القـوات الألمـانيـة ـ الإيطالية . وكان من المتوقع أن تقوم قوات المحور بهجمات مضادة عنيفـة أثناء تلك المـرحلة بقواتهـا المدرعـة ؛ وحينئذ تتـوافر الفـرصة لقوات (مونتغومري) المدرعة ؛ والمنتشـرة وراء الجبهة الـدفاعيـة الألمانية الإيطالية ، لتدمير أكبر قوة ممكنة من دبابات روميل .

المرحلة الثالثة (وحددت مدتها بين ٢ و٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر) : وفيها يجب أن يتم تدمير ما بقي من المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، والتقدم إلى المناطق الخلفية .

٥ ـ معركة العلمين

فتحت مدفعية الجيش الثامن نيرانها ضد بطاريات مدفعية المحور من الساعة ٢١,٤٠ حتى الساعة ٢٢,٠٠ من ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢ . وكانت الرمايات محكمة للغاية بحيث تم إسكات المدفعية الألمانية ـ الإيطالية ؛ وتدميرها . ثم نقلت مدفعية الجيش الثامن رمایاتها إلى أقصى المواقع الدفاعية الأمامية للمحور ، واستمرت في قصفها لمدة سبع دقائق ؛ ثم أخذت في رمي (السد الزاحف)(*) الذي وضع مخطط نيرانه بحيث يتم نقله ، كل ثلاث دقائق ولمسافة ١٥٠ متراً تقريباً بين كل خط والخط الذي يليه ، مع التوقف لمدة أطول من ثلاث دقائق عند الخطوط التي كان من المتوقع مجابهة مقاومة شديدة عندها .

وتضمنت خطة رمي المدفعية أيضاً إجراء (حشد بالنيران) ضد المواقع المعادية التي تم اكتشافها وتمييزها ، كما استمر القصف المضاد للبطاريات طوال مدة المعركة . وبلغ من شدة النيران

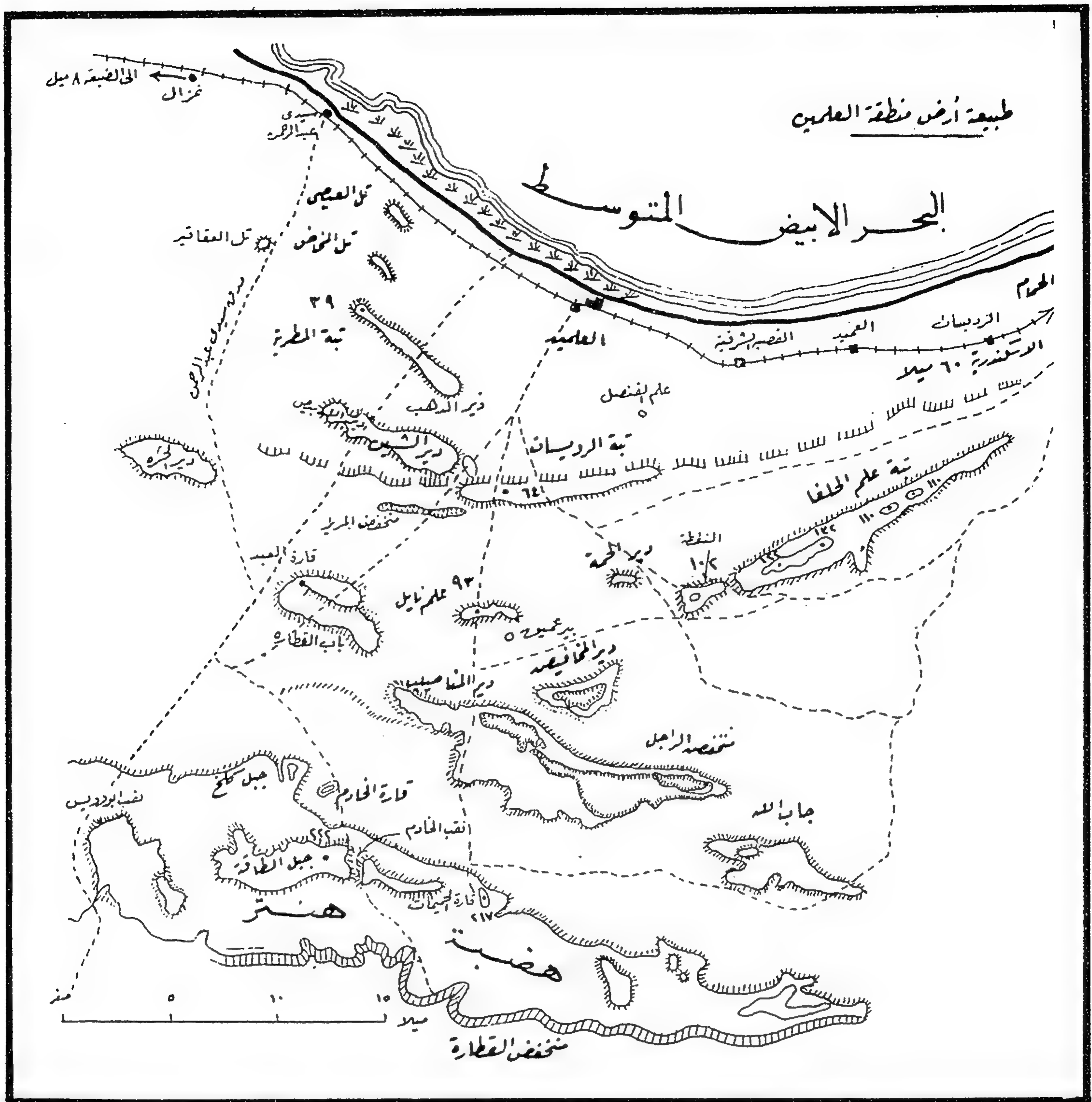
(*) السد الزاحف : نوع من رمايات المدفعية التي يتم نقل نيرانها على خطوط متتالية تتقدم قوات المشاة وتسبقها لتمهيد الطريق أمامها . وكانت تشترك في رمايات السد معظم مدفعية الميدان .

وكثافتها أن تصاعد الغبار الناتج عن الانفجارات بحيث انخفض حقل الرؤية والمراقبة لأقل من مائة متر . وقد تقدمت قوات المشاة خلف (السد الزاحف) ، فيما حلقت مجموعة من الطائرات المقاتلة الإنكليزية على ارتفاعات منخفضة فوق مواقع قوات المحور . وقد جهزت هذه الطائرات بأجهزة خاصة لإحداث أصوات قوية ومزعجة من أجل التأثير على أعصاب جنود العدو ، وإحباط روحهم المعنوية .

واستخدمت أثناء الهجوم مجموعة من الوسائط المساعدة حتى تتمكن القوات من المحافظة على اتجاهها أثناء تقدمها في الظلام ، منها تحديد عدد من المدافع من عيار ٤٠ مم لإطلاق قنابل كاشفة على أجناب الألوية في اتجاه التقدم ، وذلك عند كل انتقال لحركة (السد الزاحف) . كما كانت الوحدات الأمامية تقوم بدورها في تحديد أماكنها بإطلاق دفعات من الذخيرة الكاشفة - المضيئة - بصورة عمودية .

وخصصت أيضاً بعض مولدات الأنوار الكاشفة التي وضعت في نقاط سبق تحديد إحداثياتها بدقة كاملة ، على مسافة ٢٥ كيلومتراً خلف المنطقة الأمامية ؛ وكلفت بإطلاق أضوائها نحو الأعلى حتى يمكن للوحدات الاسترشاد بها لتحديد مواقعها برصد الزوايا العكسية لها . وبرغم ذلك كله ؛ فقد كان نجاح القوات في حفظ اتجاهها نجاحاً جزئياً نظراً لصعوبة الرؤية ؛ بسبب الغبار والدخان الشديدين الناتجين عن انفجار قنابل المدفعية .

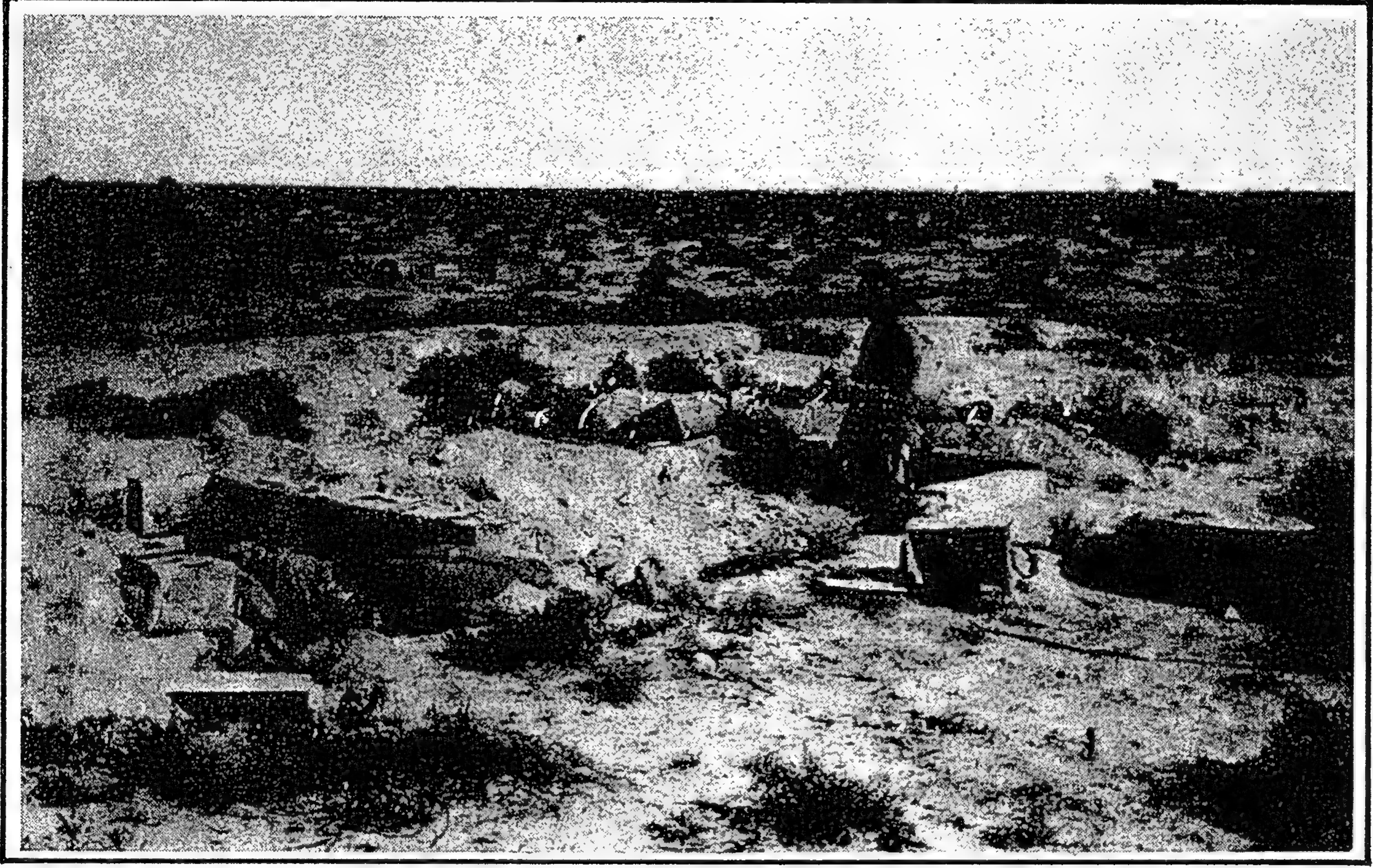
وقد اكدت نتيجة القتال في الساعات الأولى من الهجوم ، بأن



طبيعة أرض منطقة العلمين

القوات الألمانية ـ الإيطالية قد بوغتت بالهجوم مباغتة تامة ، ولذلك سارت عملية فتح الثغرات خلال الساعات الأولى بنجاح ؛ وقامت وحدات المشاة ، تحت إشراف بعض المهندسين ، بإزالة الألغام المضادة للأفراد أولاً ، ثم الألغام المضادة للدبابات .

وقد بدأ العمل في الثغرات بعرض ١٢ متراً تقريباً ، ثم جرى توسيعها حتى ٣٦ متراً .



ـ أمام العلمين ـ الوحدات الألمانية تتمسك بأرض تحيط بها الألغام
التي ستفجرها مدفعية مونتغومري بعد قليل .

وقامت الوحدات المكلفة بفتح الثغرات بتحديد أجنابها ؛ وتحديد طرق الاقتراب المؤدية لكل منها ؛ واستخدمت في ذلك المصابيح الملونة . وقد سار العمل في فتح ثغرتي الشمال بنجاح ولكن بصورة بطيئة نتيجة المقاومة الألمانية الضارية التي بدأت في التزايد تدريجياً . وقد عبرت فرق المشاة الثغرات بمجرد الانتهاء من إزالة الألغام المضادة للأفراد ، واشتبكت في قتال عنيف مع المواقع الدفاعية الألمانية الإيطالية . وقد نجحت معظم الوحدات في الاستيلاء على أهداف المرحلة الأولى من الهجوم قبل الساعة (٠٣,٣٠) . فيما عدا بعض المواقع التي ظلت تقاوم بشدة . وفي الساعة (٠٥,٣٠) أمكن الاستيلاء على بعض تلك المواقع ،



إخلاء جريح من العلمين ، خلال هجوم مضاد ألماني ضد مدرعات مونتغومري التي تجاوزت حقول الألغام .

وبقي عدد قليل منها صامداً رغم الهجمات العنيفة .

نتج عن القتال في ليل ٢٣ ـ ٢٤ في القطاع الشمالي ، فتح ثغرة بعمق ستة كيلومترات تقريباً ؛ تقدمت فيها قوات الفيلق الثلاثين . وقد عبر اللواء المدرع التاسع ، الذي وضع تحت قيادة الفرقة النيوزيلاندية الثانية الثغرة الجنوبية في منطقة (تبة المطرية) ، غير أنه اصطدم عند أول ضوء بحقول ألغام أخرى أمامه . كما اصطدم بنيران قوية أطلقتها المدفعية الألمانية المضادة للدبابات ؛ والدبابات ، التي فتحت نيرانها من مواقع مجهزة في المنطقة الواقعة عند الطرف الغربي للتبة . وخسر اللواء في ساعات الصباح الأولى (٥٠) دبابة .

أما قوات الفيلق العاشر ؛ فقد عبرت عناصرها المتقدمة خط انطلاقها في الساعة (٠٢,٠٠) وتقدمت خلف قوات الفيلق الثلاثين . وقد حاولت الفرقتان المدرعتان الأولى والعاشرة ، اجتياز الثغرات التي تم فتحها ؛ إلا أنهما تأخرتا كثيراً عن الموعد المحدد لتقدمهما ، بسبب البطء الشديد في فتح الثغرات والذي نتج عن شدة نيران الدفاع .

وهكذا ، فعند أول ضوء من يوم ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ لم يكن قد نجح في عبور الثغرات ؛ والوصول إلى ما وراء المشاة في الثغرات ، إلا اللواء المدرع المتقدم . ولم تتمكن الفرقتان المدرعتان بالتالي تنفيذ الواجب الملقى على عاتقهما وهو عبور الثغرات في حقول الألغام ؛ والانتشار غربي الثغرات التي احتلتها المشاة قبل أول ضوء .

قام أحد ألوية الفرقة الأسترالية التاسعة أثناء ذلك بهجوم خداعي في أقصى الشمال (بين تل العيصى والبحر) ، كما تمت عملية إنزال بحري خلف الخطوط الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية . ونجحت العمليتان في تحقيق الهدف ، إذ بقيت قيادة قوات المحور حتى صباح يوم ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وهي تجهل الاتجاه الرئيسي للهجوم ؛ ولهذا فإنها لم تعمل على تبديل أوضاع قواتها الاحتياطية .

سارت العمليات في القطاع الجنوبي بشكل مغاير ؛ فقد قامت إحدى كتائب الاستطلاع ومعها كتيبة من الفرقة ٤٤ ، بدعم من

خمس بطاريات مدفعية ميدان ، بعملية فتح الثغرة عبر حقل الألغام الذي كان يحمل اسم (حقل ألغام كانون الثاني ـ يناير ـ)(*) . وقد نجحت الكتيبتان في ذلك ، لكن بعض ناقلات الجند من كتيبة الاستطلاع ارتطمت ببعض الألغام المبعثرة على مسافة (١٥٠٠) م تقريباً شرقي (حقل ألغام شباط ـ فبراير ـ) فظنت أن هذه الألغام المبعثرة هي حقل (ألغام شباط ـ فبراير ـ) ولذلك استمرت في رفعها حتى الفجر ؛ وعندها اتضح لها أنها لم تصل بعد إلى حقل ألغام شباط ـ فبراير ـ الحقيقي . فكان من نتيجة هذا الخطأ أن انحصر عدد كبير من ناقلات الجند ؛ وكثير من دبابات اللواء المتقدم من الفرقة المدرعة السابعة والتي كانت تحاول التقدم وراء القوات الأمامية المكلفة بفتح الثغرة ، وأصبح موقفها حرجاً وهي متوقفة بين حقلي ألغام (كانون الثاني وشباط) إذ أصبحت هدفاً ثابتاً للنيران الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، فكان لا بد من متابعة فتح الثغرات في وضح النهار .

قام اللواء الأول لقوات الفرنسيين الأحرار (الديغوليين) بهجوم ثانوي في ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ للاستيلاء على (هضبة هنتر) الواقعة إلى الجنوب ـ قرب منخفض القطارة ـ حيث كانت هذه الهضبة مهيمنة على معظم القطاع الجنوبي . وتقدم اللواء

(*) قام البريطانيون بزرع حقلين للألغام إلى الغرب من مواقعهم الدفاعية ؛ وأطلقوا على الحقل الشرقي منهما اسم (حقل ألغام كانون الثاني) في حين أطلقوا على الغربي اسم (شباط ـ فبراير) وقد استولت قوات (رومل) على الحقلين أثناء معركة (علم حلفا) وظلت محتفظة بهما حتى معركة العلمين .

مسافة أربعة كيلومترات تقريباً ؛ ونجح في الاستيلاء على الهضبة في الساعة (٠٢,٣٠) ، إلا أنه لم يتمكن من إحضار مدافعه المضادة للدبابات بسبب الرمال الناعمة التي كانت تعيق التحرك . فقامت بعض الدبابات الألمانية بهجوم مضاد وتمكنت من طرد القوات الفرنسية .

هكذا انتهت عمليات ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وكان النجاح محدوداً .

ففي الشمال ؛ استطاعت قوات الجيش الثامن فتح إحدى الثغرتين ؛ ولم تنجز فتح الثغرة الثانية ، ولم تتمكن القوات المدرعة من الوصول إلى ما وراء خطوط الجبهة . كما وجد الفيلق الثلاثين نفسه عند الفجر من يوم ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وهو لا زال يخوض قتالاً متلاحماً مع القوات الألمانية ؛ حيث ظهر بأن مواقع القوات الألمانية ـ الإيطالية كانت أعمق بكثير مما كان يعتقده البريطانيون ؛ وأنه لا زالت أمامهم حقول كثيفة من الألغام والمواقع الدفاعية، وأن كل ما حدث من قتال واشتباك في الليل كان مع قوات (الستارة الوقائية) ؛ ذلك أن رومل قد نشر في مواقعه المتقدمة قوات قليلة من المشاة بينما احتفظ بمعظم قواته في المواقع الخلفية التي نظمها تنظيماً جديداً ودعمها بقوة .

أما في القطاع الجنوبي فكان الموقف أسوأ من ذلك ؛ إذ تورطت قوات الاقتحام بين حقول الألغام ؛ وغاصت فيها ، فكان حظها من النجاح محدوداً جداً .

كان القائد الألماني (رومل) غائباً في ألمانيا ؛ للعلاج ولشرح موقف قواته وطلب الدعم من القيادة ، وقد تولى قيادة القوات الألمانية ـ الإيطالية في غيابه (الجنرال ستيوم) . ولما كانت القوات الألمانية ـ الإيطالية تعاني من النقص الخطير في الإمداد بالذخائر والوقود ، فقد أصدر (ستيوم) أوامره بعدم فتح نار المدفعية لضرب تحشدات القوات البريطانية ؛ أو التعامل مع مدفعيتها ، ولم يكتشف خطأه هذا إلا في الصباح ، حيث تبين له أن القيود التي فرضها على استهلاك الذخائر ، ستؤدي إلى انهيار مواقعه الدفاعية ، وعندها أصدر أوامره بضرب قوات الهجوم البريطاني بأقصى كثافة ممكنة .

وانطلقت المدفعية الألمانية ـ الإيطالية في قذف قنابلها طوال يوم ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ على الثغرات التي فتحها البريطانيون وعلى قواتهم المحتشدة بالقرب منها ، فاضطرت القوات المدرعة البريطانية للانسحاب إلى ما وراء (تبة المطرية) ، حيث استمرت من هناك في الاشتباك بنيرانها مع الدبابات الألمانية ؛ ومع مرابض المدفعية المضادة للدبابات .

وقد حاول الفيلق البريطاني الثلاثين ؛ الاستيلاء على بقية المواقع التي تمكنه من الوصول إلى الأرض المكشوفة فيما وراء المواقع الألمانية ـ الإيطالية .

ودار قتال عنيف للغاية ، وخاصة في قطاع الفرقة النيوزيلاندية الثانية ، التي حاولت التقدم على الاتجاه الجنوبي ـ الغربي من (تبة

المطرية) ، ولكن الهجمات المتتالية لم تحرز إلا قدراً قليلاً من النجاح .

كما قامت الفرقة (٥١) بتجديد هجماتها في الساعة ١٥,٠٠ في محاولة لتوسيع منطقة انتشارها خلف الثغرة الشمالية ؛ وذلك حتى تتمكن الفرقة المدرعة الأولى من عبور الثغرة . ولقد استطاعت الفرقة (٥١) بعد هجمات عنيفة متتالية من السيطرة على منطقة مناسبة ، فتقدمت الفرقة المدرعة الأولى بحذر ؛ وتمكن اللواء المدرع الثاني التابع لها من عبور الثغرة في الساعة ١٨,٠٠ ؛ وانتشر في مواقع مناسبة إلى الغرب من حقل الألغام .

أصدر القائد الألماني (ستيوم) أمره إلى فرقة البانزر (١٥) للقيام بهجوم مضاد ؛ تم التحضير له على عجل ؛ بهدف طرد البريطانيين من منطقة الثغرة في القطاع الشمالي . وفشل هجوم فرقة البانزر ؛ فتكررت محاولات الهجوم طوال النهار ؛ وتعرضت دبابات الفرقة خلال هذه الهجمات للخسائر الفادحة ، بتأثير إغارات الطيران البريطاني العنيفة ؛ وضربات المدفعية المضادة للدبابات . وفي المساء لم يبق من أصل دبابات الفرقة التي كان عددها ١١٩ دبابة أكثر من ٣١ دبابة فقط .

أما في القطاع الجنوبي ؛ فقد استمرت المحاولات طوال النهار لفتح الثغرة في (حقل ألغام شباط ـ فبراير ـ) ولكن دون جدوى ؛ حتى حل الظلام ، وقد تعرضت القوات التي كلفت بفتح الثغرة للخسائر الفادحة . وقد قام اللواء اليوناني بإغارة على مواقع

الإيطاليين في جنوب (هضبة الرويسات) ونجح في إنزال بعض الخسائر في القوات الإيطالية ؛ ثم عاد ثانية إلى قاعدة هجومه .

قام الفيلق الثلاثين في ليل ٢٤ ـ ٢٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ بمحاولة جديدة في القطاع الشمالي وذلك لمساعدة القوات المدرعة على عبور حقول الألغام ، فشن هجوماً عنيفاً بدعم مدفعية الفيلق ـ حوالي ٣٠٠ مدفع ـ وذلك في الساعة (٢٢,٠٠) .

وبالرغم من استعداد القوات الألمانية ـ الإيطالية لمجابهة هذا الهجوم ـ بعد أن أفاقت من ذهول المباغتة ـ . وبالرغم أيضاً من تكثيف نيران المدفعية بضربات الطيران ؛ فقد تمكن اللواء المدرع ٢٤ من الفرقة المدرعة العاشرة من عبور الثغرة الشمالية ؛ واتصل باللواء المدرع الثاني الذي عبر الثغرة الشمالية قبل الغروب . كما نجح اللواء المدرع التاسع أيضاً في عبور الثغرة ؛ واتخذ المواقع الدفاعية المحددة له إلى الجنوب من غرب الثغرة . وشرعت بعد ذلك بقية قوات الفرقة المدرعة العاشرة في اجتياز الثغرة المذكورة ؛ كما شرعت الفرقة المدرعة الأولى في اجتياز الثغرة الشمالية . وقد نجحت الفرقة الأولى في احتلال مواقعها غرب الثغرة . أما الفرقة العاشرة فقد توقفت لأن القوات الألمانية ـ الإيطالية حققت نجاحاً في إقفال الثغرة الجنوبية بنيران المدفعية ؛ وقد تكدست دبابات الفرقة وعرباتها بشكل فوضوي وخطير داخل الثغرة .

وقد نجحت مشاة الفيلق الثلاثين في اجتياح بعض الكتائب الألمانية (من فرقة المشاة ١٦٤) وبعض الكتائب الإيطالية ؛ إلا

أنها لم تتمكن من فتح ثغرة كاملة في الدفاعات الألمانية ـ الإيطالية وهكذا أصبح الموقف في القطاع الشمالي بعد قتال تلك الليلة :

أولاً : تمكنت المشاة من توسيع النتوء في المواقع الألمانية ـ الإيطالية ؛ إلا أنها لم تنجح نهائياً في اختراق تلك المواقع .

ثانياً : نجحت الفرقة المدرعة الأولى واللواء المدرع ٢٤ (من الفرقة المدرعة العاشرة) واللواء المدرع التاسع (الملحق بقيادة الفرقة النيوزيلاندية الثانية) في عبور حقول الألغام ؛ وانتشرت هذه القوات غربي المنطقة التي استولت عليها المشاة (على بعد ستة كيلومترات إلى الشمال الغربي من تلة المطرية) وعلى جبهة في حدود عشرة كيلومترات ، واستعدت لمواجهة أي هجمات مضادة قد تقوم بها القوات المدرعة الألمانية .

ثالثاً : توقفت بقية الفرقة المدرعة العاشرة داخل الثغرة الجنوبية ؛ وإلى الشرق منها .

أما في القطاع الجنوبي فقد تمكن أحد ألوية فرقة المشاة ٤٤ من فتح ثغرة (في حقل ألغام شباط) وذلك في الساعة (٠٢,٠٠) ونظم ثغرة بعمق ٨٠٠ متر خلف حقل الألغام المذكور . وشرعت فرقة المدرعات السابعة في اجتياز الثغرة . ونجح فعلاً اللواء المدرع الخفيف الرابع في ذلك ، إلا أنه قوبل عندما حاول نشر قواته خلف الثغرة بألغام مبعثرة جديدة وبنيران شديدة من المدفعية المضادة للدبابات ، فاضطر للتوقف . وتوقفت بالتالي عملية عبور باقي

الفرقة المدرعة السابعة للثغرة .

انتهت بذلك المرحلة الأولى من معركة العلمين وبدأت مع صباح يوم ٢٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢ المرحلة الثانية من المعركة .

أصدر (مونتغومري) أوامره للقوات المدرعة التي عبرت حقول الألغام بشق طريقها غرباً من أجل اختراق بقية المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية والوصول إلى نهاية تلك المواقع ، وكان يأمل في أن يتمكن من إعداد الظروف المناسبة لإطلاق اللواء المدرع الثاني (التابع للفرقة المدرعة الأولى) إلى منطقة (سيدي عبد الرحمن) حيث تتمركز فيها المنطقة الإدارية الأمامية للقوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ والتي يؤدي الاستيلاء عليها إلى إرباك نظام التموين والامداد إرباكاً شديداً ؛ علاوة على أن الوصول إلى تلك المنطقة يقطع طريق الانسحاب الرئيسي لقوات رومل على الطريق الساحلي .

وهكذا ؛ بدأت القوات المدرعة تقدمها ما بين الساعة (٠٩,٠٠) والساعة (١٠,٠٠) إلا أنها ارتطمت بحقول ألغام جديدة كانت تغطيها وتحميها نيران شديدة من المدافع المضادة للدبابات ؛ وبالإضافة إلى ذلك فقد قامت فرقة البانزر الألمانية الخامسة عشرة ـ بعد أن نجحت في إصلاح عدد كبير من دباباتها ، التي أصيبت في اشتباكات اليوم السابق ـ بهجمات مضادة متتالية استمرت حتى ما بعد الظهر حيث قامت القوات الألمانية بهجوم

مضاد كبير على اتجاه منطقة (تبة كيدني) ، وقد تمكنت القوات المدرعة البريطانية من إحباط هذه الهجمات جميعها ؛ إلا أنها لم تتمكن بالمقابل من إحراز أي نجاح في تقدمها نحو الغرب .

أما في القطاع الجنوبي فقد حاول اللواء المدرع الخفيف الرابع فتح ثغرة جديدة في حقول الألغام لاستئناف التقدم غرباً ؛ إلا أنه خسر في هذه المحاولة ٥١ دبابة ، وأصبح من الواضح أن أي محاولة جديدة للتقدم في ذلك القطاع ؛ لن ينتج عنها سوى مضاعفة الخسائر ، ولذلك أصدر مونتغومري أوامره بسحب هذا اللواء للخلف مع قيام المشاة بدعم مواقعها في منطقة الثغرة .

عاد رومل من ألمانيا في هذا اليوم (٢٥ تشرين الأول ـ أكتوبر) ، وكان نائبه في غيابه (الجنرال ستيوم) قد قتل في اليوم السابق ، فتولى (رومل) على الفور قيادة جيش البانزر الأول ، وكان قد أوصى وهو في طريق عودته ، القيادة الإيطالية العليا ، باستخدام كل السفن المتوافرة (التجارية والحربية) لنقل الذخائر والوقود بصورة عاجلة إلى أفريقية .

وقدر (رومل) موقف قواته بعد وصوله ، فوجد أنه من الضروري القيام بهجوم مضاد بجميع قواته الاحتياطية ضد المنطقة التي استولى عليها البريطانيون في القطاع الشمالي من جبهته الدفاعية ، وذلك لطردهم منها ولإعادة التوازن إلى جبهته الدفاعية .

ولكن سرعان ما أصيب (رومل) بخيبة الأمل عندما تبين له أن

ما هو متوافر لديه من الوقود لا يكفي لأكثر من ثلاثمائة كيلومتر لكل آلية وعربة من آلياته ومركباته ، فقرر عندها تكليف فرقة البانزر ١٥ والفرقة المدرعة الإيطالية (ليتوريو) وكتيبة واحدة من فرقة (برسجليري) للقيام بهذا الهجوم الذي حدد أول ضوء من يوم ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ موعداً للبدء بتنفيذه .

اتصل عمل النهار بالعمل في ليل ٢٥ ـ ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢ ؛ فقد انصرف (مونتغومري) لدراسة الموقف في قطاع عمل الفرقة المدرعة البريطانية العاشرة التي تعذر عليها نقل بقية وحداتها عبر الثغرة الجنوبية في القطاع الشمالي ؛ رغم المحاولات المتتالية لفتح الثغرة . ولهذا أصدر (مونتغومري) أمره بوضع اللواء المدرع ٢٤ التابع لتلك الفرقة ، وهو اللواء الذي نجح في عبور الثغرة في ليل ٢٤ ـ ٢٥ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ، ليعمل تحت قيادة الفرقة المدرعة الأولى ، والتي كانت قد وصلت إلى ما وراء حقول الألغام ، كما أمر بسحب الفرقة المدرعة العاشرة من منطقة الثغرة إلى الخلف ؛ ووضعها في الاحتياط .

وقد جددت فرق المشاة البريطانية هجماتها لتوسيع مجال عملياتها في الغرب ؛ على أمل إتمام عملية اختراق المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، فقامت الفرقة النيوزيلاندية الثانية بعدد من الهجمات الليلية عند الطرف الغربي لتبة المطرية ؛ إلا أن قوات المحور صدتها بعد أن أنزلت بها خسائر فادحة ، مما اضطر (مونتغومري) إلى إصدار أوامره بسحب اللواء المدرع التاسع

(الذي كان منتشراً مع باقي القوات المدرعة البريطانية غربي المنطقة التي استولت عليها قوات المشاة) وتخصيصه لدعم الفرقة النيوزيلاندية في هجماتها خلال اليوم التالي . هذا وقد قامت الفرقة ٥١ أيضاً خلال الليل بعدد من العمليات الهجومية التي ساعدت على تحسين مواقع هذه الفرقة .

أما في الشمال فقد كانت هناك منطقة أرضية مرتفعة تحتلها القوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ وتشرف على الجانب الأيمن للفرقة الأسترالية التاسعة . ولذلك قررت الفرقة المذكورة الاستيلاء على هذه المنطقة المرتفعة لحماية جانبها الأيمن من جهة ؛ ولتوسيع مجال عمل القوات البريطانية نحو الشمال من جهة أخرى . وقد نجحت إحدى الدوريات الأسترالية في الحصول على خارطة تحمل مراكز جميع المواقع الدفاعية الألمانية في تلك المنطقة ، فقام أحد الألوية الأسترالية في منتصف الليل بالهجوم على تلك المنطقة ، ونجح في الوصول إلى ذروة المرتفع والأرض الممتدة إلى شرقه لمسافة خمسة كيلومترات تقريباً ؛ واستطاع الفيلق الثلاثين بذلك التقدم شمالاً خلال تلك الليلة ، بينما تعذر عليه التقدم نحو الغرب . وقد اضطر (رومل) خلال هذه المعارك الليلية لزج أكثر وحدات المشاة الميكانيكية (من فرقة البانزر ١٥) لدعم قواته في مواجهة الهجمات البريطانية المتتالية ؛ مما أدى إلى استنزاف قواته الاحتياطية التي كان يريد استخدامها في عملية الهجوم المضاد العام ، والتي كان قد اتخذ القرار للقيام بها في اليوم التالي .

أما في القطاع الجنوبي فقد قام أحد ألـوية فـرقة المشـاة (٥٠) بهجوم خداعي إلى الجنوب الغربي من منخفض (ديـر المناصيب) بدعم من نيران اللواء المدرع الخفيف الرابع ؛ وذلك بهدف الإبقاء على حالة التهديد البريطاني ضد قـوات المحور في القـطاع الجنوبي حتى لا يسحب قـواته الاحتيـاطية من ذلـك القـطاع إلى القـطاع الشمالي. وقد حقق هجـوم اللواء نجاحـاً باستيـلائه عـلى الجانب الشرقي من الهدف ، إلا أن الهجوم فشل بعد ذلك بسبب ارتطام المشـاة بكثير من الألغـام المضـادة لـلأشخـاص ، وبسبب كثـافـة الشبكات المتتالية من السياج الشـائك ، وتمكنت قـوات المحور في النهاية من طرد قوات الهجـوم البريـطاني بعد أن أنـزلت بها فـادح الخسائر ـ بنيران مدافع الهاون ـ .

قام (رومل) بهجومه المضاد الكبير في الصباح المبكر من يوم ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ بقوة فرقة البانزر الخامسة عشرة ؛ والفرقة المدرعة الإيطالية ليتـوريو ؛ وكتيبـة من قوات (برسجلبيري) ، واشتركت جميع قطع المدفعية الموجودة في القطاع الشمالي بدعم هذا الهجوم ، علاوة على عدد كبير من المدافع المضادة للطائـرات التي استخدمت لضرب أهداف أرضية ، مثلها كمثل مدفعية الميدان ، إلا أن الهجوم توقف بعد ساعات قليلة من بداية انطلاقته ، وذلك بسبب المقاومة الضارية للقـوات البريـطانية ، ولم تتمكن القـوات الألمانية ـ الإيطالية من إحراز أي نجاح ؛ رغم خسارتها الكبيرة في الدبابات .

وقامت بعدئـذ الفرقـة المدرعـة البريـطانية الأولى ومعهـا اللواء

المدرع ٢٤ بهجوم مضاد عنيف في منطقة (كيدني) على أمل عبور درب (سيدي عبد الرحمن) ولكنها فشلت بـدورها في إحـراز أي تقدم ، وحاول اللواء المحمول ـ الآلي ـ السابـع بعد ذلـك تثبيت أقـدامه عـلى (مرتفـع ـ تبة كيـدني) ولكن بـدون جـدوى بسبب الهجمات المضادة العنيفة للقوات الألمانية ـ الإيطالية .

أما في منطقة (تبة المطرية) فقد تمكنت الفرقـة النيوزيـلانديـة الثانية وفرقة جنـوب أفريقيـا الأولى من التقدم لمسـافة كيلومتـرين تقـريباً بعـد قتال عنيف جـداً ، تعرضت خـلاله قـوات الفرقتـين لخسائر كبيرة .

قام السلاح الملكي البريطاني بنشاط كبير ومستمـر طوال النهـار فوق المواقع الألمانية ـ الإيطالية ، حيث عملت قاذفات القنابل على شن إغارات عنيفة كان لها تأثيرهـا الواضـح على الـروح المعنويـة لقوات المحور ـ وخاصة القوات الإيطالية ـ .

أصـدر (مونتغومري) أوامره في هذا اليوم (٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر) إلى الفيلق ١٣ بإيقاف عملياته الهجومية في القطاع الجنوبي بعد أن تبين له عقم الهجمات التي لم تؤد إلا إلى زيادة نسبة الخسائر في قواته ، كما أمر هذا الفيلق بالاستعـداد لإرسال بعض وحـداته وبعض الإمدادات إلى القطاع الشمالي .

أدرك (روميل) بأن كـل الجهود البـريطانيـة موجهـة لاختراق القطاع الشمالي من جبهته فقرر تعديل خطته الدفاعية . وكان أول عمل قام به هو إصدار الأمر إلى الفرقة الخفيفة ٩٠ بترك واجباتها في

حراسة الشاطىء ، والتحرك إلى المنطقة في جنـوب (سيدي عبـد الرحمن) لاحتلال مواقع دفاعية هناك . كما أصدر أمره إلى الفرقة المحمولة بالسيارات (تريستا) ـ وهي فرقة إيطالية ـ بـالتحرك إلى المنطقة في شرق (الضبعة) حيث توجد قاعدته الإدارية الكبرى ، وذلك لحمايتها من أي قوات قد تتسلل إلى تلك المنطقة .

وقد أعاد (رومل) تقدير موقف قواته في أعقاب فشل هجـومه المضاد (صباح يوم ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ) ، فوجد بأن قواته الاحتيـاطية المـوجودة في القـطاع الشمالي لا تكفي للقيـام بعمـل حاسم ضد القوات البريطانية المهاجمة في ذلـك القطاع ، إذ بقيت القـوات البريـطانية متفـوقة في المـدرعات ، رغم مـا نزل بهـا من الخسائر الكبيرة في الدبابات خلال الأيام السابقة ؛ بحيث أنهم لم يـزجوا في المعـركة بـأكثر من نصف قـواتهم المدرعـة ، كما احتفظ البريطانيون بتفوقهم الجوي بحيث أن الهجمات الجوية البريطانية والمتتالية فوق منطقة القتال قد أدت إلى إرهاق أعصاب قواته ، كما أدت الإغارات الجويـة على خـطوط المواصـلات البحريـة للقوات الألمانية ـ الإيطالية إلى خسارة معظم الإمدادات المرسلة إلى شمال أفريقية .

وهكذا ؛ وعلى الرغم من اضطلاع سـلاح الجو الألمـاني بجهد كبير لنقل البترول إلى قوات (رومـل) فإن المـوقف الإداري بقي سيئاً للغاية .

ومقابل ذلك ، فبالرغم من احتفاظ البريطانيين بتفوقهم البري

والجوي ؛ وامتلاك (مونتغومري) للمبادأة ، إلا أن القوة الدافعة للهجوم البريطاني قد تناقصت ووصلت إلى حد التوقف التام خلال اليومين الأخيرين ، كما أن جميع أعمال القيادة البريطانية قد اتسمت بالحذر الشديد ـ لا سيما في مجال استخدام القوات المدرعة ـ كما برهنت الاشتباكات المتتالية الأخيرة أن المستوى التدريبي ، وكفاءة القيادة في القوات المدرعة البريطانية هي أقل من مثيلتها في وسط قوات البانزر الألمانية . وعلى هذا ، فإنه بالمستطاع استثمار هذه الحقيقة لقلب التوازن لمصلحة القوات الألمانية ـ الإيطالية بحيث يمكن القضاء على القسم الأكبر من المدرعات البريطانية لو أمكن اجتذابها إلى معركة تصادمية ، ومن أجل ذلك ؛ ينبغي تجميع كافة القوات المدرعة الألمانية ـ الإيطالية ؛ بما في ذلك تلك الموجودة في القطاع الجنوبي ؛ مع تجميع كل المشاة الميكانيكية المتوافرة أيضاً للاشتراك في المعركة الحاسمة بأكبر حشد ممكن . وعقب إكمال هذا الحشد ، تعطى الفرصة للقوات المدرعة البريطانية لاختراق المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية ، وتنسحب القوات المدرعة التابعة للمحور عدة أميال إلى الخلف ؛ ثم تقابل المدرعات البريطانية التي تطاردها في معركة تصادمية ـ جبهية ـ . هذا ومما سيرجح كفة القوات الألمانية ـ الإيطالية في هذه المعركة ، توافر الإمكانات لرومل لحشد أكبر عدد من وحدات المدفعية في مناطق مختارة ، يمكن منها دعم القوات المدرعة بالنيران ، بينما لن يتوافر للقوات البريطانية فرصة استخدام جانب كبير من مدفعيتهم ؛ نظراً لأن أرض المعركة ستنتخب خارج مدى المواقع

التي كـانت تحتلها المـدفعية البـريطانيـة في ذلـك الـوقت ؛ وكـان (رومل) على ثقة تامة بأن خصمه (مونتغـومري) والـذي يعمل بحذر كبير ؛ سوف لن يحرك في هذه الحالـة سوى عـدد قليل من وحدات المدفعية للأمام ؛ لدعم قواتـه المدرعة ؛ وسيحتفظ بالجزء الأعظم من المدفعية في مواقعها الأصلية ؛ خـوفاً عـلى الجبهة التي تحتلها قوات المشاة . وكان (رومل) يأمل أن يتمكن بعد القضاء على الجزء الأكبـر من المدرعـات البريـطانية ؛ من القيـام بسهولـة بهجوم مضاد عام لطرد البريطانيين من المواقع التي استولوا عليها .

ونظراً لأن تنفيذ هذه الخطة يتطلب كميات كبيرة من الوقـود ؛ فقـد بحث (رومل) مـوقف الوقـود المتوافـر لـديـه ؛ فـوجـد أن الكميات المتوافرة لديه في شمال أفـريقيا لا تكفي لتسيير عربات الإمداد والتموين لأكثر من ثلاثة أيام ، وتأمين متـطلبات القـوات المدرعة لمدة يوم أو يومين فقط على الأكثر ، وقد أرسل برقية عاجلة إلى القيادة الإيطالية العليا لإرسال شحنات فورية إليـه من الوقـود (بالطائرات والسفن) إلا أن الغارات الجوية البريطانية الشديـدة على خط المواصـلات البحري الألمـاني ـ الإيطالي أدت إلى إغـراق جميع السفن التي شحنت بالوقود، وقـد تمكنت سفينة واحـدة من الإفلات ؛ إلا أنها أغرقت عنـد دخولهـا إلى ميناء طبـرق في مساء اليـوم التالي ، وبـذلك ضـاع كل أمـل (لرومـل) في تنفيذ خـطتـه الجريئة . ولم يبق (لـرومل) أي حـل بعد ذلـك إلا اتخاذ مـوقف الدفاع ، وعـدم تجاوز حـدود القيام بـالهجمات المضـادة المحدودة بالقوات المتوافرة لديه ؛ ولكنـه من ناحيـة أخرى ؛ وجـد أنه من

الضروري دعم قواته الاحتياطية في القطاع الشمالي . وكان موقفه حرجاً للغاية فيما يتعلق باتخاذ قرار بشأن تحريك قواته المدرعة الموجودة بالقطاع الجنوبي نحو الشمال ، إذ أن كميات الوقود التي لديه لا تكفي لإعادتها ثانية إلى الجنوب ؛ فيما لو تجدد هجوم البريطانيين هناك ؛ هذا علاوة على أن الجزء الأعظم من القوات الألمانية ـ الإيطالية الموجودة في قطاع الجبهة هناك ، كانوا من الإيطاليين الذين يصعب الاعتماد عليهم في الصمود بمواقعهم دون وجود احتياطي كبير .

وقرر روميل في النهاية ؛ وذلك على الرغم من كافة الاعتبارات السالفة الذكر ؛ تحريك فرقة البانزر ٢١ وكذلك ثلث قوة الفرقة المدرعة الإيطالية (آرييتي) ونصف مدفعية الجيش الموجودة بالقطاع الجنوبي ؛ ونقلها إلى الشمال . وأرسل في الوقت ذاته إعلاماً لاسلكياً ـ تلغرافياً ـ إلى مقر قيادة هتلر لإعلامه بأنه سوف يخسر المعركة إذا لم تصله الإمدادات بصورة عاجلة . كما أرسل إعلاماً لاسلكياً آخر إلى مقر القيادة الإيطالية العليا لطلب الإمدادات العاجلة والفورية ـ وخاصة الوقود والذخائر ـ .

وجاء ليل ٢٦ ـ ٢٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ حاملاً معه تطورات جديدة ؛ فقد استمرت القوات البريطانية في محاولاتها لتوسيع المناطق التي استولت عليها في القطاع الشمالي . وتمكن اللواء المحمول ـ بالسيارات ـ ١٧ من الاستيلاء على (تبة كيدني) عقب هجوم عنيف وسريع تعرض خلاله لخسائر فادحة . وفي هذا

الوقت كانت القوات المدرعة الألمانية - الإيطالية الموجودة في احتياط القطاع الجنوبي قد شرعت في التحرك نحو القطاع الشمالي ومعها نصف وحدات المدفعية ، وانتهت هذه التحركات قبل الفجر .

حتى إذا ما كان يوم ٢٧ تشرين الأول - أكتوبر - قام البريطانيون مع الساعات المبكرة للنهار بتجديد هجماتهم العنيفة لتوسيع منطقة عملياتهم إلى الغرب من منطقة (تبة كيدني) ، ولقيت تلك الهجمات دعماً قوياً من المدفعية والطيران ، إلا أن القوات الألمانية - الإيطالية نجحت في صدها جميعاً ؛ وأنزلت بقوات الهجوم فادح الخسائر ؛ الأمر الذي أدى إلى توقف هذه الهجمات توقفاً تاماً عند الظهيرة .

كما عجزت القوات المدرعة البريطانية عن إحراز أي تقدم ، فانتهز (رومل) فرصة توقف الهجمات البريطانية ؛ وقرر القيام بهجوم مضاد قوي بقوات فرقتي البانزر ١٥ و٢١ والفرقة الخفيفة ٩٠ والفرقة الإيطالية (ليتوريو) المدرعة ، وثلث الفرقة الإيطالية المدرعة (آرييتي) ، فتم وضع خطة هذا الهجوم على عجل ، وأصدر (رومل) أمره إلى جميع وحدات مدفعية الميدان في القطاع الشمالي ، وإلى المدفعية التي وصلت في الليلة السابقة من القطاع الجنوبي ؛ بدعم الهجوم .

كما اتخذت الترتيبات لقيام جميع الطائرات القاذفة والانقضاضية بالتمهيد للهجوم ودعمه بأعلى كثافة نارية ممكنة .

وبدأ الهجوم في الساعة (١٥,٠٠) واستمرت الطائرات القاذفة

والانقضاضية بهجومها على مواقع القوات البـريطانيـة في (منطقـة كيدني) بمنتهى القوة والعنف ، ثم تقدمت دبابات فرق البانزر ومن خلفها مشاة الفرقة الخفيفة ٩٠ ، ولكنها جوبهت بنيران عنيفة جداً من الدبابات البريطانية التي كانت منتشرة إلى الغـرب من منطقـة الثغرة ، بالإضافة إلى نيران المدفعيـة المضادة للدبـابات . وكـانت جميع الدبابات البريطانية تحتل مواقع محمية (داخل حفـر عميقة) ولذلك نجحت في إصابة عدد كبير من دبابات المحور التي كررت محاولاتها لاختـراق نطاق النيـران المضادة للدبـابات ؛ لكن بـدون جدوى ؛ وانتهى الهجوم بالفشل بعـد أن خسر رومل عـدداً كبيراً من دباباته .

وقد حاول (رومل) تجديد الهجوم بالمشاة فقط بعد أن تأكد من عجز الدبابات عن التقدم أمام ستارة النيران المضادة للدبابـات ؛ فأمر الفرقة الخفيفة ٩٠ بتجديد الهجوم بمفردها ضد النقطة ٢٩ في قطاع الفرقـة الأستراليـة التاسعـة ؛ ولكنها فشلت بـدورها بسبب نيران المدفعية والطيران ، وبذلك توقف هجـوم (رومل) المضـاد دون إحراز أي نجاح .

وكان من أسباب الفشـل الرئيسـة ، قلة الوقت المتـوافر لقـادة الوحدات من أجل القيام بالاستطلاع قبل بدء الهجوم ، علاوة على أن القوات الجوية البريطانية أنزلت بالقوات المهاجمة أفدح الخسائر بسبب هجمـاتها العنيفـة المتتاليـة على منـاطق حشد تلك القـوات وقواعد هجومها .

وأيقن (رومل) بعد هذا الفشل أنه لم يعد هناك ثمة أمل في الصمود بمنطقة العلمين ؛ إلا إذا وصلته إمدادات كبيرة ، ولذلك أرسل مجدداً إلى القيادة الألمانية العليا برقية طلب فيها إرسال الدعم ، وكان هذا الطلب أشبه بنداء استغاثة .

جاء دور (مونتغومري) لتعديل خطة هجومه ، بعد أن شعر بأن القوة الدافعة لهجومه في صباح يوم ٢٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ قد توقفت تماماً ؛ ذلك أن الفرقة النيوزيلاندية الثانية وفرقة جنوب أفريقيا الأولى ؛ واللتين خاضتا المعارك الضارية منذ بداية معركة العلمين ، قد تعرضتا للكثير من الخسائر دون أن تتمكنا من إحراز تقدم كبير في منطقة (تبة المطرية) ، كما عجزت القوات المدرعة عن اختراق المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية على اتجاه درب (سيدي عبد الرحمن) ، في حين لا زالت بعض حقول الألغام تعترض سبيل تقدم الجيش الثامن ؛ بالإضافة إلى بعض المواقع الدفاعية القوية التي تقع في مواجهة جبهة الهجوم . ولهذا قرر (مونتغومري) القيام بعمل سريع وحاسم لإنقاذ الموقف ؛ لا سيما وأنه لا زال يمتلك قوة كافية من الدبابات ؛ كما أن إمداداته بالوقود والذخائر كانت متوافرة ومنتظمة . ووجد أنه يجب التخلي عن فكرة اختراق (منطقة المطرية) ونقل ثقل الهجوم نحو الشمال ، مستغلاً النجاح الذي حققته الفرقة الأسترالية التاسعة في هجومها على النقطة ٢٩ في ليل ٢٥ ـ ٢٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وأن يقوم في الوقت ذاته بحشد قوة ضاربة للقيام بعملية الاختراق النهائي لدفاعات المحور ، مستثمراً أيضاً نجاح الأستراليين في أقصى

الشمال . وكانت العقبة الوحيدة التي اعترضت خطته الجديدة هي أن مواقع المحور تتزايد قوة في الشمال ؛ علاوة على أن القوات الألمانية وحدها هي التي كانت تضطلع بأعباء الدفاع عن القطاع الشمالي من الجبهة .

عقد (مونتغومري) مؤتمراً لقادته في المقر الميداني لقيادة الجيش الثامن في الساعة (١٤,٠٠) من يوم ٢٧ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وشرح خطته الجديدة التي تلخصت بما يلي :

١ ـ سحب الفيلق العاشر بكامله ؛ والفرقة النيوزيلاندية الثانية ؛ ومعها اللواء المدرع التاسع من المنطقة المتقدمة فيما وراء الثغرات ، ووضع هذه القوات في الخلف للعمل في الاحتياط .

٢ ـ نقل الفرقة المدرعة السابعة ولواء مشاة من كل من الفرقة ٤٤ والفرقة ٥٠ ؛ واللواء اليوناني من القطاع الجنوبي إلى القطاع الشمالي للانضمام إلى القوة الضاربة ، إذ لم يعد هناك ما يدعو لإبقاء هذه القوات في الجنوب بعد أن زال الخطر الذي كان يتهدد القطاع الجنوبي ؛ عندما سحب رومل ـ في الليلة السابقة ـ قواته الاحتياطية من الجنوب .

٣ ـ وضع الفرقة الهندية الرابعة تحت قيادة الفيلق ١٣ والذي امتدت جبهة هجومه حتى (تبة المطرية) .

٤ ـ وضع فرقة جنوب أفريقيا الأولى محل الفرقة النيوزيلاندية

الثانية ، التي ستخليها الفرقة الأخيرة ، مع تمديد جبهة الفرقة الهندية الرابعة لتشمل المواقع التي ستخليها فرقة جنوب أفريقيا الأولى .

٥ ـ وضع اللواء الأيمن من الفرقة ٥١ محل اللواء الأيسر من الفرقة الأسترالية التاسعة حتى تتفرغ الفرقة الأخيرة لمتابعة هجومها شمالاً بكامل قوتها .

٦ ـ تمديد جبهة كل من الفرقة ٥٠ والفرقة ٤٤ في القطاع الجنوبي لتغطية كافة القطاعات التي ستخليها القوات التي ستتحرك نحو الشمال .

تم تنفيذ عمليات إعادة التنظيم التي سبق ذكرها في ليل ٢٧ ـ ٢٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وقام سلاح الجو الملكي البريطاني في هذا الليل ذاته بإغارات شديدة على سفن المحور ، وتم إغراق سفينتين كانتا محملتين بالدبابات والوقود .

استمرت عملية إعادة تجميع القوات البريطانية المخصصة للهجوم القادم في يوم ٢٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ بينما قامت القوات المتقدمة بثلاثة هجمات محدودة لإشغال قوات المحور التي صدت هذه الهجمات بسهولة وأحبطتها .

حاول (رومل) القيام بعملية استطلاع دقيقة لمنطقة (تبة كيدني) تمهيداً لأي هجمات مضادة مقابلة ؛ وذلك لتحديد نقاط ضعف التنظيم الدفاعي البريطاني ؛ وكذلك تحديد مواقع المدافع

البريطانية المضادة للدبابات ، غير أن هذا الاستطلاع لم يحقق نجاحاً كبيراً ، إذ أن الدبابات البريطانية التي كانت تحتل مرابض محمية ومحفورة ؛ اشتبكت مع عناصر الاستطلاع الألمانية من مسافات بعيدة ، ومنعتها من الاقتراب من المواقع البريطانية . وقد أمر رومل في ذلك اليوم (٢٨/١٠/١٩٤٢) بقية قواته الاحتياطية الموجودة بالقطاع الجنوبي ؛ وكذا معظم وحدات المشاة الألمانية الموجودة في الخط الدفاعي بذلك القطاع ؛ وكذلك معظم الأسلحة الثقيلة ؛ بالتحرك إلى القطاع الشمالي ؛ بعد أن اكتشف تحرك الفرقة المدرعة السابعة نحو الشمال ، واكتفى بإعادة ثلث الفرقة المدرعة الإيطالية (آرييتي) إلى القطاع الجنوبي لدعم المواقع الدفاعية هناك على القيام بهجمات محدودة إذا ما تطلب الموقف .

قام الطيران البريطاني خلال اليوم ذاته (٢٨/١٠/١٩٤٢) بإغارات عنيفة جداً على مناطق حشد القوات الاحتياطية (الألمانية ـ الإيطالية) وأنزل بها أفدح الخسائر . وكانت هذه القوات هي التي يريد (رومل) استخدامها في هجومه المضاد القوي على القوات البريطانية ، إلا أن الخسائر التي نزلت بها خلال تلك الإغارات أدت إلى تعذر القيام بذلك الهجوم . كما أن الهجمات الجوية البريطانية استمرت على القوافل البحرية والتي تزايد نشاطها لإمداد رومل باحتياجاته العاجلة ، وقد أصيبت هذه القوافل بخسائر كبيرة . إلا أن القيادة الإيطالية استخدمت عدداً من المدمرات والطرادات لنقل الوقود والذخائر . وقد تمكنت هذه القطع البحرية من الوصول سالمة لموانىء شمال أفريقيا بفضل

تسلحها القوي بالمدافع المضادة للطائرات . إلا أن الموقف الإداري لقوات (رومل) لم يشهد تحسناً ، إذ أن قوافل المحور البحرية اقتصرت على إفراغ قسم بسيط من حمولتها في ميناء طبرق ، وإفراغ القسم الأكبر في ميناء (بني غازي) لتكون خارج مجال عمل الطائرات البريطانية المنطلقة من الإسكندرية . وكان لا بد من الانتظار عدة أيام أخرى حتى يتم نقل هذه الإمدادات بالطريق البري - الساحلي - إلى المنطقة الأمامية .

اكتشف (رومل) استعدادات البريطانيين للهجوم في القطاع الشمالي ؛ وحددت طائرات استطلاعه مناطق حشد القوات المدرعة التي كان (مونتغومري) يجهزها للهجوم النهائي ، فأصدر (رومل) أمره إلى القسم الأكبر من قواته الاحتياطية باحتلال مواقع دفاعية في مواجهة مناطق حشد القوة الضاربة البريطانية لزيادة عمق المواقع الدفاعية الأساسية ، وذلك حتى يتمكن من صد الاختراق . وأدى ذلك إلى انتشار معظم قواته ، وضعف الاحتياطي لديه .

كانت الخطة البريطانية للاختراق النهائي تقضي بقيام الفرقة الأسترالية التاسعة بهجوم على اتجاه الشمال بهدف القضاء على القوات الألمانية هناك ، ثم الاندفاع غرباً حتى الوصول إلى درب (سيدي عبد الرحمن) ممهدة الطريق بذلك أمام القوات المدرعة التي تخترق حينئذ المواقع الألمانية ؛ وتنطلق إلى خطوط المواصلات الألمانية - الإيطالية

بدأت الفرقة الأسترالية التاسعة هجومها في الساعة (٠٢,٠٠) من فجر يوم ٢٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٢ ، بقوة لواءين في المقدمة وذلك بعد أن مهدت للهجوم جميع مدفعية الفيلق الثلاثين . ونجح اللواء الأيسر في اختراق المواقع الألمانية ـ الإيطالية بعد قتال عنيف استمر ست ساعات ؛ ووصل إلى قرب الطريق الساحلي بين (تل العيصى) و(سيدي عبد الرحمن) مطوقاً بذلك لواء مشاة من الفرقة الألمانية ١٦٤ وكتيبة مشاة ايطالية من (البرسجلييري) . أما اللواء الأيمن فقد توقف أمام المقاومة الضارية الألمانية عند نقطة أطلق عليها اسم (تومسون) وتقع بين (تل العيصى) والطريق الساحلي . وقد جدد البريطانيون هجومهم في الشمال ضد قوات المحور المحاصرة ؛ فأصدر (روميل) أمره بزج الفرقة الخفيفة (٩٠) في الشمال لدعم تلك القوات ؛ ولمساعدتها للخروج من حلقة الحصار . فقامت الوحدات المتقدمة من الفرقة الخفيفة (٩٠) بعدد من الهجمات المضادة ؛ غير أنها انتهت جميعاً بالفشل . وقد أعاد (روميل) تقويم موقف قواته في ذلك اليوم (٢٩/١٠/١٩٤٢) فتبين له :

أولاً : لم تعد قواته قادرة على الصمود في مواجهة أي هجمات عنيفة ؛ وهذا ما يستدعي سحبها جميعاً من منطقة العلمين ؛ قبل أن تتعرض لهجوم جديد وقوي .

ثانياً : إن تنفيذ الانسحاب سيجابه مشكلات متعددة : إذ أن قوات النقل والوقود المتوافر لا يسمح بنقل الجزء الأكبر من

قوات مشاته ، كما أن قواته الميكانيكية ـ الآلية ـ الباقية لا تكفي لحماية انسحاب كل قواته ، بالإضافة إلى أن معظم قواته من المشاة ، كانت مشتبكة فعلاً في القتال في المنطقة الأمامية ومن الصعب سحبها في تلك الظروف ، كما أن الوقود المتوافر لديه لا يساعده على خوض قتال تراجعي ضد القوات المدرعة البريطانية التي ستعمل على مطاردة قواته، بمجرد مشاهدتها لبدء الانسحاب.

ثالثاً : وجد (رومل) بنتيجة ذلك أنه لا بد من الالتزام بالدفاع لفترة أخرى ؛ على أمل أن يمكنه ذلك من إرغام البريطانيين في النهاية على إيقاف هجماتهم ؛ والتخلي عنها ؛ بسبب ما يتعرضون له من الخسائر . أما إذا تابع البريطانيون هجومهم رغم ذلك ؛ وأصبح الصمود تجاههم متعذراً ، فإنه لا بد من قبول التضحية بفرق المشاة التي لا تتوافر مركبات نقل كافية لنقلها وإخلائها . وعلى ذلك فإن عملية الانسحاب ستقتصر على القوات المدرعة والمشاة الميكانيكية ـ المحمولة ـ مع سحب أكبر قدر ممكن من الأسلحة الثقيلة ، وإن أفضل موقع يمكن لهذه القوات التوقف عنده ـ غرب العلمين ـ هو ذاك الموقع الممتد ما بين (فوكه) شمالاً ؛ وبين (منخفض القطارة) جنوباً .

أصدر (مونتغومري) أمره يوم ٣٠ تشرين الثاني ـ أكتوبر ـ إلى الفرقة الأسترالية التاسعة بمتابعة هجومها لتوسيع منطقة عملها فيما

وراء الثغرة ؛ وللقضاء على القوات المحاصرة . ولكن جميع الهجمات التي قامت بها الفرقة المذكورة أثناء النهار صدت بالنيران ، بينما قامت في الوقت ذاته الفرقة الخفيفة ٩٠ بعدد من الهجمات المضادة لكسر دائرة الحصار ؛ وإخراج القوات الألمانية منها ، لكن هذه الهجمات بدورها انتهت إلى الفشل .

استأنفت الفرقة الأسترالية التاسعة هجومها شمالاً في ليل ٣٠ ـ ٣١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وقد نجح لواؤها الأيمن في عبور الطريق الساحلي ؛ ووصل إلى الشاطىء ، ثم اندفعت بعض وحداته شرقاً للقضاء على القوات الألمانية ـ الإيطالية المحاصرة .

أصدر (رومل) أمره إلى فرقة البانزر ٢١ والتي كانت قد احتلت مواقع دفاعية لها في عمق منطقة (تل العقاقير) تجاه (تبة كيدني) بإخلاء مواقعها ؛ والتحرك شمالاً لمساعدة الفرقة الخفيفة ٩٠ في تخليص القوات المحاصرة ؛ ولمواجهة تطورات الموقف في أقصى الشمال ؛ على أن تحتل الفرقة الإيطالية (تريستي) المواقع التي ستخليها فرقة البانزر ٢١ . وقد استمر هجوم الفرقة الأسترالية التاسعة يوم ٣١ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ومعها كتيبة مدرعات من اللواء المدرع ٢٣ ، ولكن الهجوم توقف بسبب النيران الكثيفة التي واجهته . وأصدر (رومل) أمره في الساعة (١٠,٠٠) من اليوم ذاته (١٩٤٢/١٠/٣١) إلى الفرقة الخفيفة (٩٠) بالقيام بهجوم كبير بمعظم وحداتها ؛ يعاونها جزء من فرقة البانزر ٢١ بهدف الاتصال مع القوات المحاصرة . ودعم هذا الهجوم بعدد كبير من الطائرات القاذفة والانقضاضية ، كما عملت كافة المدفعية في

القطاع الشمالي بدعم الهجوم الذي تولى قيادته معاون (رومل) وهو الجنرال (فون توما) نظراً للأهمية التي كان يعلقها (روملل) على هذا الهجوم . وقد انطلقت القوات للهجوم في الساعة (١٢,٠٠) وتمكنت القوات المهاجمة من تأمين الاتصال بالقوات في داخل دائرة الحصار ـ بالقرب من نقطة تومسون ـ واضطر الأستراليون للتراجع حتى جنوب الخط الحديدي . وبذلك تمكنت كثير من الوحدات المحاصرة من الإفلات بعد حلول الظلام .

وجد (مونتغومري) أنه من الضروري إجراء تعديل جديد على خطته للهجوم النهائي . كانت خطة الهجوم البريطاني ـ على نحو ما سبقت الإشارة إليها ـ تقضي باستغلال نجاح هجوم الأستراليين في أقصى الشمال ؛ بالقرب من الساحل ؛ لدفع القوة الضاربة عبر الثغرة التي تفتح في المواقع الألمانية ـ الإيطالية ، والانطلاق إلى المناطق الخلفية . وقد عرف الآن ـ مونتغومري ـ أن خصمه (رومل) قد زج قواته الاحتياطية في المنطقة الساحلية (الفرقة الخفيفة ٩٠ وفرقة البانزر ٢١) . وعلى هذا قرر (مونتغومري) نقل ثقل هجومه ـ اتجاه الضربة الرئيسة ـ من شمال المنطقة الساحلية إلى جنوبها ، أي بعيداً عن المكان الذي تحركت إليه القوات الاحتياطية الألمانية ـ الإيطالية ؛ مستثمراً بذلك الفراغ ؛ وجاء التعديل في الواجبات كما يلي :

١ ـ تقوم الفرقة النيوزيلاندية الثانية بفتح ثغرة جديدة في حقول الألغام الألمانية ـ الإيطالية ؛ إلى الشمال من الثغرة الشمالية السابقة مباشرة .

٢ ـ تقوم الفرقتان ٥٠ و٥١ بالهجوم ـ على جبهة لواء من كل فرقة ـ (الفرقة ٥٠ إلى اليمين والفرقة ٥١ إلى اليسار ؛ فكانت جبهة الهجوم في حدود ستة كيلومترات) .

٣ ـ يتم الهجوم على مرحلتين تصل في نهايتهما الفرقتان ٥٠ و٥١ إلى نهاية المواقع الدفاعية الألمانية ـ الإيطالية من جهة الغرب ، فيكون عمق الهجوم في حدود ٩ ـ ١٠ كيلومترات .

٤ ـ يقوم اللواء المدرع ٢٣ واللواء المدرع التاسع بدعم الفرقتين خلال مرحلتي الهجوم ، كما تدعمهما كافة قطع مدفعية الجيش الثامن والموجودة في القطاع الشمالي .

٥ ـ يمتد اتجاه الهجوم من (شمال تبة كيدني) نحو (تل العقاقير) حتى درب (سيدي عبد الرحمن) .

٦ ـ تقوم كتيبة نيوزيلاندية بهجوم فرعي على يمين الفرقة ٥٠ ـ في اتجاه الشمال الغربي ـ للاتصال بالفرقة الأسترالية التاسعة وحماية الجناح الأيمن للهجوم ؛ فيما يقوم لواء المشاة المحمول ـ بالسيارات ـ من الفرقة المدرعة العاشرة بالهجوم على يسار الفرقة ٥١ وعلى الاتجاه الجنوبي الغربي بهدف توسيع منطقة عمل القوات البريطانية على ذلك الاتجاه ، وحماية الجناح الأيسر لقوات الهجوم الرئيسي .

٧ ـ ينطلق اللواء المدرع التاسع ، بمجرد وصول المشاة إلى أهدافها الأخيرة ؛ بحيث يمر من خلالها ؛ ويعبر درب (سيدي عبد

الرحمن) ويؤمن منطقة انتشار واسعة إلى الغرب من الدرب المذكور لحماية عبور الفرق المدرعة البريطانية .

٨ ـ تتقدم الفرقتان المدرعتان الأولى والسابعة غرباً ، وتتبعهما الفرقة المدرعة العاشرة ؛ وذلك بمجرد تأمين منطقة العمليات ؛ للاشتباك مع القوات المدرعة الألمانية ـ الإيطالية في معركة حاسمة ، وللقضاء عليها قضاءً تاماً ؛ مع عدم تمكينها من الانسحاب من منطقة العلمين .

٩ ـ تقوم كتيبة من السيارات المدرعة (المصفحات) من لواء (رواياال) وكتيبة مماثلة من قوات جنوب أفريقيا بعبور الثغرة والتقدم للإغارة في العمق البعيد على خطوط المواصلات وعلى القواعد الإدارية الألمانية ـ الإيطالية في مناطق (الضبعة وفوكة ومرسى مطروح) .

أكد مونتغومري في خطته على أهمية متابعة الهجوم بأي ثمن ؛ مع ترك جيوب المقاومة الألمانية ـ الإيطالية التي تستمر في مقاومتها ، حتى تتمكن القوات الأمامية المتقدمة على اتصالها بنيران (السد الزاحف) للمدفعية . وأكد أيضاً أهمية تقدم دبابات اللواءين المدرعين التاسع والثالث والعشرين (٩ و٢٣) خلف (السد الزاحف) للمدفعية وذلك في حال تأخر المشاة لأي سبب من الأسباب ، على أن تسرع المشاة بعد ذلك للحاق بالدبابات . وأصدر (مونتغومري) أوامره الصريحة إلى اللواءين المدرعين (٩ و٢٣) بالتقدم لاختراق المواقع الدفاعية لقوات المحور ، بعنف

وضـراوة ؛ ومهما بلغت نسبـة الخسائـر التي تتعرض لهـا ؛ وعـدم انتـظار المشاة بـل التقـدم عليهـا فيـما إذا فشلت قـوات المشـاة في هجـومهـا. **وقـد أطلق (مـونتغـومـري) عـلى عمليتـه الاسم الاصطلاحي (سوبر شارج)[*]. وحدد الساعة (٠١,٠٥) من فجر يوم ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ موعداً لتنفيذها . ولكن وبينما كـان مونتغومري يعيد تنظيم قواته لتنفيذ هجومه ؛ كان (رومل) يعمل أيضاً عـلى الاتجاه المعـاكس ؛ ويضع الخـطة لسحب قواتـه بعيداً عن جبهة العلمين.**

أدرك (رومل) أن قواته لم تعد قادرة على احتمال ثقل الهجـوم البريطاني القادم ؛ وفقد الأمل بإمكان تنفيذ خطته بـالدفـاع لفترة أخرى على أمل إرغام البريطانيين على إيقاف هجماتهم ؛ بسبب ما تتعرض له قواتهم من الخسائر . وأصبح المخرج الوحيد من المأزق الذي يواجهه هو في سحب جميع قواته من منطقة العلمين قبل أن يتمكن الجيش البريطاني الثامن من سحقها . وكانت مشكلة الوقود قد وجدت حلاً مؤقتاً لها بوصول حاملة بترول نقلت إلى ميناء طبرق كميـة ستمائـة طن . ولكن بقيت المشكلة الـرئيسـة التي واجهت رومل عند التفكير في الانسحاب ، وهي مشكلة عدم توافر قوات ميكانيكية كـافية لسـتر انسحاب مشـاته من كـل قطاعـات الجبهة الدفاعية . وكان أكثر ما يخشاه (رومل) هو اندفاع القوات المدرعة

(*) سوبرشارج : (Super-Charge) .

البريطانية عبر الثغرات التي ستنسحب منها المشاة ؛ وقيامها بتطويق بقية قواته وقطع خط انسحابه . وقد ذكر (رومل) بحل هذه المشكلة ؛ عن طريق إصدار الأمر إلى قواته الميكانيكية بستر انسحاب قواته في القطاع الشمالي ؛ حيث يتصل طريق الانسحاب الرئيسي بقواعد إمداده وتموينه الرئيسة ، والبقاء في جميع قطاعات الجبهة الدفاعية حتى تشتبك القوات الميكانيكية البريطانية جميعها في الهجوم الرئيسي بالقطاع الشمالي ؛ وتتورط فيه بدرجة تجعل من الصعب سحب أي قوة منها لتوجيهها إلى أي منطقة أخرى من الجبهة ، وحينئذ تحين الفرصة لسحب جميع المشاة الموجودة في القطاعين الأوسط والجنوبي دفعة واحدة في الظلام ؛ وبحيث تخلي مواقعها وتنسحب على الأقدام نحو اتجاه الشمال الغربي ؛ وذلك إلى أن تصل إلى القطاع الساحلي ؛ حيث تستمر في انسحابها غرباً ، وتبقى القوات الميكانيكية الألمانية ـ الإيطالية مستمرة في حماية القطاع الساحلي ؛ حتى تضمن انسحاب القسم الأكبر من قوات المشاة إلى موقع (فوكه) ، ثم تقوم القوات الميكانيكية بالانضمام إليها في (فوكه) .

قام الألمان بهجوم جديد بقيادة (فون توما) في اليوم الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ بهدف إخراج بقية القوات الألمانية ـ الإيطالية من دائرة الحصار في الشمال . وقد حقق هذا الهجوم هدفه . أما الجبهة البريطانية فقد شهدت هدوءاً على خطوطها الأمامية ؛ فيما كانت القوات البريطانية تتابع استعداداتها للهجوم . وقد قام سلاح الجو البريطاني بإغارات شديدة جداً طوال

النهار على الأرتال الإدارية للقوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ والتي كانت تتحرك على امتداد الطريق الساحلي ، كما وجهت هجمات جوية شديدة ضد القواعد الإدارية . وكانت نتيجة هذه الإغارات زيادة صعوبات الموقف الإداري للقوات الألمانية ـ الإيطالية . وقد ظهر تأثير هذه الهجمات بوضوح ؛ إذ أن ما وصل من الذخائر إلى القوات الألمانية ـ الإيطالية في الخطوط الأمامية لم يتجاوز أربعين طناً ؛ منذ بداية الهجوم البريطاني ؛ وهذا ما دفع القيادة الألمانية إلى إصدار أوامرها إلى قواتها بالاقتصاد في استهلاك الذخائر ؛ وخاصة ذخائر المدفعية . هذا وقد قام (رومل) في هذا اليوم أيضاً ، بمتابعة استطلاعه لموقع (فوكه) فتبين له أن القسم الجنوبي من مرتفع فوكه مميز بميله الحاد وشدة انحداره مما يجعل منه حاجزاً منيعاً ضد هجمات الدبابات .

ولهذا تزايد الأمل لدى (رومل) في القدرة على الصمود في موقع (فوكه) لو أمكن سحب قواته إليه ؛ بحيث لن يتمكن البريطانيون من مهاجمته إلا بعد القيام بتحضيرات تستغرق وقتاً ؛ وهو ما كان يحتاجه (رومل) لنقل إمداداته ؛ والتعويض على خسائره في الدبابات ؛ وبذلك يعيد التوازن مرة أخرى بين قواته والقوات البريطانية . وقد أشارت التقارير التي تلقاها (رومل) في ذلك اليوم على أنه لم يبق لدى فرقتيه البانزر سوى ٩٠ دبابة رغم الجهود التي بذلت لإصلاح الدبابات المصابة والمعطلة ؛ كما لم يبق لدى الفرقتين المدرعتين الإيطاليتين سوى ١٤٠ دبابة ، في حين بقي لدى (مونتغومري) أكثر من ٨٠٠ دبابة جاهزة لخوض المعركة القادمة ،

وهي المعركة التي بدأت في الساعة (٠١,٠٥) من فجر اليوم الأول من تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ واعتبرت بأنها المرحلة الثالثة والأخيرة من معركة العلمين . وقد قام الطيران البريطاني بإغارات متواصلة طوال ساعات الليل التي سبقت الهجوم ، كما اشتركت كافة المدفعية البريطانية في التمهيد طوال ثلاث ساعات ـ بحيث خصص لكل مدفع مواجهة لا تزيد على العشرين متراً ـ ونظمت نيران الدعم لتسبق المشاة على شكل (سد زاحف) . وتقدم **اللواءان المتقدمان من الفرقتين ٥٠ و٥١ ، ونجح اللواء الأيسر في** الوصول إلى هدفه النهائي ، فيما تعطل تقدم اللواء الأيمن بنتيجة المقاومة الضارية لدبابات فرقة البانزر ١٥ ، مما أدى إلى حرمان اللواء المدرع البريطاني التاسع من دعم نيران المدفعية . كما نجحت الكتيبة النيوزيلاندية بالوصول إلى هدفها وحماية الجناح الأيمن لقوات الهجوم . ونجح لواء المشاة المحمول أيضاً في تنفيذ واجبه وحماية الجناح الأيسر لقوات الهجوم . وفشلت القوات الألمانية في إيقاف الهجوم البريطاني ، إلا أنها استطاعت إنزال الخسائر الفادحة بالقوات البريطانية ـ بحيث أن اللواء المدرع الثاني فقد في نهاية اليوم الثاني من المعركة (١٩٤٢/١١/٢) ٩٨ دبابة من أصل دباباته التي كان عددها ١٣٣ دبابة . وقد أصدر (مونتغومري) أمره إلى فرقة المدرعات الأولى بالتقدم لنجدة هذا اللواء ـ منذ الصباح ـ فدارت معركة ضارية بين دبابات هذه الفرقة وبين فرقتي البانزر ١٥ و٢١ ، استمرت طوال النهار . وفقدت فرقة المدرعات الأولى في نهاية النهار معظم دباباتها ؛ إلا أن الخسائر في دبابات

البانزر كانت أكبر . وبات موقف (روممل) حرجاً للغاية ؛ إذ كان من المحال عليه التعويض على خسائره ؛ ووصلت قواته المدرعة إلى حالة من الضعف جعلت من المحال على (روممل) الاعتماد عليها في أي معركة كبيرة ومقابل ذلك ؛ وعلى الرغم من الخسائر الكبيرة التي نزلت بالقوات المدرعة البريطانية ؛ فإن (مونتغومري) لم يتأثر كثيراً إذ لا زال يمتلك من القدرة القتالية ما يكفي لتطوير الأعمال القتالية . وقد بذل (روممل) كل جهد مستطاع لإيقاف الهجوم البريطاني واستخدم بكفاءة عالية كافة القوى والوسائط المتوافرة لديه ، ولكن ، لا الهجمات المضادة المتتالية ؛ ولا حشود النيران ، استطاعت إيقاف تقدم البريطانيين ؛ فقرر (روممل) الانسحاب من منطقة العلمين في ليل ٢ ـ ٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وبدأت القوات الألمانية ـ الإيطالية انسحابها من القطاعين الجنوبي والأوسط . ولم تكتشف القوات البريطانية انسحاب القوات المواجهة لها إلا في النهار ، فأسرع (مونتغومري) لزج قواته الجاهزة ، لكن هذه القوات تعثرت ؛ واستطاع روممل سحب معظم قواته التي أخذت في التحرك على الطريق الساحلي . وهنا وصلت إلى (روممل) برقية من (هتلر) تطلب إليه التوقف عن الانسحاب ، وتعده بدعم عاجل (في الساعة ١٣,٣٠ من يوم ١٩٤٢/١١/٣) . وأصدر (روممل) أمره بإيقاف الانسحاب ، غير أنه كان من المحال عليه ؛ وعلى قواته ، العودة إلى جبهة العلمين . فقد تابع البريطانيون التقدم بتصميم وعناد ، مما أرغم روممل على إصدار أمر جديد (في الساعة ١٥,٣٠ من يوم

٤/١١/١٩٤٢) بالانسحاب نحو الغرب بأقصى سرعة ممكنة ، وأبرق إلى (هتلر) فشرح له الظروف التي أرغمته على الانسحاب . وعلى الرغم من كفاءة رومل في تنظيم الانسحاب ؛ إلا أن افتقار قواته لمركبات النقل الكافية لإخلاء قواته ؛ وسرعة تقدم البريطانيين ؛ قد أحبط عمليات الانسحاب المنظم ؛ واستطاعت القوات البريطانية في اندفاعتها أن تأسر أعداداً كبرى من قوات المحور ، (وبصورة خاصة من القوات الإيطالية التي امتنعت عن إبداء مقاومة حقيقية) ففقد رومل القسم الأكبر من الفرق الإيطالية (بريسكا وفولجوري وبافيا وبولونا) وفقد معها كامل أسلحة هذه الفرق وذخائرها . وانسحبت قوات (رومل) الميكانيكية بعد ظهر يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وطوال ليل ٤ ـ ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ إلى موقع (فوكه) الدفاعي ، فيما كانت طائرات سلاح الجو الملكي البريطاني تطارد القوات الألمانية دونما هوادة طوال النهار ؛ وحتى أثناء الليل ؛ وذلك باستخدامها المشاعل التي كان يتم إلقاؤها من الجو لإنارة ساحة المعركة . ولقيت الوحدات التي انسحبت سيراً على الأقدام ـ من القطاعين الجنوبي والأوسط ـ مشقة كبيرة لقطع مسافة مائة كيلومتر تقريباً ، من أجل الوصول إلى موقع (فوكه) . وبرهن الجنود الألمان بهذه المسيرة الشاقة على كفاءة عالية ، وإرادة حقيقية للقتال ؛ فقد اجتازوا هذه المسافة بدون ماء أو طعام تقريباً ؛ وفي مناخ صعب .

هكذا ؛ انتهت معركة العلمين عملياً يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ ، ولم يبق لدى رومل سوى ٣٦ دبابة من أصل

٢٤٩ دبابة ألمانية ، ونصف الدبابات الإيطالية التي كان عددها قبل المعركة ٢٧٨ دبابة . وخسر الألمان والإيطاليون ٢٠ ألف جندي بين قتيل وجريح ، بينما خسر الجيش الثامن ٤٣٢ دبابة وحوالي ١٣ ألف جندي بين قتيل وجريح . .

٦ ـ استثمار النصر (المطاردة)

وصل القسم الأكبر من قوات (رومل) المدرعة إلى مواقعه الدفاعية في (فوكة) مع أول ضوء في يوم ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ . وتتابع بعد ذلك وصول القوات الآلية ـ الميكانيكية ـ فوصل الفيلق الأفريقي الألماني والفرقة الخفيفة (٩٠) وكثير من الوحدات الميكانيكية الايطالية . أما بعض الوحدات الألمانية والإيطالية من المشاة ولواء المظليين الألمان (رامكي) فلم تتمكن من الوصول إلى أبعد من جنوب ـ غرب (الضبعة) بعد أن أنهكها الجوع والعطش .

ولكن (مونتغومري) لم يترك لهذه الوحدات فرصة للراحة ؛ فقد أصدر أمره (منذ ظهيرة يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ) إلى الفيلق المدرَّع العاشر بالتقدم بسرعة نحو (مرسى مطروح) لتطويق قوات المحور من الجنوب وقطع طريق انسحابها . كما كان قد أصدر أمره إلى الفرقة النيوزيلاندية الثانية بالتقدم إلى منطقة (فوكة) لقطع طريق مواصلات وانسحاب قوات المحور . وقد دعمت هذه الفرقة باللواء المدرع الخفيف الرابع ـ من الفرقة المدرعة السابعة ـ بدلاً من اللواء المدرع التاسع الذي جرى سحبه

للخلف للتعويض عن خسائره الفادحة التي تعرض لها خلال معاركه يوم ٢ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ .

تأخرت الفرقة النيوزيلاندية الثانية كثيراً في تقدمها بسبب ازدحام عرباتها خلال عبورها الثغرات في حقول الألغام مما سبب كثيراً من الاضطراب والفوضى ، ولذلك لم تبدأ الفرقة مطاردتها عملياً إلا في مساء يوم ٤ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وقد تمكنت من إجراء التماس بالمواقع الألمانية ـ الإيطالية في (فوكة) في صباح يوم ٥ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ حيث وقع اللواء المدرع الخفيف الرابع ـ الذي كان في المقدمة ـ تحت نيران شديدة من المدافع المضادة للدبابات ومدفعية الميدان ؛ كما ارتطم بحقل الألغام الذي وضعته قوات المحور لوقاية مواقعها الدفاعية وحمايتها ، وقد اضطرت الفرقة النيوزيلاندية إلى التوقف .

كان (رومل) يرغب في التشبث بموقع (فوكة) إلى أن تصل بقية قواته التي توقفت عند جنوب ـ غربي الضبعة ، ولكن نجاح مقدمة الفرقة النيوزيلاندية الثانية بفتح ثغرة في حقل الألغام أمام مواقع (فوكة) تحت حماية القسم الأكبر من مدفعية الفرقة ؛ وكذلك هبوب عواصف رملية شديدة جعلت من المتعذر تماماً على الحامية الألمانية ـ الإيطالية المدافعة عن (فوكة) الرؤية ولو لمسافة قريبة ؛ قد ساعد اللواء المدرع الخفيف الرابع على عبور الثغرة ؛ فيما قامت الفرقتان المدرعتان البريطانيتان الأولى والسابعة بتحقيق الاتصال بين قواتها (بعد ظهر ١٩٤٢/١١/٥) حيث شرعت

الفرقتان على الفور بمهاجمة المواقع الدفاعية في (فوكة) .

لم يعد باستطاعة (رومل) انتظار وصول قواتـه من (الضبعة) وفقد كل أمل في إنقاذ أي قوات من الفيلقين الإيطاليين ١٠ و٢١ ؛ فـأصدر أمـره إلى قواتـه في (فوكـة) بالانسحـاب على عجـل إلى (مـرسى مطروح) ، فـاضطرت هـذه القوات إلى تـرك كثـير من عرباتها وعتادها ـ نظراً لعدم توافر الوقـود ـ فوصلت في السـاعات المبكرة من اليوم التالي (١٩٤٢/١١/٦) إلى مرسى مطروح وهي بحالة شديدة من الاضطراب والفوضى .

وأصـدر (رومل) أوامـره بتنظيم قـواتـه للدفـاع عن (مـرسى مطروح) فوضع فرقة البانزر (١٥) ومعظم الفرقة الخفيفة (٩٠) إلى الجنوب الغربي من (مـرسى مطروح) فيـما قامت فـرقة المشاة الألمـانيـة (١٦٤) (أو بـالأحـرى مـا بقي منهـا) ومعهـا بعض الوحدات الباقية من الفيلق الإيطالي (٢١) (والتي لم يبق منها أكثر من كتيبة مشاة و١٠ دبابات) بواجب الدفـاع عن غرب (مـرسى مطروح) ، كما تـوقفت بقايـا فرقـة البانـزر ٢١ في جنوب غـرب (القصابة) لعدم وجود وقود لمركباتها ، فيما كلفت بعض وحدات الفرقة الخفيفة ٩٠ بالعمل على المؤخرة ـ إلى الغرب من فوكة ـ .

عمل (مونتغومري) على إعادة تنـظيم قواتـه بسرعـة من أجل المـطاردة . فسحب الفرقـة المدرعـة العاشـرة من الفيلق العاشر ؛ وألحقها بالفيلق الثلاثين ، كما ضم الفرقة النيوزيـلاندية الثانيـة ـ المحمولة بـالسيارات ـ إلى الفـرقتين المـدرعتين الأولى والسـابعة ؛

ووضعت جميعها تحت قيادة الفيلق العاشر الذي تم تكليفه بواجب المطاردة ؛ بينما كان على الفيلق الثلاثين بمتابعته والسير وراءه ، فيما تم تكليف الفيلق (١٣) بتطهير منطقة القتال في العلمين ؛ وتنظيم أمور آلاف الأسرى الذين وقعوا في قبضة القوات البريطانية .

وقد تقدمت قوات الفيلق البريطاني العاشر بسرعة ؛ حيث عملت الفرقتان المدرعتان الأولى والسابعة على تنفيذ أمر (مونتغومري) للوصول إلى منطقة التلال في جنوبي - غربي (مرسى مطروح) وللالتفاف حولها شمالاً لقطع طريق الانسحاب على قوات المحور ؛ فيما تقدمت الفرقة النيوزيلاندية الثانية على الطريق الساحلي للهجوم على (مرسى مطروح) من الشرق ومعها اللواء المدرع الخفيف الرابع . واصطدمت مقدمة الفرقة النيوزيلاندية بفرقة البانزر ٢١ في منطقة توقفها (غرب القصابة) عند ظهر يوم ١٩٤٢/١١/٦ ، وقامت مع اللواء المدرع الخفيف الرابع بالهجوم ؛ إلا أن فرقة البانزر (٢١) أحبطت هذا الهجوم . وفي هذه الفترة ؛ وصلت من ناحية الشرق الوحدات الألمانية التي كانت تقوم بأعمال المؤخرة في مواقع (فوكة) فاشتبكت مع مقدمة الفرقة النيوزيلاندية - من الخلف - وأنزلت بها خسائر فادحة وقد جددت الفرقة النيوزيلاندية الثانية ومعها اللواء المدرع الخفيف الرابع بكامله ، الهجوم ضد فرقة البانزر (٢١) التي قاومت قوات الهجوم بضراوة ؛ غير أنها وجدت نفسها في النهاية ، وهي مرغمة على الانسحاب ، فقامت بتدمير معظم دباباتها في مواقعها نظراً

لعدم توافر الوقود لها ، واستخدمت السيارات الناقلة (الشاحنات) للانسحاب ؛ وقد زودتها بكميات الوقود القليلة التي أرسلها إليها رومل في الليل ؛ وبذلك تمكنت من الوصول إلى (مرسى مطروح) بعد أن أضاعت كل مدفعيتها ؛ ولم يبق معها إلا ٤ دبابات من أصل ثلاثين دبابة والتي أمكن إصلاحها من بقايا معركة العلمين .

وبالرغم من أن معظم قوات (رومل) كانت في حالة شديدة من الفوضى عند وصولها إلى (مرسى مطروح) فقد تمكن رومل من تنظيم دفاع قوي ومتماسك . وكان كل ما يهدف إليه هو إيقاف القوات البريطانية لبضعة أيام عند (مرسى مطروح) ريثما يتمكن من تنظيم دفاع قوي في منطقة السلوم .

هطلت أمطار غزيرة عند غروب شمس يوم ١٩٤٢/١١/٦ - لحسن حظ رومل - فتحولت الأرض إلى بحر من الطين ؛ مما جعل من المحال على قوات الفيلق العاشر التحرك نحو (مرسى مطروح) ، فقد غاصت العربات في الوحل ؛ وتعذر إمداد الفرقتين المدرعتين الأولى والسابعة بالوقود ، فتوقفت المطاردة توقفاً تاماً ، فيما عدا بعض وحدات الفرقة النيوزيلاندية الثانية التي كانت تتحرك على الطريق الساحلي المعبد . وقد هاجمت هذه الوحدات مواقع القوات الألمانية - الإيطالية إلى الشرق من (مرسى مطروح) ثلاث مرات في يوم ١٩٤٢/١١/٧ ، إلا أن هذه الهجمات فشلت تماماً ؛ وتعرضت القوات النيوزيلاندية للخسائر الفادحة .

وصلت في هذا اليوم ذاته (١٩٤٢/١١/٧) إلى مرسى مطروح من ناحية الشرق بقية قوات لواء المظليين (بقيادة قائده الشهير الجنرال رامكي) ؛ وكان هؤلاء المظليون الألمان قد انسحبوا من العلمين سيراً على الأقدام ، وتمكنوا من نصب كمين لقافلة من العربات البريطانية واستولوا عليها واستخدموها للوصول إلى مرسى مطروح . وخسر لواء المظليين عدداً كبيراً من أفراده بحيث لم يتجاوز عدد الذين وصلوا منه إلى مرسى مطروح أكثر من ستمائة جندي .

قامت الفرقتان البريطانيتان المدرعتان الأولى والسابعة بتطويق (مرسى مطروح) في ليل ٧ ـ ٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . وفي صباح ٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ اكتشف البريطانيون أن رومل قد نجح في سحب قواته خلال الليل إلى (**سيدي براني**) فيما كانت قوات المانية ـ إيطالية أخرى قد وصلت في انسحابها إلى (**بقبق**) و(**كابوتزو**) .

وقد واجهت (رومل) عقب انسحاب قواته من (مرسى مطروح) مشكلة تنظيم عبور قواته من نقبي (**السلوم وحلفاية**) ، فقام بتنسيق التعاون مع القوات الجوية الألمانية لتخصيص كل الجهد الجوي المتوافر لديها من أجل حماية قواته البرية عند مرورها بهذين النقبين . كما أمر الفرقة الخفيفة (٩٠) بتشكيل مؤخرة قوية لإشغال القوات البريطانية لأطول فترة ممكنة عند (سيدي براني) ، كما أمر بتنظيم عدد كبير من نقاط المرور لتوجيه تحرك العربات

والآليات داخل النقبين ؛ وأمر بتعزيز الدفاع المضاد للطائرات بكل الوسائل المتوافرة .

وبالرغم من ذلك كله ؛ فقد بلغت الهجمات الجوية البريطانية المستمرة من العنف والشدة طوال يوم ١٩٤٢/١١/٨ مما عطل المرور داخل النقبين ، حتى كاد يوقف التحركات بسبب تكدس المركبات داخل النقبين . وقد اتخذت تدابير عاجلة لفتح الممرين ؛ إلا أن التحرك بلغ درجة كبيرة من الإبطاء والتأخر ؛ مما دفع رومل لإصدار أمره إلى الفيلق الأفريقي - الألماني - وإلى بقايا الفيلق الإيطالي (٢٠) للقيام بحركة استدارة واسعة لعبور الحدود المصرية عند (سيدي عمر) ، وترك الممرين لعبور الفرقة الخفيفة (٩٠) التي كانت تقوم بأعمال المؤخرة . وتم تعيين كتيبة استطلاع لحماية جناح القوات أثناء تنفيذها لحركة الاستدارة .

وأثناء ذلك كان الفيلق البريطاني العاشر يبذل كل جهده للمحافظة على التماس مع القوات المنسحبة . وكانت خطته تقضي بأن تتقدم الفرقة المدرعة السابعة في الداخل ؛ بعيداً عن الساحل ؛ حتى منطقة الحدود المصرية - ثم طبرق - على أمل تطويق قوات المحور ؛ بينما تتقدم الفرقة النيوزيلاندية الثانية على الطريق الساحلي حتى - البردية - حيث تبقى لإعادة التنظيم ؛ وتستبدل بالفرقة المدرعة الأولى . وكانت تحركات هذه القوات بصفة عامة أبطأ كثيراً مما يجب ؛ وذلك للأسباب التالية :

أولاً : الحذر الشديد الذي اتصفت به جميع أعمال القوات البريطانية .

ثانياً : الخوف من الألغام والأشراك الخداعية التي زرعها الألمان بكثافة ووفرة على طريق انسحابهم .

ثالثاً : توقف أعمال المطاردة في الليل ؛ تجنباً للوقوع في كمائن الألمان أو التعرض لإغاراتهم ، وكذلك لتجنب أي اضطراب أو فوضى بين الوحدات أثناء تحرك ليلي لم تسبقه عمليات استطلاع .

رابعاً : التأخر في عمليات الإمداد والتموين بالوقود والذخائر .

اصطدمت الفرقة النيوزيلاندية الثانية بقوات الفرقة الخفيفة (٩٠) التي كانت تقوم بأعمال المؤخرة لحماية انسحاب القوات الألمانية ـ الإيطالية من سيدي براني وذلك في صباح يوم ٩ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ، وشرعت في الاستعداد لمهاجمتها . وأثناء ذلك كانت مشكلة عبور النقبين عند الحدود المصرية قد تحسنت كثيراً بفضل الجهد الكبير الذي بذلته نقاط المرور العديدة ، مما زاد من سرعة تدفق المركبات في داخلهما . لذلك ألغى رومل أمره السابق بتحرك معظم قواته للاستدارة من الجنوب نحو سيدي عمر ؛ وأمرها بالتقدم جميعاً عبر النقبين ، مما وفر وقتاً كبيراً ؛ ووفر كميات هائلة من الوقود .

ونجحت هذه القوات في اجتياز الحدود المصرية يوم ١٩٤٢/١١/٩ ، رغم المحاولات المستمرة التي قام بها الطيران البريطاني لإعاقة تحركها عبر النقبين . وقام اللواء المدرع الرابع الخفيف بهجوم على المؤخرة الألمانية في (سيدي براني) بعد ظهر

ذلك اليوم ، إلا أن المؤخرة تمكنت من الانسحاب ؛ ولم تتورط في القتال .

تلقى (روملل) أمراً من القيادة الإيطالية العليا يوم ١٩٤٢/١١/٩ باحتلال خط دفاعي على الحدود المصرية ـ عند السلوم ـ للدفاع عن (برقه) . وأخطرته هذه القيادة بأنها في سبيلها لإمداده بكل وسيلة ممكنة حتى يتمكن من الصمود . وعلى الرغم من عدم قناعة روملل بإمكان تنفيذ هذا الأمر ؛ فقد أصدر تعليماته باحتلال مواقع دفاعية عند النقبين .

وأدرك (روملل) في اليوم التالي ؛ بأن القوات المدرعة البريطانية ستتمكن من تطويقه ، فأصدر أمره بالانسحاب إلى الخط الدفاعي (طبرق ـ العضم) ، والذي كان قد جهزه للتوقف عنده ، وكلف الفرقة الخفيفة (٩٠) بحماية الانسحاب ؛ وأرسل برقية إلى القيادة الإيطالية العليا أعلمها فيها بانسحابه إلى الخط الجديد .

وكلف (روملل) كتيبة إيطالية بالدفاع عن نقب حلفاية ، إلا أن الفرقة النيوزيلاندية الثانية وصلت إلى مواقع المؤخرة عند (نقب حلفاية) وقامت الكتيبة المتقدمة من هذه الفرقة بتكليف إحدى سراياها بتنفيذ هجوم صامت ضد المؤخرة الإيطالية . ونجحت السرية في تسلق النقب وباغتت جنود المحور ؛ وأسرت الكتيبة الإيطالية بكاملها (حوالي ٦٠٠ جندي) . كما نجح اللواء المتقدم من الفرقة النيوزيلاندية في اجتياز النقب ؛ بمجرد استسلام الكتيبة الإيطالية ؛ وأسرت ثلاث بطاريات مدفعية ألمانية ؛ وكاد يباغت

الفرقة الخفيفة (٩٠) في منطقة مبيتها لولا أنها كانت قد انسحبت في الوقت المناسب .

وفي هذه الأثناء ؛ انسحبت مؤخرة رومل الموجودة عند (نقب السلوم) وتمكن اللواء المدرع الخفيف الرابع من اجتياز منطقة النقبين ؛ ثم دخل (السلوم) فوجدها خالية ؛ وبذلك لم يبق داخل الحدود المصرية أي وجود للقوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ فانتهت أول مرحلة من مراحل الصراع العنيف الذي بدأه مونتغومري في ليل ٢٣ ـ ٢٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ وبلغ عدد أسرى قوات المحور حتى يوم ١٩٤٢/١١/١١ (٣٠) ألف جندي علاوة على الكميات الضخمة من الأسلحة والأعتدة والذخائر التي خسرتها قوات (رومل) .

استأنف البريطانيون تقدمهم فور استيلائهم على (السلوم) . وقد حدد (مونتغومري) أهداف التقدم ؛ بعدم تمكين قوات (رومل) من احتلال مواقع دفاعية جديدة ، وقطع خطوط انسحاب قواته ، وتأمين المطارات في منطقة الحدود المصرية حتى يستخدمها الطيران البريطاني ليتابع منها الضغط على قوات المحور ومؤخراتها وقواعد تموينها ، ومن ثم الاستيلاء على (طبرق) بأسرع ما يمكن لتأمين الإمداد للقوات البريطانية المتقدمة .

على هذا تقدم الفيلق البريطاني العاشر بأقصى سرعة ممكنة ؛ ونجحت القوات المدرعة في تجاوز كثير من الوحدات الألمانية وسبقتها على اتجاه الغرب (بين البردية وطبرق) ، إلا أن حركة

التطويق التي قامت بها هذه القوات اتسعت أكثر من اللازم ؛ وبالتالي استغرقت وقتاً طويلاً لإتمام الالتفاف والوصول إلى البحر ؛ وعندما تمت شرقي طبرق كانت جميع قوات المحور قد نفذت نحو الغرب . وقد دخلت الفرقة النيوزيلاندية الثانية بلدة (**كابوتزو**) وبلدة (**البردية**) يوم ١١ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ .

واستمر تقدم القوات المدرعة في اتجاه طبرق ؛ والتي كان (رومل) يرغب في البقاء فيها لأطول مدة ممكنة ، حتى يتسنى لقواته إخلاء قواعدها الإدارية التي كانت تحتوي على أكثر من عشرة آلاف طن من الإمدادات والمواد التموينية المتنوعة . ولكن (رومل) أدرك أن القوات المدرعة البريطانية قد باتت وهي تهدد تهديداً خطيراً بتطويق (طبرق) من الجنوب ، فاكتفى بما أمكن إخلاؤه من قواعدها ؛ ودمر ما بقي في هذه القواعد ؛ وسحب قواته منها في ليل ١٢ ـ ١٣ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ . **ودخلت القوات البريطانية مدينة (طبرق) يوم ١٣/١١/١٩٤٢** . وفي ظهيرة هذا اليوم ذاته كانت القوات المتقدمة لرومل قد وصلت إلى (العقيلة) . فيما كانت مؤخرة قواته في منطقة (الغزالة) . وقد خصص (رومل) بعض القوات لمراقبة منطقة (الجبل الأخضر) خشية قيام القوات المدرعة البريطانية بحركة التفاف عبر الصحراء لتطويق قواته في منطقة الغزالة ، كما خصص قوات أخرى لحراسة (منطقة المخيلي) التي تلتقي فيها الدروب الصحراوية .

وقام المهندسون الألمان بجهد جبار لتنظيم العوائق الهندسية

والألغام والأفخاخ ؛ واستخدموا أساليب مبتكرة رائعة لإعاقة تقدم البريطانيين . وحدثت اشتباكات عنيفة بين حرس المؤخرة الألماني والقوات البريطانية المتقدمة في (مسوس) ، فيما كانت عمليات الانسحاب مستمرة ؛ فتم الجلاء عن (بني غازي) في صباح يوم ١٩٤٢/١١/١٩ . وفي اليوم ذاته ؛ كانت قوات الفيلق الأفريقي بكاملها قد احتلت مواقعها الجديدة في منطقة (العقيلة) ، فيما كانت الفرقة الخفيفة (٩٠) قد احتلت موقعاً تعطيلياً في منطقة (أجدابية) ، وبذلك نجح رومل في سحب جميع قواته الباقية دون خسارة تذكر في الأرواح .

ودخلت القوات البريطانية (بني غازي) في اليوم التالي (١٩٤٢/١١/٢٠) ، وفي يوم ٢٣ تشرين الثاني - نوفمبر - انضمت الفرقة الخفيفة ٩٠ إلى الحامية المدافعة عن (العقيلة) في الوقت الذي كانت فيه القوات البريطانية على وشك دخولها . وبذلك انتهت مرحلة المطاردة في (برقة) ، وظهر للقائدين (مونتغومري) و(رومل) أن المطاردة قد دخلت مرحلة جديدة تتطلب إعادة التنظيم . وقد قطعت القوات البريطانية خلال أسبوعي المطاردة مسافة ١١٥٠ كيلومتراً تقريباً(*) ، وقد خسرت

(*) انطلقت القوات البريطانية في مطاردتها من العلمين يوم ٥ تشرين الثاني - نوفمبر - ووصلت إلى السلوم في ١١ منه وقد قطعت ٤٣٠ كيلومتراً ؛ ثم وصلت يوم ١٣ منه إلى طبرق . فكانت المسافة التي قطعتها منذ البداية ٥٨٠ كيلومتراً تقريباً ؛ ووصلت يوم ١٧ منه إلى مسوس ؛ فبلغت المسافة التي قطعتها ٩٠٠ كيلومتر . ووصلت إلى (بني غازي) =

القوات الألمانية منذ بداية معركة العلمين ، وحتى الجلاء عن برقة ووصولها إلى العقيلة ، أكثر من ١١٠٠ قتيل و٣٩٠٠ جريح و٧٩٠٠ أسير ، فيما خسرت القوات الإيطالية ١٢٠٠ قتيل و١٦٠٠ جريح وأكثر من ٢٠ ألف أسير . وكانت أوضاع القوات البريطانية بعد مرحلة المطاردة كالتالي :

١ ـ بقيت الفرقة النيوزيلاندية في منطقة البردية لإعادة التنظيم والتدريب .

٢ ـ توقف الفيلق الثلاثين في منطقة (بني غازي) وأخذ في الاستعداد للتحرك نحو المنطقة الأمامية للهجوم على مواقع القوات الألمانية ـ الإيطالية في العقيلة .

٣ ـ انتشر الفيلق العاشر في وسط برقة وإلى الشرق منها ؛ في انتظار قيام الفيلق الثلاثين بعملياته الهجومية . وأصبح الفيلق العاشر يضم الفرقة المدرعة الأولى والفرقة النيوزيلاندية الثانية .

٤ ـ بقي الفيلق ١٣ في الشرق من الحدود المصرية ، وأخذ في التدريب والاستعداد لغزو صقليا .

أما القوات الألمانية فقد انتشرت في العقيلة (وبلغ عدد أفرادها ٧٠ ألفاً) ، وتم ترحيل أعداد كبيرة إلى أوروبا للعلاج .

= يوم ٢٠ منه ، فوصلت المسافة التي قطعتها خلال أسبوعي المطاردة في حدود ١١٥٠ كيلومتراً .

وتلقى رومل دعماً من القوات الإيطالية ، حيث انضمت إليه في مواقع العقيلة : فرقة الشبان المشاة الفاشيين وجزء من فرقة المشاة بستويا وجزء من فرقة المشاة سبزيا وبعض عناصر الفرقة المدرعة سنتورو ، فأعيد بها تشكيل الفيلق الإيطالي (٢١) .

٧ ـ معركة العقيلة

احتل (رومل) المناطق الدفاعية التي سبق له أن توقف فيها عند انسحابه في كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٢ . وكانت هذه المناطق في (العقيلة) تمتد من (جارة الحميد) إلى الغرب من (مرسى البريقة) وحتى (معاطن جيوفر) . وكانت هذه تقع إلى الخلف من منطقة تكثر فيها السبخات التي يتعذر على المركبات اجتيازها في الجزء الجنوبي منها ، ثم تمتد بعد ذلك جنوباً في أرض تصلح لسير جميع أنواع المركبات حتى (وادي الفارغ) ، الذي يمتد من الشرق إلى الغرب ، والذي يشكل مانعاً قوياً ضد الدبابات . ويلي (وادي الفارغ) جنوباً سلسلة من الكثبان الرملية التي تمتد لعدة أميال ؛ ويصعب تحرك المركبات فيها . ولذلك كان من العسير تطويق منطقة العقيلة ؛ إلا بحركة التفاف واسعة جداً تمتد حتى قرب (واحة مرادة) .

تلقى (رومل) أمراً مَن القيادة الألمانية العليا بالتوقف عند (العقيلة) ، للانطلاق منها في هجوم جديد ؛ بعد أن يتلقى قوات دعم كافية . ووجد (رومل) بعد دراسته للموقف ، أنه ليس بإمكانه الصمود في (العقيلة) ، ما لم تتوافر له أعداد مناسبة من

الدبابات لصد أي محاولة قد يقوم بها البريطانيون لتطويق مواقعه ، بالإضافة إلى انتظام عملية الإمداد والتموين لتأمين متطلبات قواته من الوقود والذخائر . أما إذا لم يتوافر له ذلك ؛ فإنه ليس أمامه إلا الانسحاب غرباً حتى المضيق عند (قابس) ، إلى الجنوب من (تونس) حيث تشكل المنطقة ما يشبه (عنق الزجاجة) بجبهة لا تزيد على عشرين كيلومتراً ؛ مما يمكنه من الصمود لفترة طويلة ؛ نظراً لصعوبة تطويق مواقع (قابس) ، بالإضافة إلى قصر خطوط مواصلاته مما يساعده على حل مشكلات الوقود والإمداد ؛ في حين تمتد خطوط مواصلات (مونتغومري) لمسافات بعيدة ؛ مما يزيد من أعبائه الإدارية .

وقد حاول (رومل) إقناع القيادتين الألمانية والإيطالية بضرورة تجهيز خط دفاعي عند (قابس) . وقد رفض هتلر كل فكرة للانسحاب من (العقيلة) ، إلا أن رومل استطاع بعد جهد إقناع القيادة الإيطالية ؛ بتنظيم خط دفاعي في (منطقة البويرات) إلى الغرب من العقيلة . وانصرف (رومل) لتنظيم الدفاع في (العقيلة) .

كانت القوات البريطانية قد هزمت مرتين أمام (العقيلة) . المرة الأولى عندما اضطر (ويڤل) للانسحاب بقواته . والثانية عندما اضطر (أوكنلك) للانسحاب أمام ضغط الألمان . ولهذا وضع (مونتغومري) خطته للهجوم ضد مواقع العقيلة ؛ مستفيداً من الدروس المستقاة من التجارب السابقة ؛ ومطبقاً أسلوبه في الحيطة والحذر .

وقد تلخصت خطته بدفع فرقة المشاة (٥١) للقيام بهجوم جبهي على جانبي الطريق الساحلي ؛ فيما تقوم الفرقة النيوزيلاندية الثانية بحركة استدارة واسعة ـ على درب صحراوي تم استطلاعه ـ لتطويق مواقع العقيلة من الجنوب ؛ وتتقدم فرقة المدرعات السابعة لسد الثغرة بين الفرقتين السابقتين ، ولتقديم الدعم لأي منهما بحسب تطور الموقف .

ووضع (مونتغومري) أيضاً خطته الخداعية ، وخطة التعاون مع القوات الجوية لدعم الهجوم ؛ مع خطة الدعم الناري (بالمدفعية) وخطة التأمين الإداري والفني للقوات .

واكتشف (رومل) تحضيرات البريطانيين للهجوم في العقيلة . واستنتج من قراءة الصور الجوية وتقارير الاستطلاع أن القوات البريطانية ستبدأ هجومها في منتصف شهر كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٢ ، فأصدر أمره الى المشاة الإيطالية بالانسحاب إلى موقع (البويرات) واستخدم لنقلها مركبات القوات الميكانيكية الألمانية التي بقيت في خط العقيلة ؛ وذلك في ليل ٥ ـ ٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ .

قام البريطانيون بمجموعة من الإغارات البرية القوية على امتداد الجبهة الألمانية ـ الإيطالية في ليل ١١ ـ ١٢ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وذلك بهدف إشغال قوات رومل حتى لا تلاحظ حركة الالتفاف التي بدأت في هذا الليل ذاته . وقامت المدفعية البريطانية أيضاً بقصف المواقع الدفاعية بعنف وشدة . واخذت الفرقة ٥١ في

التحـرك على الـطريق الساحـلي لاحتلال مـواقع تشكيلهـا . وبدأ الطيران البـريطاني في يـوم ١٩٤٢/١٢/١٢ بشن إغاراتـه العنيفة تمهيـداً للهجوم . واعتقـد رومل أن هـذه الأعمال التمهيـدية هي مقدمة الهجوم الرئيسي ؛ فأمر قواته الميكـانيكية المـوجودة في الخط الدفاعي بالانسحاب . وأخذت هذه القوات في التحرك غـرباً في الساعة (١٩,٠٠) تحت حماية مؤخرة قوية تكونت من بقايا الفرقة المدرعة الإيطالية (آرييتي) ولواء مدرع من الفرقة المدرعة الإيطالية (سنتوريو) والفرقة الألمانية الخفيفة ٩٠ ـ وقد وزعت قوات المحور أثناء انسحابها أعداداً ضخمة من الألغام والأفخاخ الخداعية .

ونظراً لعدم اكتشاف البريطانيين لانسحـاب القوات الألمـانية ـ الإيـطالية من (العقيلة) فقـد استمـرت مـدفعيتهم وطيـرانهم في قصف المواقع الخالية من القـوات طوال يـوم ١٩٤٢/١٢/١٣ ثم قامت الفرقة (٥١) بهجومها على القـطاع الساحـلي في ليل ١٣ ـ ١٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ، بينما كـانت الفرقـة النيوزيـلاندية الثانية تتابع حركة استدارتها إلى الجنوب من (وادي الفارغ) حيث سارت على أحد الدروب عبر منطقة الكثبان الرملية ـ على مسافـة خمسين كيلومتراً تقريباً شمال واحة مرادة ـ ثم شرعت في الانحراف نحو الشمال الغربي في اتجاه (مردومة) .

واكتشف البـريطانيـون في يـوم ١٤ كـانـون الأول ـ ديسمبـر ـ انسحـاب القوات الألمـانية ـ الإيـطاليـة من مـواقـع (العقيلة) ، فأصدر (مونتغومري) أمره إلى الفـرقة المـدرعة السـابعة بمـطاردة

قوات المحور ، ولكن سرعان ما اصطدمت مقدمة هذه الفرقة بمواقع الفرقة المدرعة الإيطالية (آرييتي) التي كانت تحتل الجزء الأيمن من مواقع مؤخرة المحور . ودار قتال عنيف بين الطرفين طوال النهار ؛ انتهى بفشل الفرقة المدرعة السابعة في اجتياح مواقع مؤخرة قوات المحور . وخسرت الفرقة (٢٢) دبابة على أثر قيام اللواء المدرع (سنتوريو) بهجوم مضاد ، ولكن مؤخرة قوات المحور لم تتمكن من الانسحاب بسبب تورطها في القتال مع الفرقة المدرعة السابعة .

وصلت الفرقة النيوزيلاندية الثانية في صباح يوم ١٥/١٢/١٩٤٢ حتى مسافة ثلاثين كيلومتراً تقريباً إلى الجنوب الشرقي من (مردومة) ، حيث اصطدمت مقدمتها هناك بكتيبة استطلاع ألمانية كانت تعمل على حماية الجناح الأيمن للقوات الألمانية - الإيطالية ، وقد اضطرت كتيبة الاستطلاع للانسحاب نحو (مردومة) . وسرعان ما تحرك (رومل) فزج فرقة البانزر (١٥) ؛ والفرقة الخفيفة (٩٠) لمواجهة الفرقة النيوزيلاندية ، فيما حثَّ بقية قواته على الإسراع في انسحابها غرباً نحو (**النوفيلية**) .

ودارت معارك طاحنة طوال يوم ١٦/١٢/١٩٤٢ بين الفرقة النيوزيلاندية التي وصلت إلى الطريق الساحلي وقطعت طريق الانسحاب وبين الفرقتين (١٥) و(٩٠) .وزاد موقف الفرقتين سوءاً بتدخل الفرقة المدرعة البريطانية السابعة من الغرب ؛ ولكن

الفرقتين (١٥) و(٩٠) نجحتا في اختراق دائرة الحصار ، والسير نحو الغرب ؛ بعد أن خسرتا قسماً كبيراً من قوتهما . وقد عانت الفرقتان كثيراً من الصعوبات أثناء انسحابهما بسبب عدم توافر الوقود . وقد قامت الفرقة النيوزيلاندية في صباح يوم ١٩٤٢/١٢/١٧ بهجوم على المواقع الألمانية ـ الإيطالية في منطقة تقع على بعد ١٥ كم تقريباً إلى الجنوب ـ الغربي من (النوفيلية) . ووصل بعض الوقود أثناء ذلك إلى (رومل) فاستطاع بواسطته حشد قوة مدرعة قامت بهجوم مضاد ؛ وقذفت بالقوات النيوزيلاندية إلى الخلف ، وبقي طريق الساحل مفتوحاً حتى المساء . وبحلول الظلام وصلت كميات كافية من الوقود ؛ فتمكنت قوات (رومل) من استئناف تحركها نحو الغرب من جديد . ودخلت الفرقة النيوزيلاندية الثانية في صباح يوم ١٨ كانون الأول ـ ديسمبر ـ إلى (النوفيلية) فوجدت بأن الألمان قد زرعوا الألغام والأشراك الخداعية في كل مكان من المدينة ؛ في الأبنية والطرق والدروب والمسالك ؛ مما جعل من المتعذر على القوات البريطانية لمس أي شيء ، خوفاً من الانفجارات الكامنة وراء كل تحرك ؛ فقد ابتدع الألمان في ذلك الوقت وسائل مبتكرة وجديدة لم تعرف من قبل ، كما قاموا بعمليات التدمير والتخريب على نطاق واسع جداً ؛ وكان في جملة ما دمروه وخربوه المطارات والمهابط والمباني والمعابر والجسور ، كما خربوا الطريق الساحلي تخريباً تاماً في عدد من المواضع ، ونزعوا أعمدة الهاتف ، فلم تجد القوات البريطانية في (النوفيلية) ما قد يفيدها .

استمرت القوات الألمانية ـ الإيطالية في انسحابها غرباً نحو موقع (**البويرات**) ، ولم يتمكن البريطانيون من متابعة مطاردتهم بقوات كبيرة ؛ نظراً لأن طول خط مواصلاتهم قد زاد من مصاعبهم الإدارية في المنطقة الأمامية ؛ ولذلك أمر (مونتغومري) الفرقة النيوزيلاندية الثانية بالبقاء في (منطقة النوفيلية) لإعادة التنظيم ؛ واكتفى بدفع قوات خفيفة الحركة من الفرقة المدرعة السابعة لمطاردة قوات المحور .

نظم (رومل) دفاعه في (البويرات) بحيث يرتكز على الطبيعة المنيعة للمنطقة ؛ إذ كانت تتوافر للمنطقة ثلاثة موانع طبيعية قوية ؛ هي عبارة عن وديان تمتد من الشمال إلى الجنوب ؛ وتمتاز بعمقها واتساعها وبوفرة الغرود الرملية بقاعها مما جعلها موانع مناسبة ضد المركبات ، وهذه الموانع الثلاثة هي : وادي تميت ثم وادي الشبير الذي يليه غرباً ؛ ثم وادي زمزم . وقد نظم (رومل) دفاعاته من نقطة تسمى (معاطن جيوفر) غربي بلدة (بويرات الحسون) عند الساحل . وامتدت الدفاعات في اتجاه الجنوب الغربي ـ شرقي القداحية ، ثم بموازاة وادي أم الرمل المتفرع من وادي زمزم متجهة نحو (أبو نجيم) ، ولم تكن تلك التنظيمات الدفاعية بمثل قوة مواقع (العقيلة) لعدم توافر الوقت الكافي لدعمها وتعزيزها ، إلا أن الوديان الثلاثة ـ التي سبق ذكرها ـ وخاصة وادي زمزم قد أعطتها قوة ومنعة لا بأس بها . وكانت نقطة الضعف الكبرى في تلك الدفاعات هي عدم استناد جناحها الأيمن إلى أي مانع طبيعي . ولذلك عمل (رومل) على حشد فرقة

البانزر على جناحه الأيمن . هذا من ناحية ؛ ومن ناحية ثانية ؛ فإن (رومل) لم يكن يريد للتنظيمات الدفاعية في (**البويرات**) ، إلا أن تتمكن من إيقاف الهجمات البريطانية لمدة محدودة ، يتم بعدها الانتقال إلى موقع تأخيري ـ تعطيلي ـ آخر عند منطقة (**الخمص ـ طرهونة**) ، ثم ينتهي الانسحاب عند منطقة ثغرة **قابس** (**وادي العكاريت**) إلى الجنوب من تونس ، حيث يمكن لقواته الصمود طويلاً وهي لا تخشى خطر التطويق . كما أن الانتقال إلى (**خط قابس**) يضمن له عدم الانعزال عن بقية قوات المحور في تونس ، وكذلك فإن باستطاعته الإفادة من (**ميناء تونس وميناء بنزرت**) إذا ما استولت القوات البريطانية على ميناء طرابلس .

قام اللواء المدرع الخفيف الرابع من الفرقة المدرعة السابعة ؛ بالهجوم على قوات حماية المؤخرة الألمانية الإيطالية في يوم ٢٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وكانت قوات الحماية هذه تحتل مواقع دفاعية قليلة العمق في منطقة (سيرت) فاضطرت للانسحاب تحت ضغط الهجوم البريطاني ، ووصلت إلى (البويرات) وفي أعقابها القوات المتقدمة البريطانية وذلك في يوم ٢٩ كانون الأول ـ ديسمبر ـ . وكانت أوضاع القوات البريطانية يومها كالتالي :

أولاً : اللواء المدرع الخفيف الرابع على اتصال بالقوات الألمانية ـ الإيطالية في منطقة البويرات .

ثانياً : باقي الفرقة المدرعة السابعة في منطقة (ماربل آرش) .

ثالثاً : الفـرقة النيـوزيلانـدية الثـانية في منـطقة النـوفيلية لإعـادة التنظيم .

رابعاً : فرقة المشاة (٥١) في منطقة العقيلة .

انصـرف (مونتغـومري) لإعـداد متطلبـات المرحلة التـالية ؛ للهجوم على (البويرات) ؛ فقد زادت متاعبه الإدارية بسبب طول خطوط إمداداته وتموينه ، وكان لا بد من تكديس كميات ضخمة من الـوقود والـذخائـر والمواد التمـوينية عـلى مقـربـة من القـوات المتقـدمة ، كـما كان لا بـد من إصلاح المـطارات في منطقـة (بني غـازي) وإصلاح الـطرق . وبلغ المعـدل اليـومي الـوسـطي من الاحتيـاجات التي يتم نقلهـا بالمركبات من طبـرق إلى الجبهة في حدود (٨٠٠ طن) . وقد تحسن الموقف بعد إصـلاح ميناء (بني غازي) حيث صار بالمستطاع إفراغ (٣٠٠٠) طن من الإمدادات يومياً .

ولم يكد (مونتغومري) يطمئن إلى موقفه الإداري ؛ حتى جابهته كارثة لم يكن يتوقعها . فقد هبت عاصفة هوجاء على (بني غازي) ما بين ٤ و٦ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣ فدمرت الحاجز الخارجي للميناء ؛ وخربت بعض المـرافق والمنشآت ؛ وأغـرقت أربع سفن كبيرة محملة بالإمدادات ـ منها واحدة كانت محملة بـالذخـائر ـ فهبط معـدل الإمداد من ٣ آلاف طن في اليـوم إلى ألف طن ، مما خلق مشكلات جديدة أمام مـونتغومـري ، الذي كـان يتعجل الـوقت لإنهاء استعداداته ؛ والبدء بهجومـه . وقد وضـع (مونتغـومري)

خطته للهجوم بأن تقوم فرقتان بهجوم جبهي ، فيما تقوم فرقتان بحركة التفاف واسعة من الجنوب في اتجاه (بني وليد) و(طرهونة) لتطويق المواقع الدفاعية في (البويرات) وقطع خط انسحاب القوات الألمانية ـ الإيطالية .

أنهى (مونتغومري) استعداداته ؛ وأمكن له حشد ٤٥٠ دبابة للمعركة ؛ واستخدم كل المركبات المتوافرة لديه حتى استطاع نقل متطلباته من الإمدادات لمسافة زادت على ألف كيلومتر ما بين ميناء طبرق والخطوط الأمامية . وانتقلت المدفعية إلى مرابضها المتقدمة في ليل ١٤ ـ ١٥ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣ ؛ فيما كان الطيران البريطاني قد قام بنشاط محموم طوال الأيام السابقة ، وفي الساعة (٠٧,١٥) من يوم ١٥ كانون الثاني ـ يناير ـ تحركت مجموعة التطويق ، إلا أنها سرعان ما اصطدمت ببعض قوات من فرقة البانزر (١٥) التي كانت تحمي الجناح الأيمن لقوات المحور . وقد حدث الصدام عند (دير أم الرمل) وفقد البريطانيون في هذا الاشتباك ٣٣ دبابة فيما لم تخسر فرقة البانزر ١٥ أكثر من دبابتين فقط . ونتج عن ذلك تأخر مجموعة التطويق طوال ذلك النهار تقريباً .

وقد تأكد (رومل) في ذلك اليوم من أن البريطانيين سيستأنفون هجومهم في الليل ؛ وخاصة في القطاع الساحلي ؛ ولذلك أمر قواته بالانسحاب تحت حماية مؤخرة قوية من الفرقة الخفيفة (٩٠) في المنطقة الساحلية ؛ وفرقة البانزر (١٥) على يمينها بمنطقة (وادي زمزم) وقد بدأ الانسحاب فعلاً في ليل ١٥ ـ ١٦ كانون

الموقف بعد توقف العمليات في ديسمبر ١٩٤٢

الثاني - يناير - .

انطلقت الكتلة الرئيسة من قوات مونتغومري للهجوم على الطريق الساحلي في الساعة ٢٣,٣٠ من ليل ١٥ - ١٦ ؛ إلا أنه

توقف بعض الوقت بسبب وقوعه على حقل للألغام . واستمر القتال حتى الصباح دون أن تتمكن الفرقة البريطانية (٥١) من إحراز أي نجاح في التقدم .

وشهد يوم ١٩٤٣/١/١٦ قتالاً ضارياً ؛ سواء على الجبهة الساحلية ، أو على جبهة التطويق . وبدأت القوات الألمانية - الإيطالية انسحابها إلى مواقعها الجديدة (**في الخمص - طرهونة**) ، ودخلت القوات البريطانية (**مسراتة**) يوم ١٩٤٣/١/١٨ .

وقد تكررت الصورة ذاتها في الصراع على خط (الخمص - طرهونة) حيث انسحبت القوات الألمانية - الإيطالية في ليل ٢٠ - ٢١ كانون الثاني - يناير - وتركز الصراع بعد ذلك على (**طرابلس**) التي دخلها البريطانيون في الساعات الأولى من يوم ٢٣ كانون الثاني - يناير - ، إلا أن الأعمال التخريبية الكبيرة التي قام بها الألمان منعت مونتغومري من استخدام ميناء طرابلس للملاحة قبل يوم ٣ شباط - فبراير - ١٩٤٣ ، ولم يكن ذلك ليتم لولا تعاون الجيش مع البحرية ؛ وبذل أقصى الجهود الممكنة لإجراء الاصلاحات الضرورية بسرعة .

بينما كانت القوات البريطانية تتقدم من طرابلس ؛ كان الجنرال الفرنسي (لوكلير)[1] يقود قوة من الفرنسيين الأحرار -

---

(١) الجنرال لوكلير : **(Leclere-Philippe De Hauteclocque)** (جنرال فرنسي) (١٩٠٢ - ١٩٤٧) قام بمسيرة شاقة من تشاد عبر الصحراء للاشتراك مع الحلفاء في =

الـديغـوليـين ـ من تشـاد ، بهـدف الاتصـال بـالجيش الثـامن ؛ والاشتـراك في الحرب ضـد قوات المحـور . وكانت هـذه القـوة ضعيفة التسلح وممزقة الثياب وليس معها إلا بعض المدافع من عيار ٧٥ مم وبعض العربات القديمة و١٣ طائرة من النماذج القديمة . ولقد استخدمت الجمال لتعاون السيارات في نقل التموين من ميناء (دوالة) على الشاطىء الغربي الأفريقي ـ على مسافة ألفي كيلومتر من بحيرة تشاد ـ .

وقد شرعت قوة لوكلير في التقدم من منطقة بحيرة تشاد في نهاية شهر تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ ، وهي بقوة لواء تقريباً ، ثم اخـذت تنتقـل من واحـة إلى أخـرى عـلى الـدروب والـطرقـات المهجورة . وتمكنت هذه القوة في طريقهـا من أسر مجموعـات من الحاميات الإيطالية التي كانت تحرس تلك الـواحات . وصـادفت القوة منطقـة رملية نـاعمة متحـركة ، يبلغ عمقهـا ٦٠٠ كيلومتـر تقـريباً ؛ وكـانت العـربـات تغـوص في رمـال تلك المـنطقـة حتى أعـلاها ، ولـذلك كـان معدل التقـدم اليـومي لا يتجـاوز ستـين كيلومتراً ؛ واقتصر التحرك على ساعات الليل فقط ، لتجنب نشاط الطائرات الإيطالية ؛ ونجحت هذه القوة في النهاية من قطع مسافة

= معركتي طرابلس وتونس سنة ١٩٤٣ ، ثم عين قائداً للفرقة المدرعة الفرنسية الثانية في غزو الحلفاء لأوروبا . وقد دخل باريس ثم ستراسبورغ سنة ١٩٤٤ في طليعة قوات الحلفاء . وعين قائداً للقوات الفرنسية في الشرق الأقصى ـ ١٩٤٥ ـ ثم مفتشاً عاماً للقوات الفرنسية في شمال أفريقيا (تونس والجزائر والمغرب) سنة ١٩٤٦ . ومنح لقب ماريشال فرنسا سنة ١٩٥٢ ـ بعد وفاته ـ تقديراً لخدماته .

خمسة آلاف كيلومتر ، ودخلت طرابلس في أعقاب دخول الجيش الثامن إليها مباشرة . وانضمت قوة لوكلير منذ ذلك الحين إلى الجيش الثامن ؛ واشتركت معه في الأعمال القتالية التالية .

أعاد (مونتغومري) تنظيم قواته بسرعة ؛ ودفع الفرقة المدرعة السابعة لمتابعة المطاردة ، فاستولت قوات هذه الفرقة على (زاوية) يوم ١٩٤٣/١/٢٥ ثم على (زوارة) في ٢٨ منه ، حيث اصطدمت بمؤخرة القوات الألمانية ـ الإيطالية ، ودارت معركة ضارية انسحبت بعدها قوات المحور نحو الغرب (يوم ١٩٤٣/١/٣١) . وفي اليوم ذاته استولت قوات (لوكلير) الفرنسية على (تالوت) . وعبر آخر جندي من جنود المحور الحدود التونسية يوم ٤ شباط ـ فبراير ـ حيث بدأ الجيش الثامن وقائده (مونتغومري) مرحلة جديدة من مراحل الصراع .

٨ ـ الجيش الثامن في معركة تونس

أنزل الحلفاء ـ الأمريكيون والبريطانيون ـ قواتهم في شمال أفريقية في ٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٢ ، فيما كانت معركة العلمين تسير نحو نهايتها الظافرة، وبدأ مونتغومري وجيشه الثامن في التقدم نحو الغرب ، بينما كان أيزنهاور وقوات الحلفاء تتحرك نحو الشرق .

وبدأت الحلقة في الضيق تدريجياً على قوات المحور التي باتت في مطلع سنة ١٩٤٣ وهي محصورة في (تونس) وكان أكثر ما يخشاه

القائد الأعلى الألماني لجبهة الجنوب (الماريشال كيسيرلينغ)[1] هو نجاح الحلفاء في قطع الاتصال بين قوات رومل المنسحبة من حدود مصر وليبيا ، وقوات (فون أرنيم) التي وقفت في مواجهة الغرب ضد أيزنهاور وقواته . ولذلك وضع (كيسيرلينغ) خطته لمنع الاتصال بين الجيش البريطاني الثامن الذي وصل إلى شرق تونس ، وبين بقية قوات الحلفاء التي وصلت إلى غرب تونس . ومقابل ذلك كان هدف (مونتغومري) و(أيزنهاور) تأمين الاتصال لإحكام الحصار على قوات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) . وشرع كل من الطرفين في حشد قواه ووسائطه القتالية لخوض الصراع المسلح الذي وصل إلى مرحلة الحسم .

وفي هذه الفترة عقد (روزفلت وتشرشل) مؤتمر الدار البيضاء ـ كازابلانكا ـ ما بين ١٤ و٢٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٣ ، حيث اتخذت القرارات التالية :

أولاً : متابعة الحرب إلى أن تستسلم قوات المحور بدون قيد ولا شرط .

---

(١) كيسيرلينغ : **(Kesserling-Albert)** مارشال ألماني (١٨٨٧ ـ ١٩٦٠) أصبح رئيساً لهيئة الأركان الجوية سنة ١٩٣٦ ، ثم قائداً للأسطول الجوي الثاني في غزو بولندا سنة ١٩٣٩ وفي معركة فرنسا ١٩٤٠ وأثناء معركة بريطانيا . ثم عين قائداً أعلى للقوات المسلحة في الجنوب (شمال أفريقية وصقليا وإيطاليا) وبقي حتى العام ١٩٤٥ حيث عينه هتلر قائداً عاماً للدفاع عن غرب ألمانيا . أسره البريطانيون ، وقدموه للمحاكمة ؛ حيث حكمت عليه محكمة بريطانية بالاعدام سنة ١٩٤٧ ، وخفض الحكم إلى السجن مدى الحياة ، وأطلق سراحه سنة ١٩٥٢ .

ثانياً : وضع الجيش البريطاني الثامن ـ بقيادة مونتغومري ـ ومعه قوة الصحراء الجوية العاملة على دعمه ـ تحت قيادة الجنرال أيزنهاور وذلك بمجرد تجاوزه لحدود تونس الجنوبية .

ثالثاً : تعيين القائد البريطاني ـ الجنرال ألكسندر ـ نائباً للجنرال أيزنهاور .

رابعاً : إبقاء الأميرال البريطاني (كوننغهام) قائداً عاماً للقوات البحرية للحلفاء في منطقة البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا .

خامساً : تعيين (ماريشال الجو تيدر)[1] قائداً عاماً لجميع القوات الجوية للحلفاء في منطقة البحر الأبيض المتوسط وشمال أفريقيا .

سادساً : الاستعداد لغزو صقليا بمجرد طرد قوات المحور من شمال أفريقية .

لقد كانت القرارات السابقة ضرورة لا بد منها لتنسيق التعاون بين قوات الحلفاء ؛ وتوجيه الجهد القتالي على اتجاه واحد تحت قيادة

---

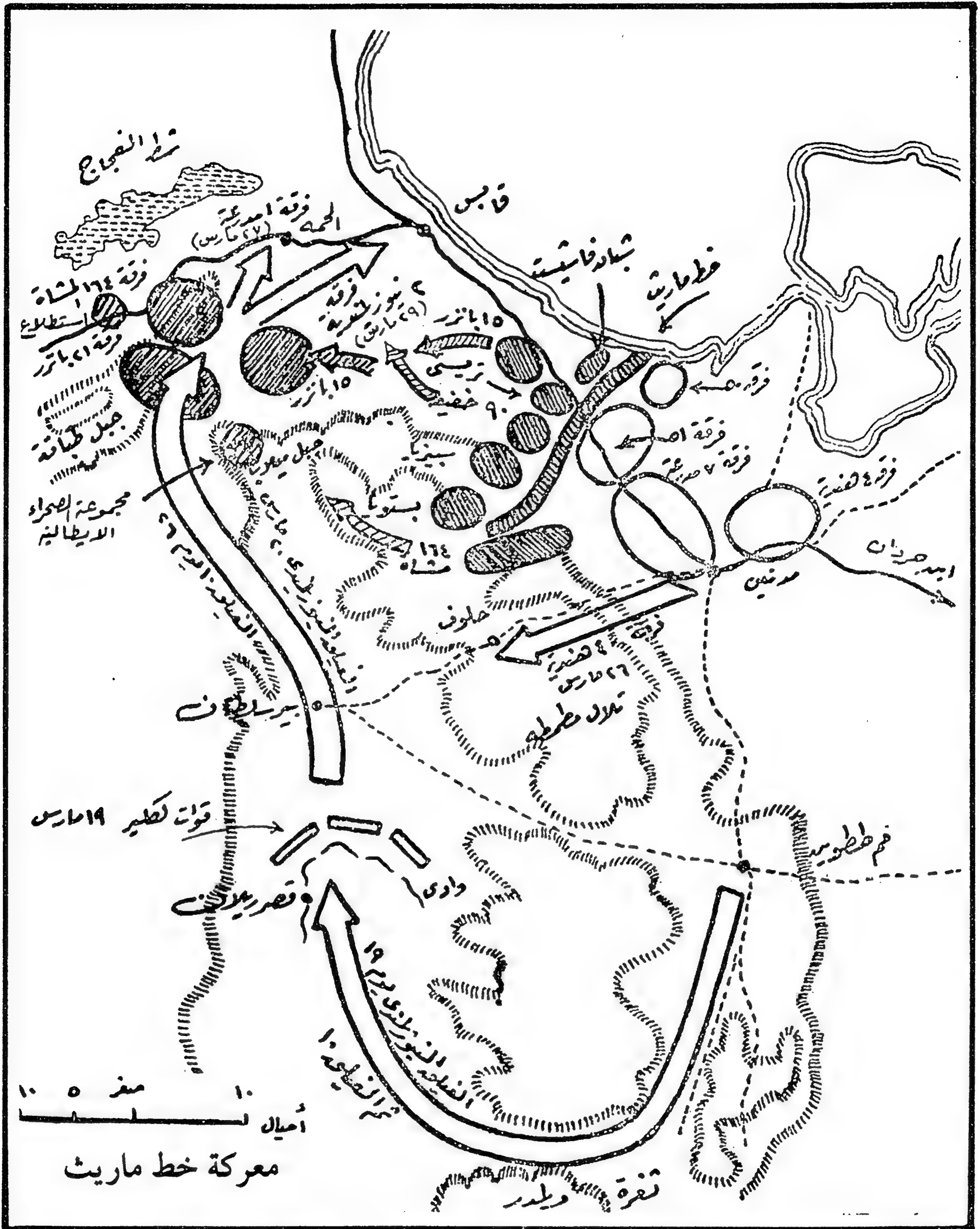
(١) المارشال تيدر : **(Sir. Arthur William Tedder)** مارشال جو بريطاني (١٨٩٠ ـ ١٩٦٧) عمل في بداية الحرب العالمية الأولى على الجبهة الغربية ، وعين سنة ١٩١٦ في سلاح الجو ، ثم قائداً أعلى للقوات البريطانية في الشرق الأقصى . وفي سنة ١٩٣٦ عين مديراً عاماً للأبحاث وتطوير القوات الجوية ، ثم قائداً للقوات الجوية في الشرق الأوسط (١٩٣٨) شغل منصب رئيس هيئة الأركان الجوية البريطانية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠) .

موحدة . وقد بدأ العمل على الفور لتشكيل قيادة ميدانية تعمل على وضع التفاصيل لخطة غزو صقليا ، كما أخذت قيادة الجنرال أيزنهاور بتنسيق التعاون بين قوات (مونتغومري) وبين بقية قوات الحلفاء في غرب تونس .

نظم (رومل) بعد انسحابه من طرابلس ؛ قواته عند (**خط ماريت**) كما نظم أمام هذا الخط عدداً من المواقع الدفاعية التأخيرية (التعطيلية) إلى الشرق من خط ماريت بهدف كسب الوقت لإكمال استعداداته الدفاعية . وقد اختار منطقة (**ابن جردان**) لتكون الموقع الدفاعي التأخيري الأول ـ إلى الغرب من الحدود التونسية بمسافة بسيطة ـ . وجاء بعده الخط الدفاعي الثاني عند (**مدنين ـ فم ططوين**) حيث كانت خطوط المواصلات تلتقي عند هذين الموقعين . وكلف فرقة البانزر ١٥ ومعها مدفعية كافية وطائرات انقضاضية لقتال البريطانيين وتأخيرهم .

كان (مونتغومري) قد أصدر أمره إلى قواته للتقدم بسرعة خلف قوات (رومل) . وقد تسرعت فرقة المدرعات البريطانية السابعة في التقدم نحو (مدنين) و(فم ططوين) ، إلا أنها اصطدمت بقوات المؤخرة الألمانية ـ الإيطالية عند (ابن جردان) فاضطرت للتوقف استعداداً للهجوم ، إلا أن الأمطار الغزيرة أوقفت جميع الأعمال القتالية من يوم ١٠ حتى يوم ١٥ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣ . وعندما قامت الفرقة المدرعة السابعة بهجومها يوم ١٦ منه ؛ وجدت أن قوات المؤخرة قد انسحبت من أمامها ،

فتقدمت نحو (مدنين) و(فم ططوين) . وهنا أيضاً وجدت أن القوات الألمانية ـ الإيطالية قد انسحبت منها إلى (خط ماريت) ، فتابعت تقدمها ، وأجرت التماس مع (خط ماريت) يوم ٢٠ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٢ . وبوصول الجيش الثامن إلى (خط ماريت) أتم الحلفاء حلقة الحصار حول تونس من جميع الجهات . إذ كانت منطقة شطي الجريد والفجاج، هي التي تفصل بين هذا



معركة خط ماريث

الجيش وبين الفيلق الأمريكي الثاني . ومع هذا فإنه لم يكن باستطاعة الجيش البريطاني الثامن القيام بعمليات سريعة لمعاونة قوات الحلفاء في تونس . فقد كانت قاعدة (مونتغومري) الإدارية في ميناء طرابلس الذي يبعد ثلاثمائة كيلومتر تقريباً عن الجبهة

الأمامية . ولذلك كان من الضروري انتظار فترة من الـوقت ريثما يتم نقل المتطلبات الضرورية لاستئناف الهجـوم . وقد تعـذر على مونتغومـري دفع قـوات كبيرة إلى المنـطقة الأمـامية عقب اتصـاله (بخط ماريث) نظراً لصعوبات الإمداد والتموين ، وهذا مما أدى إلى توقف الأعمال القتالية مؤقتاً في القطاع الجنوبي من تونس .

لم يكن (رومل) ولا القيادة الألمانية ؛ لتتـرك المبادأة في قبضـة الحلفاء . فأعد رومل هجوماً كبيراً ، ووضع له ترتيباته ومخـططاته الأساسية والخداعية ؛ ثم أطلق فرقة البانزر ٢١ في يوم ٧ شباط ـ فبـراير ـ بهـدف الاستيلاء عـلى (**فايـد**) ، وقد بـوغتت القـوات الأمريكية مباغتة تامة ، وتبع ذلك قيام هذه الفرقة ذاتها بالانطلاق من غرب (ممر فايد) وهـاجمت الفرقـة المدرعـة الأمريكيـة الأولى (شرقي بلدة أبو زيد) وحقق الهجوم نجاحاً مذهلاً ، فتم تـدمير (٩٠) دبابة شيـرمان ؛ وأسر (١٦٠٠) جنـدي أمريكي . ومـا لبثت هذه الفرقـة أن اجتاحت قـرية (سيـدي أبو زيـد) يوم ١٧ شباط ـ فبراير . واستولت على (**سبيطلة**) . هذا فيما كانت قوات الفيلق الأفريقي (الألماني) قد استولت في الجنوب على (قفصـه) يوم ١٥ شباط ـ فبراير ـ و(فـريانـة) يوم ١٧ شبـاط ـ فبرايـر ـ ، وأرغمت القوات الأمريكية بذلك على الانسحاب من (سبيطلة) و(فريانة) إلى (**ممر القصرين**) . ولكن (رومل) لم يتـرك الفرصـة تفوته فقاد بنفسه قوات من فرقتي البـانزر (١٠ و٢١) وهـاجم (**ممر القصرين**) واستولى عليه بعد معارك ضارية يوم ٢٠ شباط ـ فبراير ـ . أصيبت القوات الأمريكية بحالة من الذعر الشديد ؛ لا

سيما وأن سقوط (ممر القصرين) قد فتح الطريق أمام الألمان إلى (تبسة) . وقد حاولت قيادة الفيلق الأمريكي الثاني معالجة الموقف بأن احتلت موقعاً دفاعياً تأخيرياً في (تاله) ولكن رومل قاد قواته بنفسه وهاجم (تاله) يوم ٢١ شباط ـ فبراير ـ وعندما تحرج موقف الفيلق الأمريكي الثاني طلب (أيزنهاور) من (مونتغومري) العمل بكل جهد مستطاع لتهديد (خط ماريث) على أمل تخفيف الضغط عن الأمريكيين . ولكن حالة الجيش الثامن لم تكن تسمح له بشن هجوم على نطاق واسع ، فاكتفى (مونتغومري) بزج فرقة المشاة ٥١ والفرقة المدرعة السابعة للهجوم على نطاق الدفاع الخارجي لخط ماريث ، مع الحرص على عدم التورط في قتال عنيف . ولم يقاوم الألمان كثيراً ؛ وانسحبوا إلى الدفاعات الرئيسة (لخط ماريث) . وكان للخسائر الكبيرة التي نزلت بالقوات الألمانية ـ الإيطالية ؛ دورها في إيقاف الهجوم على جبهة الغرب ، فشهدت هذه الجبهة نوعاً من الهدوء ، وانتقل الصراع إلى جبهة مونتغومري .

لقد كان (رومل) يعتقد بعد تجاربه في الصراع مع (مونتغومري) بأن الخطر الأكبر الذي يتهدد قواته هو خطر الجيش الثامن المنتشر أمام (خط ماريث) والذي جعل من (مدنين) قاعدة رئيسة له . ولهذا ؛ فقد كان وهو يخوض معاركه ضد القوات الأمريكية في الغرب يفكر في الهجوم على (مدنين) بهدف : ١ ـ حرمان الجيش البريطاني الثامن من أفضل قواعده للهجوم على خط ماريت . ٢ ـ إنزال أفدح الخسائر بقوات الجيش

الثامن ، لكسب الوقت وإرغام مونتغومري على تأجيل هجومه قدر المستطاع .

وهكذا ؛ ومع انتهاء (رومل) من هجومه على الفيلق الأمريكي الثاني يوم ٢٣ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٣ أخذ في إعادة التنظيم لقواته ، وشرع في وضع الخطة للهجوم على (مدنين) . ولم يكن (مونتغومري) بدوره يجهل نوايا خصمه (رومل) ، فأسرع في استعداداته لمجابهة الموقف ؛ وأمر الفرقة النيوزيلاندية الثانية التي كانت في طرابلس بالتحرك إلى (مدنين) واحتلال مواقع دفاعية فيها . كما أمر بنقل الدبابات الجديدة التي وصلت إلى طرابلس خلال تلك الفترة إلى منطقة (ابن جردان) لتسليح اللواء المدرع الثامن بها ، على أن يقوم هذا اللواء فور استلام دباباته بالتحرك إلى الغرب ؛ من أجل دعم الدفاع عن (مدنين) . وفي الوقت ذاته ؛ أمر بتحريك عدد من وحدات فرقة المشاة (٥٠) وأحد ألوية الحرس إلى (مدنين) للاشتراك في الدفاع . وبذلك بلغ مجموع ما حشده من الدبابات (٤٠٠) دبابة علاوة على (٤٠٠) مدفع مضاد للدبابات . وقد استطاع (مونتغومري) رغم كافة صعوبات التحرك ، وقلة الطرق ؛ وإغارات الطائرات الألمانية القوية والمستمرة ، أن ينهي استعداد قواته للمعركة في ليل ٣ ـ ٤ آذار ـ مارس ـ ١٩٤٣ . وفي هذا الوقت ذاته ؛ كان (رومل) قد أنهى استعداداته للهجوم ؛ لقد كانت عملية سباق مع الوقت . وقد اعترف (مونتغومري) في مذكراته بأنه لو أمكن لخصمه (رومل) البدء بهجومه قبل أسبوع من هذا الموعد ؛ لكانت نتيجة (معركة

مدنين) مختلفة اختلافاً تاماً . وعلى كل حال ، فقد بدأ الألمان هجومهم صباح يوم ٤ آذار ـ مارس ـ بتمهيد عنيف من نيران المدفعية والصواريخ ؛ واشتبكت فرقة البانزر العاشرة مع المواقع الدفاعية البريطانية اشتباكاً عنيفاً ، كما اشتبكت قوات فرقتي البانزر ١٥ و٢١ مع المواقع البريطانية ؛ ولكن الدبابات الألمانية اصطدمت بجدار ناري كثيف ـ دعمته نيران دبابات الفرقة المدرعة البريطانية السابعة والتي احتلت مرابض مستورة ، وتوقفت الهجمات الألمانية ؛ ولم تحرز أي تقدم . وقد أعاد (رومل) تنظيم قواته ، ودفعها للهجوم من جديد في الساعة ١٤,٠٠ ، وتمكنت قوات الهجوم من الاقتراب إلى المواقع الدفاعية البريطانية ، وبمجرد ظهور هذه القوات أمام المواقع الهيكلية الخداعية للمدافع المضادة للدبابات ، تظاهر الجنود الذين كانوا بجوارها بالانسحاب ، فتعقبتهم الدبابات الألمانية التي وقعت فجأة تحت نيران المدافع الحقيقية المضادة للدبابات ، وتعرضت الدبابات الألمانية للخسائر الفادحة . وبالرغم من ذلك ؛ فقد جددت الدبابات الألمانية هجماتها عدة مرات ، ومعها المشاة المحمولة ، ولكنها فشلت في اختراق المواقع الدفاعية البريطانية بالرغم من الدعم القوي الذي قدمته لها الطائرات الانقضاضية طوال الهجوم . واضطر (رومل) لإصدار أمره بإيقاف الهجوم في الساعة ١٧,٠٠ ، مع الاحتفاظ بالأرض المكتسبة ، ثم عاد في الليل فأمر بسحبها إلى خط ماريث . **وخسرت القوات الألمانية في هجومها على (مدنين) ٥٢ دبابة ؛ بينما لم يخسر البريطانيون ولا دبابة واحدة** . وأصبح باستطاعة

(مونتغومري) متابعة استعداداته للانقضاض على (خط ماريث) . أما (رومل) فقد أدرك عجز قواته عن مجابهة التفوق الحاسم للحلفاء ، فغادر (أفريقية) يوم ٩ آذار - مارس - ١٩٤٢ . ولم يعد إليها بعد ذلك أبداً . **وانتقل الحلفاء للهجوم ؛ وقد قامت قيادة (مجموعة الجيوش ١٨) التي باتت تضم كافة قوات الحلفاء في شمال أفريقية ؛ بوضع خطة الهجوم ؛ وحددت أهدافه ؛ فكان على الجيش الثامن (بقيادة مونتغومري) الهجوم على المواقع الدفاعية في (خط ماريث) بينما يقوم الفيلق الأمريكي الثاني بالهجوم على اتجاه (قفصه) ثم يتابع تقدمه شرقاً حتى (قابس) على ساحل البحر . وحدد يوم ١٧ آذار - مارس - موعداً لبدء عمليات الفيلق الأمريكي الثاني - فيما حدد ليل ٢٠ - ٢١ آذار - مارس - موعداً لهجوم مونتغومري على (خط ماريت) .**

وضع (مونتغومري) خطته للهجوم بما يشابه خططه السابقة : هجوم جبهي على (عنق الزجاجة) وحركة التفاف واسعة (عبر تلال مطمطة) الصعبة . وأجرى استعداداته الإدارية : وتم استطلاع مواقع (خط ماريث) بدقة ، بواسطة الصور الجوية والإغارات الاستطلاعية . واتخذ إجراءات الحيطة التي أصبحت (حالة اعتيادية) لإخفاء التحركات والتمويه عليها . كما وضعت خطة الدعم الناري بإحكام من أجل التمهيد للهجوم ودعمه .

بدأ الفيلق النيوزيلاندي تحركه من منطقة حشده للقيام بحركة التفافه الواسعة في ليل ١٩ - ٢٠ آذار - مارس - . وكانت أوامر

(مونتغومري) تقضي بأن يتم التحرك خلال ساعات الليل فقط ؛ حتى لا تكتشف وسائط الاستطلاع الألمانية هذا التحرك ؛ إلا أنه كان من المتعذر عملياً إخفاء تحرك قوات زادت على ٢٧ ألف جندي ومعها ٢٠٠ دبابة وآلاف العربات ومئات المدافع . ولهذا سرعان ما اكتشفت الطائرات الألمانية هذا التحرك ، فأصدر (مونتغومري) أمره بالتقدم أثناء النهار . ولقد تعرضت قوات الفيلق لمتاعب لا نهاية لها في سيرها عبر الأراضي الوعرة ، والمناطق الصعبة . وقد تمكن الفيلق من متابعة تقدمه على الرغم من الهجمات الجوية المتتالية التي شنتها طائرات المحور طوال يوم ١٩٤٣/٣/٢٠ ، فمر من (قصر ريلان) و(بير سلطان) حتى وصل عند الغروب إلى مسافة كيلومترات قليلة من النطاق الداخلي للدفاع (الخط الداخلي لعنق الزجاجة) والذي كان يمتد على مواجهة عشرة كيلومترات تقريباً (ما بين جبلي ميلاب وطباقة) . وقد احتلت القوات الألمانية ـ الإيطالية هذا الخط على عجل لمواجهة حركة الالتفاف البريطانية ؛ واستطاعت هذه القوات مواجهة القوات النيوزيلاندية بنيران كثيفة أرغمتها على التوقف .

كانت فرقة المشاة البريطانية (٥٠) قد شرعت بالهجوم بالقرب من الساحل مباشرة ـ في الساعة ٢٢,٣٠ من ليل ٢٠ ـ ٢١ آذار ـ مارس ـ . وقد سبق الهجوم تمهيد كثيف بنيران سدود المدفعية . وكان هدف المرحلة الأولى من الهجوم هو إقامة رأس جسر عبر (وادي الزجزاوي) الذي يرتكز عليه (خط ماريث) في

تلك المنطقة ؛ وقد اختارت الفرقة ثلاث هيئات هامة إلى الشمال من الـوادي مباشـرة ـ أي على الجـانب البعيد منـه ـ لتكون هـدفاً لهجوم تلك المرحلة حتى يتم تأمين رأس الجسر . وكـانت أجناب الـوادي ذات ميـول حـادة ، كـما كـان بـه قـدر كبـير من المـاء . واستطاعت الفرقة الاستيلاء على هدفها رغم المقاومة الضارية ؛ إلا أنها تعرضت لخسائر فادحة . وبدأت الفرقة (٥٠) بتوسيع رأس الجسر ؛ ولكن الهجـوم المضاد الـذي قامت بـه القوات المـدرعـة الألمانية في اليوم التالي (٢٢ آذار ـ مـارس ـ)نجح في طرد القوات البريطانية من جميع المواقع التي احتلتها ، مما اضطر (مونتغومري) لإصدار أمره في ليل ٢٣ ـ ٢٤ آذار ـ مارس ـ بسحب القوات إلى مواقعها التي انطلقت منها للهجوم .

أعـاد (مونتغـومري) تـوزيع قـواته ؛ ووضـع مخططاً جـديداً للهجـوم ؛ ونقـل ثقـل هـذا الهجـوم نحـو القـوات التي قـامت بالالتفاف . وأعيد تنسيق التعاون بين القوات البـرية بعضهـا مع بعض ، وبينهـا وبين القـوات الجويـة ، وأجـريت الاستعـدادات الضرورية . وقامت القوات الجوية البريطانية بأعنف هجمـاتها في السـاعة ١٥,٠٠ من يـوم ٢٦ ـ آذار ـ مارس ، فـأنزلت بـالقوات المدافعة عن (خط مـاريث) . وهبت عاصفـة رملية أفـادت منها الفرقة النيوزيلاندية لاحتلال قاعدتها للهجوم الذي بدأ في الساعة ١٦,٠٠ ، ولم تظهر القـوات الألمانيـة ـ الإيطاليـة مقاومـة عنيفة ؛ فتقدمت قوات الهجوم لمسافة كيلومترات ، غـير أن غياب الشمس اضطرها للتوقف بانتظار شروق القمر ؛ حيث استأنفت هجومها ،

وبذلك تم لها اختراق المواقع الدفاعية لقوات المحور اختراقاً كاملاً . ودارت معركة عنيفة بالقرب من (**الحمة**) في الجنوب ، انتصرت فيها قوات الهجوم ، وأخذت القوات الألمانية ـ الإيطالية بالانسحاب إلى خطها الدفاعي الجديد في (**وادي العكاريت**) . وقد تابعت القوات البريطانية تقدمها طوال يوم ٢٨ آذار ـ مارس ـ وأمكن لها التغلب على المقاومات المتتالية ، واستطاعت الفرقة النيوزيلاندية الثانية أن تستولي على (**قابس**) يوم ٢٩ ـ آذار ـ مارس ـ . وأثناء ذلك كانت قوات الفيلق الأمريكي الثاني تتابع هجومها على اتجاهين ـ اتجاه قابس واتجاه مكناس ـ مما ساعد الجيش البريطاني الثامن على تحقيق هدفه في الاستيلاء على قابس . وبذلك انهارت المقاومات الألمانية ـ الإيطالية على (خط ماريث) .

كان (وادي العكاريت) يمتد من البحر شرقاً حتى (شط الفجاج) غرباً ؛ ويسميه البعض بثغرة (قابس) إذ يقع عند عنق الزجاجة الواقع شمال قابس والبالغ عرضه ـ أو جبهته ـ في حدود ٢٥ كيلومتراً تقريباً . واعتبرت التلال المشرفة على هذا الوادي من الشمال ، هيئات دفاعية منيعة جداً ضد تقدم الدبابات والقوات الميكانيكية ؛ وهي ذات ميول حادة نحو الجنوب . وأهم هذه التلال (جبل رمانة) بالقرب من البحر (وجبل فطنسة) بالقرب من شط الفجاج . وقد احتلت القوات الألمانية ـ الإيطالية عقب **انسحابها من (خط ماريث) هذه التلال ؛ ونظمت فيها مواقع دفاعية** قوية ، إلا أن الوقت لم يتوافر لها لإكمال تجهيزها . كما أن وسائط

الدفاع لم تتوافر لها بالقدر الكافي ؛ إذ أن تحصين (خط ماريث) كان قد استهلك معظم هذه الوسائط .

حددت قيادة (مجموعة الجيوش ١٨) عقب انتهاء معركة (خط ماريث) هدف الأعمال القتالية التالية بالقضاء التام على جيش البانزر الأول ؛ وتحقيق الاتصال بين الجيش البريطاني الثامن وبين الفيلق الأمريكي الثاني . وقد وضعت الخطة لبلوغ هذا الهدف كالتالي :

١ ـ يقوم الجيش البريطاني الثامن بهجوم كبير ضد قوات المحور التي انسحبت إلى وادي العكاريت ؛ في أسرع وقت ممكن ؛ وقبل أن تتمكن هذه القوات من تقوية مواقعها الدفاعية في تلك المنطقة ؛ وقبل أن يتسنى لقيادة المحور الوقت لإمدادها ودعمها والتعويض على الخسائر التي نزلت بها في معركة (خط ماريث) .

٢ ـ يقوم الفيلق الأمريكي الثاني بهجوم آخر في اتجاه الشرق لقطع خط انسحاب المحور وتهديد أجنابه وبذلك ينحصر جيش البانزر الخامس بين قوات الجيش البريطاني الثامن من الأمام ؛ وبين الفيلق الأميركي الثاني من الخلف والجانب ، وبذلك يتم القضاء عليه وتدميره .

وضع (مونتغومري) خطته للهجوم ؛ ووزع فرقه ؛ وحدد لها واجباتها ، وفي الساعة (٠٤,١٥) من يوم ٦ نيسان ـ أبريل . انطلقت القوات للهجوم ، فتقدمت الفرقة الهندية الرابعة في اليسار بدون دعم من المدفعية ، بينما تقدمت الفرقتان ٥٠ و٥١ على يمينها

تحت ستار نيران شديدة من المدفعية ؛ مما جعل قوات المحور تعتقد أن الهجوم محدد بقطاع الفرقتين ٥٠ و٥١ . وقد ساعد ذلك على نجاح الفرقة الهندية الرابعة في مباغتة قوات المحور في مواجهتها ، فتمكنت من الاستيلاء على أهدافها بسهولة . كما نجحت الفرقة ٥١ أيضاً في الاستيلاء على أهدافها في الساعة (٠٦,٣٠) أما الفرقة ٥٠ التي كانت في الوسط فقد توقف تقدمها أمام المقاومة الضارية لقوات المحور حتى ظهر يوم ٦ نيسان ـ أبريل ـ .

تأخر وصول الدبابات والمدافع المضادة للدبابات بسبب صعوبات التحرك في (وادي العكاريت) . وأفادت قوات المحور من هذا التأخير ، فنظمت هجوماً مضاداً قوياً بقوات فرقة البانزر ١٥ والفرقة الخفيفة ٩٠ ضد الجناح الأيمن للهجوم (عند جبل الرمانة) وتم طرد الفرقة البريطانية ٥١ من معظم الأرض التي احتلتها في تلك المنطقة . ودار على الأثر قتال عنيف جداً لفترة من الوقت ، تبادل فيها البريطانيون والألمان تلك الأراضي عدة مرات ، وانتهى الصراع أخيراً باستعادة الفرقة ٥١ لأهدافها ؛ وتوطيد أقدامها على الأرض المكتسبة .

بدأ الفيلق البريطاني العاشر ومعه الفرقة النيوزيلاندية الثانية بالتحرك بعد الظهر استعداداً لعبور الثغرات التي فتحت في دفاعات المحور ، إلا أن بقايا المقاومات التي ظلت صامدة طوال ذلك اليوم عند نهاية الثغرات ، تمكنت من إعاقة عملية العبور حتى الظلام ؛ حيث أخذت هذه البقايا في الانسحاب ؛ فبدأت القوات البريطانية

معركة وادي العكاريت

بمطاردتها على الفور ، وهي المطاردة التي استمرت طوال يوم ٧ نيسان ـ أبريل ـ ؛ وانتهت بتحقيق الاتصال بين قوات الجيش البريطاني ـ الثامن وبين الفيلق الأمريكي الثاني . وكان هذا هو أول اتصال بين جبهتي الحلفاء في جنوب وغرب تونس ـ .

استمرت المطاردة في الأيام التالية خلف قوات المحور التي كانت قد أسرعت شمالاً نحو عنق الزجاجة التالي بمنطقة (أنفيدافيل)

بينما كانت فرقة البانزر ١٥ والفرقة الخفيفة ٩٠ تعملان على حماية الانسحاب ؛ وتعترضان سبيل تقدم وحدات الجيش البريطاني الثامن بكل جهد ممكن ؛ حتى تستطيع القوات المنسحبة تنظيم مواقعها الدفاعية الجديدة . وقد اشتبكت قوات الفيلق البريطاني العاشر مع قوات حماية الانسحاب ، ودارت معارك عنيفة طوال يوم ٩ نيسان ـ أبريل ـ انتهت بانسحاب قوات المحور . وتمكنت قوات الفيلق البريطاني ٣٠ من التقدم يوم ١٠ نيسان ـ أبريل ـ على الطريق الساحلي ، ودخول (**صفاقس**) . وشرع البريطانيون على الفور في تجهيز ذلك الميناء من أجل استخدامه لتأمين الإمدادات والاحتياجات للقوات المتقدمة . واستمر تقدم القوات البريطانية وسط مقاومة ضارية ؛ أمكن القضاء عليها ؛ ودخل الفيلق ٣٠ مدينة (**سوس**) يوم ١٢ نيسان ـ أبريل . ووصلت القوات البريطانية إلى أمام (أنفيدافيل) في مساء يوم ١٣ نيسان ـ أبريل ، وتوقفت أمام مواقع قوات المحور (الألمانية ـ الإيطالية) ولقد قرر (مونتغومري) الإسراع في مهاجمة مواقع (**أنفيدافيل**) ، إلا أنه تبين له بأنه من غير الممكن مهاجمتها بدون إعداد مناسب ، فأعاد تنظيم قواته ؛ ووضع خطة الهجوم الذي بدأ تنفيذه في ليل ١٩ ـ ٢٠ نيسان ـ أبريل ـ بعد تمهيد عنيف بنيران المدفعية وإغارات الطيران . ودار قتال عنيف استطاعت الفرقة النيوزيلاندية الثانية في نهايته الاستيلاء على بعض المرتفعات المشرفة على تحركات قوات الجيش الثامن . كما نجحت الفرقة (٥٠) من احتلال مدينة (أنفيدافيل) والتقدم شمالها لمسافة خمسة كيلومترات . وقامت

التقدم البريطاني إلى انفيدافيل

القوات الألمانية ـ الإيطالية بهجمات مضادة عنيفة تمكنت بواسطتها من إيقاف تقدم الجيش الثامن إلا أنها لم تستطع دحره أو رده على أعقابه.

كان الجيش البريطاني الثامن قد تلقى أمراً في أعقاب معركة (وادي العكاريت) بتجهيز قسم من قوته للاستعداد لغزو صقليا ، فأصدر (مونتغومري) أمره إلى قيادة الفيلق الثلاثين بالتجمع في (صفاقس) ومعها فرقة المشاة ٥١ ـ بهدف الاستعداد لعمليات غزو صقليا بحراً ؛ وإجراء التمارين الضرورية . وعندما انتهى (مونتغومري) من معركة (أنفيدافيل) أصدر أمره إلى الفرقة ٥٠ بالانسحاب إلى (صفاقس) وحلت محلها في المنطقة الأمامية فرقة المشاة البريطانية ٥٦ ، التي كانت قد وصلت حديثاً من بريطانيا .

أصبحت قضية تصفية بقايا القوات الألمانية ـ الإيطالية في تونس هي قضية وقت لا أكثر ؛ وعلى الرغم من اشتراك الجيش الثامن ببعض قواته ؛ مع القوات الحليفة (الفيلق الأمريكي الثاني والفيلق الفرنسي الأفريقي) ، فإن دوره الأساسي قد انتهى بانتهاء معركة (أنفيدافيل) . لقد عاش الجيش البريطاني الثامن ـ وقائده مونتغومري ـ أعظم لحظات الانتصار ؛ وتعرضوا لأقسى ظروف المعاناة ؛ غير أن دائرة الحرب لم تصل إلى نهايتها ، ولا زال أمام الجيش البريطاني الثامن وقائده مجال للمزيد من المعاناة في أتون الحرب ، ولتحقيق المزيد من الانتصارات .

« يتمتع مونتغومري بموهبة فذة في مجال المعركة المنظمة والهجوم المحضر بكل عناية »

الجنرال الأمريكي عمر برادلي

الفصل الثاني

٩ ـ صقليا وإيطاليا .

١٠ ـ النورماندي وغزو أوروبا .

١١ ـ ماذا حدث في الآردين ؟ .

١٢ ـ اجتياح ألمانيا .

١٣ ـ وداع العلمين .

٩ ـ صقليا وإيطاليا

لقد ارتفع اسم (الجيش البريطاني الثامن) وتألق اسم قائده (مونتغومري) في حرب الصحراء ، حيث انحصرت إدارة الصراع بالدرجة الأولى بين قائدين هما (رومل) و(مونتغومري) ، وحيث حدد مجال الأعمال القتالية ؛ وفقاً للطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات ؛ عند خطوط معينة . وكان حجم القوى والوسائط بدوره محدداً ، ولكن الموقف تغير بشكل أساسي عندما وصلت معركة تونس إلى نهايتها ؛ وعندما أصبح لزاماً على الجيش البريطاني الثامن وقائده مونتغومري العمل في ظروف متغيرة ، فلم يعد الجيش الثامن إلا تشكيلاً مقاتلاً في جملة التشكيلات المقاتلة للحلفاء ، ولم يعد مونتغومري إلا قائداً ضمن جهاز قيادي ضخم يقف على قمته أو ذروته الجنرال أيزنهاور .

وأصبح مسرح العمليات الجديد (صقليا وإيطاليا) على اتصال مباشر بأوروبا ؛ فباتت المواجهة مباشرة بين الحلفاء من جهة وبين

المحور من جهة ثانية ؛ ولقد اختلفت طبيعة مسرح العمليات ؛ بجبالها ووهادها ؛ بسهولها وعوائقها . والأهم من ذلك كله هو أن الإمكانات والوسائط القتالية والقوات باتت تتدفق من الولايات المتحدة لتغرق مسارح العمليات ، وكان لا بد لهذا العامل من أن يفرض وجوده على أهداف القتال وطريقة إدارة الحرب ؛ وأساليب خوض الأعمال القتالية ؛ ولهذا كان لا بد للدور البريطاني من أن يفسح المجال أمام الدور الأمريكي المتعاظم . فهل سيتكيَّف الجيش البريطاني الثامن وقائده مونتغومري مع هذه المتغيرات جميعها ؟ .

إن الإجابة على هذا السؤال تقتضي إجراء استعراض سريع ، لما حدث من تغيير في إدارة الحرب وتنفيذها خلال مرحلة غزو صقليا .

لقد شكلت (هيئة أركان مشتركة) لمساعدة القائد العام لمسرح العمليات الجنرال أيزنهاور . وكانت هيئة الأركان هذه قد ضمت قادة من صنوف الأسلحة الثلاثة : البرية والبحرية والجوية ؛ وقائدي الجيشين الحليفين : الجنرال مونتغومري والجنرال باتون . وكان هذا التنظيم هو (المسؤول الأعلى عن التنفيذ) لعملية صقليا . وتحقق التنفيذ داخل المجموعات المكلفة بمهات تعبوية ـ تكتيكية محددة تماماً . وكانت مجموعات القتال المكلفة بالواجب تضم كل ما هو ضروري لإنزال يتم عنوة من سفن إنزال الجند ؛ والأسلحة الثقيلة والعتاد ، حيث استخدم أكثر من ثمانين نموذجاً متنوعاً من سفن الإنزال ؛ منها الكاسحات لتسهيل التقرب ، وسفن الحراسة

والمرافقة والسفن المكلفة بالدعم الناري بواسطة مدافعها ؛ وحاملات الطائرات للغارات الجوية . ويضاف إلى هذا كله القواعد الأرضية والقواعد العائمة المخصصة لتأمين التموين الكثيف والصيانة والإصلاحات وعمليات الإخلاء لهذا المجموع الذي فرض ذاته : سفن ورش وسفن إصلاح وسفن تموين .

لقد تبين للمرة الأولى أن التخطيط والإعداد لعملية واسعة النطاق ، وتنفيذها بصورة دقيقة ؛ يتطلب توافر خبرة تقنية عالية ؛ وتوزيعاً في الأعباء بين الحلفاء ، مع الحاجة لتنسيق التعاون . ولتأمين الرقابة والسيطرة يتطلب توافر هيئات للأركان ذات مفاهيم عسكرية صرفة ، وأفكار حديثة ، حتى تعالج أكثر العوامل تنوعاً واختلافاً ؛ بروح من الواقعية . وكان المعسكر الأنكلو ساكسوني ـ وخاصة الأمريكيين ـ على استعداد للاضطلاع بمثل هذا العبء .

وإذا كانت تجربة نقل القوات بحراً وإنزالها أيام الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦٤ ـ ١٨٦٧) قد باتت تجربة قديمة ؛ فإن تجربة الحرب العالمية الأولى (١٩١٧) بقيت ماثلة في الأذهان . ولهذا لم يتردد الأمريكيون في تعبئة ملاكات الجيش ـ كادراته ـ بالاختصاصيين ممن توافرت لهم درجة عالية من الكفاءة ؛ في مختلف الأنشطة والمجالات التقنية . وأسندوا إليهم الأعباء الثقيلة ؛ ومنحوهم من الرتب العالية ما يتناسب مع درجات مسؤولياتهم ؛ مع منحهم حرية العمل لتطبيق الطرائق التي برهنت على نجاحها في المجالات الصناعية .

وقسمت مجموعات القوات المكلفة بالمهمة إلى (قوات) تستطيع التكيف مع الطبيعة المختلفة لشواطىء الإنزال . وأصبح من الواجب تنظيم القيادة تبعاً للمراحل المتعاقبة لمثل هذه العملية . وكان التقرب البحري وحماية القوافل ضد الهجمات الجوية ؛ وضد سفن السطح أو الغواصات ؛ هو من مسؤولية القيادة البحرية التي كانت تنسق التعاون لتنفيذ الواجبات . غير أن هذه المسؤولية كانت تنتقل فوراً إلى قادة القوات البرية والجوية ؛ اعتباراً من اللحظة التي يتم فيها إنزال جزء من القوات والمواد التموينية والإمدادات على أرض الساحل ، وتحتفظ البحرية لنفسها بعد ذلك بمسؤولية أمن كل السفن .

كان غزو (صقليا) هو أول عملية إنزال كبرى . فقد كانت قيادة الحلفاء تعرف بأن عشر فرق إيطالية وفرقتين ألمانيتين ـ إحداهما مدرعة ـ تدافع عن الجزيرة .

وخصص للعملية جيشان هما : الجيش الأمريكي السابع بقيادة الجنرال باتون الذي جاء من تونس ليقوم بالإنزال على ثلاثة شواطىء من الساحل الجنوبي ـ من طرف جيلا ـ ، **والجيش البريطاني الثامن بقيادة الجنرال مونتغومري والذي جاء من طرابلس ليقوم بالإنزال على ثلاثة شواطىء من الساحل الشرقي ـ جنوبي سيراقوزه .**

وكان الجيشان يشكلان مجموعة الجيوش (١٥) التي يقودها المارشال البريطاني ألكسندر ، يعاونه مارشال الجو تيدر والأميرال

كوننغهام تحت القيادة العليا للجنرال أيزنهاور . وكان مجموع القوات يصل إلى (١٦٠) ألف رجل و١٨٠٠ مدفع و٦٠٠ دبابة و٣٢٢٦ سفينة متنوعة .

شهدت الأسابيع التي سبقت عملية الإنزال إغارات متواصلة قامت بها طائرات الحلفاء ضد الأهداف العسكرية (مهابط الطيران والطرق والمنشآت) في صقليا وإيطاليا وسردينيا ؛ وبالاستيلاء على ثلاث جزر صغيرة تقع على الطريق البحري بين تونس وصقليا باتجاه مالطا ، وهي جزر بانتالاريا ولينوزي ولامبودسا ؛ وذلك ما بين ١٠ و١٣ حزيران - يونيو - ١٩٤٣ .

وتمت حماية تحرك (القوات المكلفة بالهجوم) على جناحيها بواسطة فرقتين بحريتين : الأولى باتجاه الرأس الغربي لصقليا والأخرى باتجاه اليونان .

اتجهت (القوات المكلفة بالهجوم) إلى مناطق تجمعها في عرض البحر - غربي مالطة وشرقيها - يوم ٩ تموز - يوليو - . وكان الجو رديئاً جداً ، وكان لا بد للجنود الذين سيركبون زوارق إنزال المشاة من التعرض لأقسى الصعوبات وللمعاناة الشاقة ، غير أن هذه الأحوال الجوية هي التي ساعدت قوات الهجوم على تحقيق المباغتة ؛ إذ لم يكن باستطاعة الجنود الألمان والإيطاليين تصور احتمال هجوم في مثل هذه العواصف(*) .

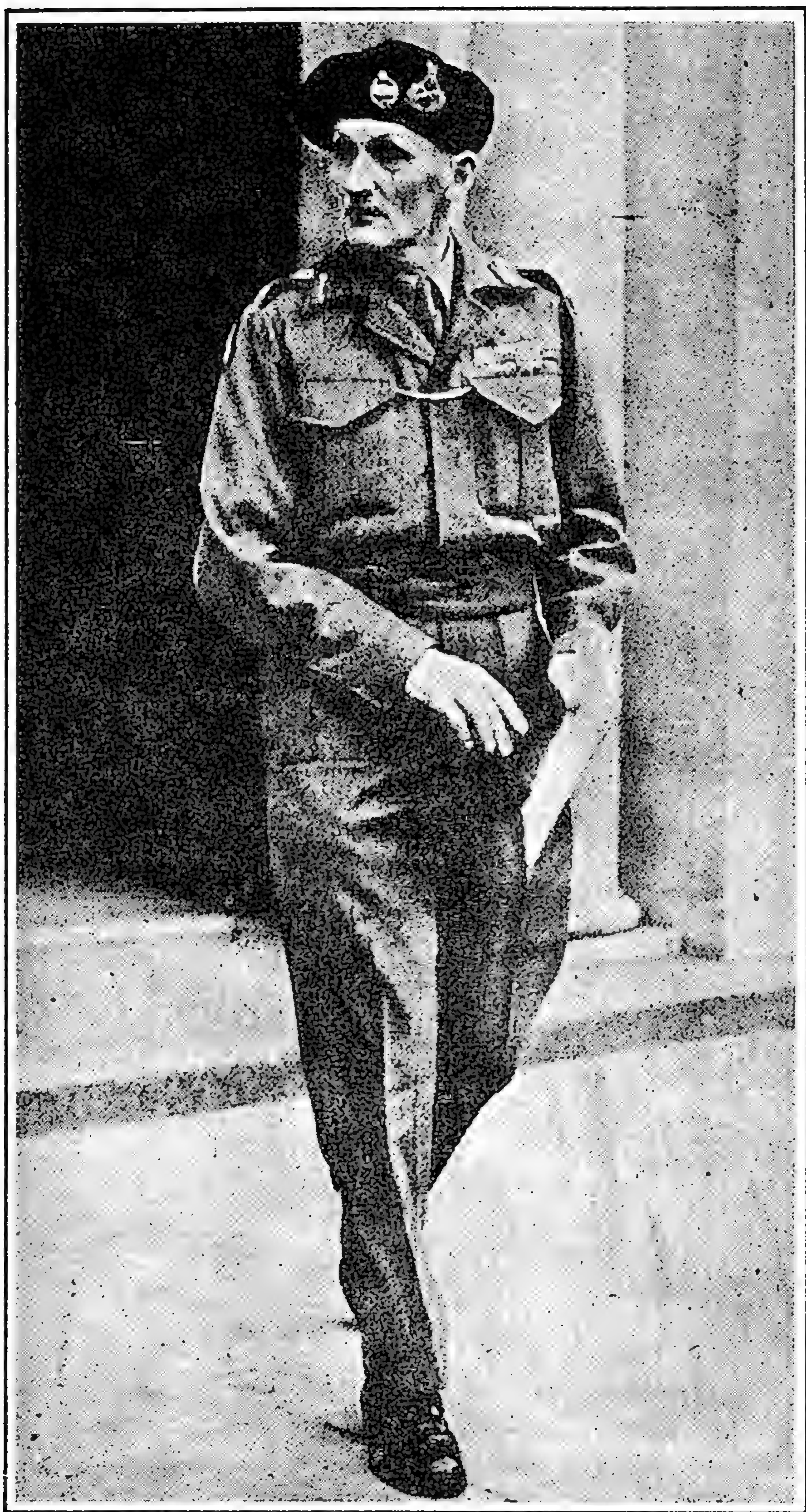
(*) هنا لا بد من الإشارة إلى مجموعة الإجراءات التي اتخذتها قيادة الحلفاء لتضليل قيادة =

انطلقت في وسط هذا الجو العاصف ٥٠٠ طائرة و١٣٧ طائرة شراعية من جنوب تونس ؛ وأنزلت قوتين من المظليين : لواء بريطاني حمل بالطائرات الشراعية ؛ وتم إنزاله في منطقة سيراقوزة - وهي منطقة عمل الجيش البريطاني الثامن - ، وكتيبة مظليين أمريكيين تم إنزالها في منطقة جيلا - وهي منطقة عمل الجيش الأمريكي السابع . وشتتت هذه الوحدات المختارة والمنتقاة بسبب شدة الرياح وعنفها ؛ ولكن مجرد وجودها على مسرح العمليات كان كافياً لنشر الاضطراب وبث الذعر في قوات المحور .

وتم الإنزال البحري في الليل ذاته (١٠ تموز - يوليو - ١٩٤٣) ، وبعد ساعات قليلة من إنزال المظليين . ورافق ذلك تمهيد جوي عنيف ضد المدفعية الساحلية - بصورة خاصة - وكانت المقاومة عنيفة بفضل وجود القوات الألمانية في صقليا .

لقد جرت الأعمال القتالية - بإيجاز - على النحو التالي : قام الجيش الأمريكي السابع بهجومه على اتجاهين من الشرق إلى الغرب - على امتداد الشاطىء الجنوبي ثم من الجنوب إلى الشمال ؛

= المحور وخداعها ؛ مثل إلقاء جثة ضابط بريطاني ومعه خرائط عن عمليات إنزال في سردينيا وجنوب فرنسا ؛ ومثل خداع الرصد الجوي بتحركات تضليلية ؛ بالإضافة الى تصعيد عمليات الأنصار في اليونان خلال الأسابيع التي سبقت غزو صقليا ، وبالاضافة أيضاً إلى الأعمال الناجحة لشبكات العملاء (الحرب السرية) ، والتي أمكن لها بمجموعها تحقيق المباغتة ؛ وحمل قيادة المحور على تشتيت قواتها مما أسهم في نجاح الإنزال .



« الفيلد مارشال مونتغومري »

من داخل الجزيرة نحو باليرمو ؛ مع تحول نهائي في الاتجاه نحو شمالي ـ شرقي مسينا . أما الجيش البريطاني الثامن فقد اضطر لاحتلال المنطقة الجبلية التي يشرف عليها (آلاتنا) مع مناورتها في الغرب وفي الشرق ، وكان هدفه مسينا . وسقطت هذه المدينة بتاريخ ١٦ آب ـ أغسطس ـ ١٩٤٣ ، أي بعد ٣٨ يوماً من القتال العنيف الذي قدم الحلفاء فيه (٣١) ألف جندي ممن سقطوا في القتال ـ منهم ٥ آلاف قتيل ، وخسرت قوات المحور ٣٥ ألف جندي بين قتيل وجريح و١٣٢ ألف أسير ، وكان نصيب الألمان منها ٣٧ ألف جندي .

لقد عمل (مونتغومري) في الظروف الجديدة في إطار قيادة واسعة ؛ وضمن تشكيلات مقاتلة كبيرة . غير أن عمل الجيش البريطاني الثامن في جبهة مستقلة ؛ قد منحه حرية للعمل لمجابهة المشكلات الخاصة بمسرح العمليات . وقد كانت هناك في الواقع مشكلات كثيرة ؛ ليس أقلها أهمية الصعوبات الجغرافية لمسرح العمليات والطبيعة الصعبة للقتال في المناطق الجبلية .

وقد اتبع (مونتغومري) أسلوبه المميز في معالجة مشكلات الحرب : دراسة الموقف بدقة ؛ وضع خطة للهجوم ؛ التحرك بحذر ؛ العناد في القتال . وبذلك استطاع الجيش البريطاني الثامن تحقيق أهدافه ، ولم يعد هناك ما يفصل الحلفاء عن إيطاليا إلا مضيق مسينا .

وقد أدى الهجوم في صقليا إلى تغييرات سياسية واستراتيجية على

المسرح الإيطالي (فقد اعتقل موسوليني وفرضت عليه الإقامة الإجبارية ؛ وحل محله المارشال بادوليو الذي عقد هدنة مع الحلفاء نشرت نصوصها يوم ٨ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٣) ، وتبع ذلك انسحاب الألمان من سردينيا ؛ إلا أنهم استعادوا زمام المبادأة بسرعة ودفعوا قواتهم في إيطاليا حتى منطقة نابولي ؛ وبات لزاماً على الحلفاء أن يفعلوا منذ الآن كل شيء .

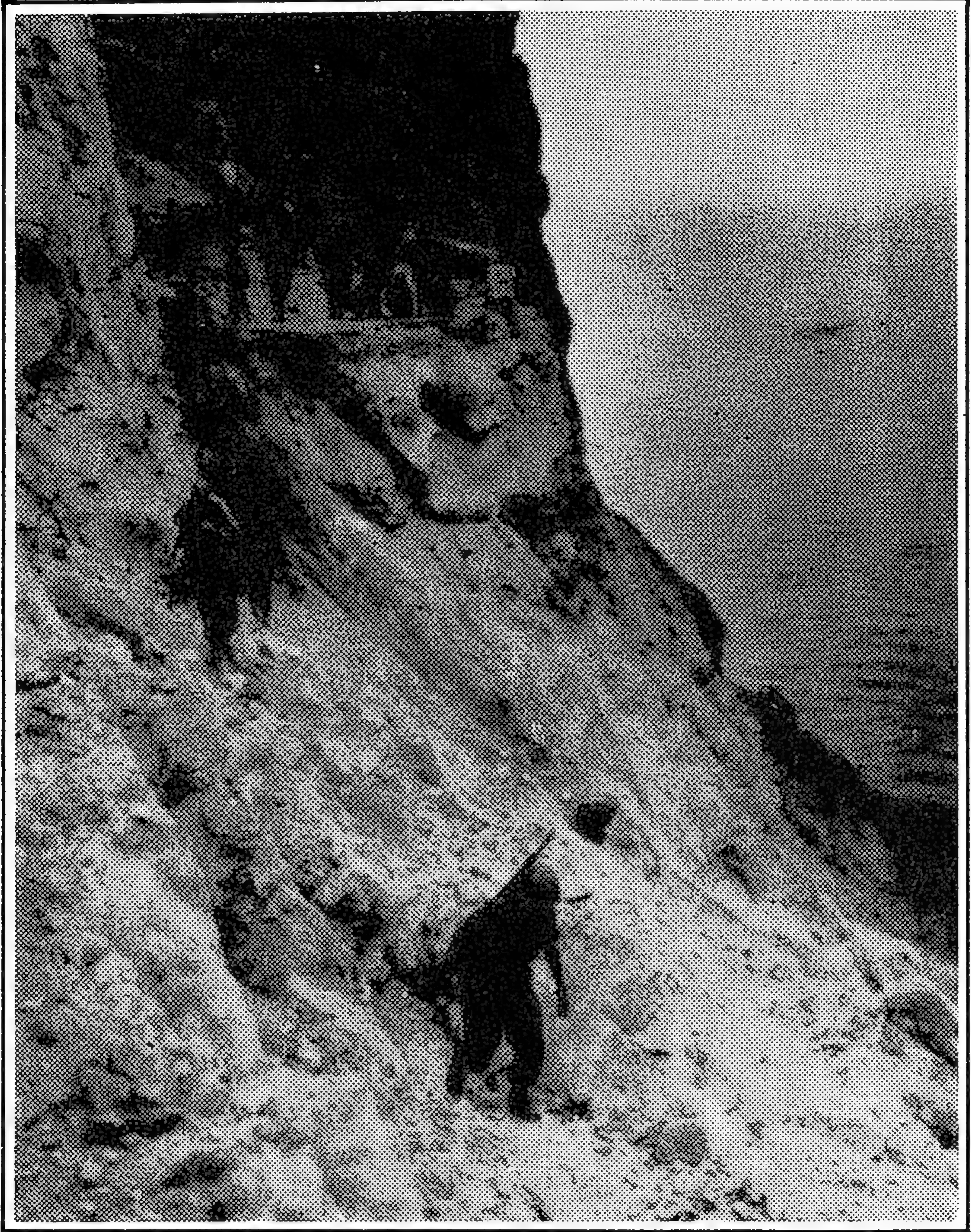
وهنا تحرك (مونتغومري) بسرعة ؛ فقاد الهجوم ؛ وزج فرقتين من جيشه الثامن في الساعة ٣,٠٠ من يوم ٣ أيلول ـ سبتمبر ـ تم إنزالهما في (كالابريا) وتقدمت الفرقتان في أرض صعبة لعمق مائة كيلومتر في ستة أيام .

وقد أدى نجاح هذه المهمة للبدء بتنفيذ المرحلة الثانية من الهجوم ؛ وهي إنزال وحدات من الجيش الأمريكي الخامس ـ مارك كلارك ـ في خليج ساليرنو الفسيح ، حيث تم في يوم ٩ أيلول ـ سبتمبر ـ إنزال فرقتين بريطانيتين وفرقة أمريكية ومجموعتي مغاوير ـ كوماندو ـ وقامت ٧ حاملات للطائرات بدعم الإنزال والهجوم ، وأمكن التقدم خلال ثلاثة أيام بعمق ١٦ كيلومتراً ، ثم قامت القوات الألمانية بهجوم مضاد عنيف بقوة (٦) فرق ، وذلك قبل أن تتلقى قوات الهجوم دبابات فرقة المدرعات البريطانية السابعة ، إلا أن قوات الهجوم صمدت صموداً رائعاً رغم نجاح القوات الألمانية المدرعة في إحداث ثغرة عميقة ؛ وقسم رأس الجسر في (ساليرنو) إلى قسمين . وبقي القتال ضارياً حتى يوم ١٤ ـ

أيلول ـ سبتمبر ـ حيث أمكن إنقاذ وضع قوات الحلفاء بفضل نيران ستمائة مدفع من مدافع الأسطول ، بالإضافة للهجمات الجوية الكثيفة.

وفي هذا الوقت كان الجيش البريطاني الثامن بقيادة (مونتغومري) ما زال بعيداً عن الجيش الأمريكي السابع ؛ وكان الجيش الثامن يقوم بحركة استدارة واسعة وسط مناطق صعبة وضد مقاومات عنيفة ؛ لاجتياز مسافة أربعمائة كيلومتر ؛ على طرق مدمرة وبتموين صعب ، إلى أن وصلت القوات المتقدمة للجيش الثامن يوم ١٦ أيلول ـ سبتمبر ـ وقامت بالاتصال مع الجيش الأمريكي السابع .

لقد حددت الطبيعة الجغرافية لشبه الجزيرة الإيطالية ، أساليب العمليات . ذلك أن عرض الجزيرة يبلغ ١٢٠ كيلومتراً بين البحر التيراني في الغرب والبحر الأدرياتيكي في الشرق ـ على ارتفاع نابولي وترمولي ـ ، وتجتازها من الجنوب إلى الشمال سلسلة جبلية يبلغ ارتفاع الجزء المتوسط منها بين ٨٠٠ و١٦٠٠ م . ولهذا فقد كان باستطاعة مونتغومري إدارة العمليات في الجانب الشرقي من شبه الجزيرة الإيطالية حتى ٢٤ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٣ ، حيث أصبح لزاماً عليه بعد ذلك العودة إلى إنكلترا للاضطلاع بواجب جديد .



رجال المدفعية المشاة الاميركيون
يتقدمون في إحدى المناطق الجبلية في سيسيليا (ايطاليا)

١٠ ـ النورماندي ـ وغزو أوروبا

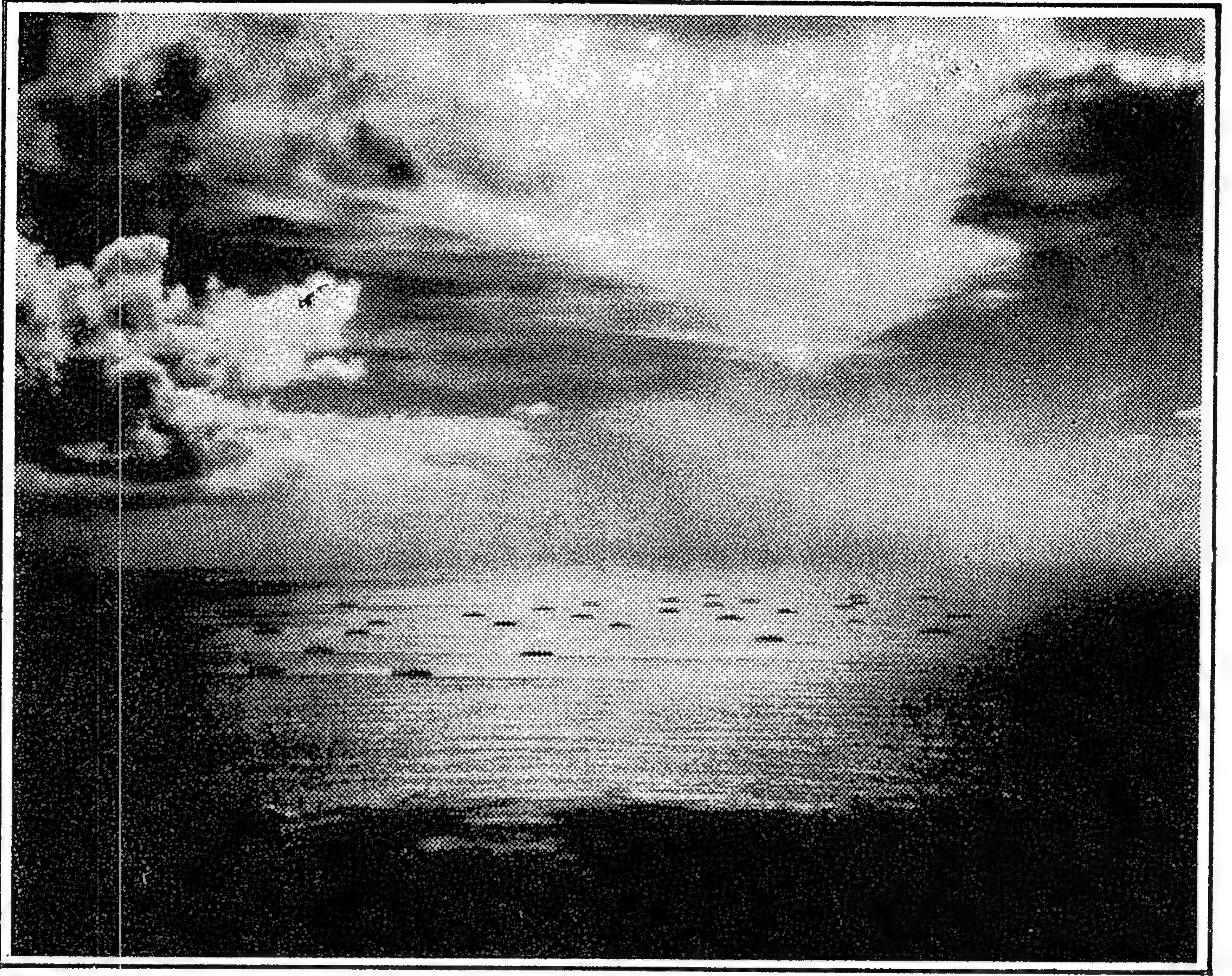
ما إن وصل (مونتغومـري) إلى إنكلترا حتى انصـرف لوضـع خطة للإنزال في النورمـاندي . واستـطاع بالتعـاون مع قـادة الجو والبحر أن يقدم خطة كاملة ومفصلة عن هجوم القوات البرية على شواطىء فرنسـا في يوم ٧ نيسـان ـ أبريـل ـ ١٩٤٤ ، حيث عقد مؤتمر ضخم في مدرسة القديس بولس في لندن .

وعكف (أيـزنهاور) وجهاز القيـادة عـلى دراسـة هـذه الخـطة والبحث في طرق تنفيذها ، وتبع ذلك عقد مؤتمر لقادة حملة الحلفاء في المكـان ذاته يـوم ١٥ أيـار ـ مـايـو ـ (حضـره ملك بـريـطانيـا العـظمى ورئيس مجلس وزرائها وينستـون تشـرشـل) . وقسمت القوة الأولى للإنزال إلى أربع مجموعات :

مجموعتين أمريكيتين يتم إنزالهما في الغرب ومجموعتين بريطانيتين وكنديتين في الشرق .

وقسم شاطىء الإنزال في النورماندي إلى أربع قطاعات :

أقصى الشرق وأعطي له الرمـز (جون ـ الأصفـر) ويبدأ عنـد مصب قناة كان وامتداد نهر الأورن ، ثم يليه القطاع الذي أعطي لـه الرمـز (غـولـد ـ ذهب ـ) وخصص هـذان القـطاعـان للفـرق البريطانية والكندية . وتقرر أن يتم إنزال فرقة المظليين البريـطانية السادسة في كان ـ أي في قطاع هجوم القوات البـريطانيـة ـ ، (وتم إنزال فرقتي المظليين الأمريكيتين (٨٢) و(١٠١) في قطاع هجوم الفرق الأمريكية) . وبدأ الإنزال يوم ٦ حزيران ـ يـونيو ـ ١٩٤٤



البوارج الحربية الأمريكية تحرس قافلة متجهة إلى إحدى الجبهات الحليفة

(أطول يوم في التاريخ - كما وصف -) .

لقد استطاع الحلفاء إنزال قواتهم بنجاح . ولكن هذا النجاح لم يكن إلا بداية مرحلة الصعوبات ؛ وها هو (مونتغومري) بطل العلمين وصقليا وإيطاليا وقد وقف أمام هدفه الأول (مدينة كان) ثائراً يحاول التقدم دون جدوى ؛ وهو مضطر لربح هذه المعركة . ولكنه قد يدفع في هذه المرة ثمناً باهظاً ؛ وقد يتعرض رصيده المعنوي ؛ وسمعته ؛ للخطر . وكانت ثقته المتزايدة بنفسه وبعدم الانتصار عليه تجعله مساعداً يصعب العمل معه ، أو تسييره في معركة واسعة يشارك فيها عدد من الحلفاء . وكان يود لو يستلم

قيادة كل العمليات البرية في فرنسا ، لذا كان يتصرف ؛ ويكتب ؛ ويتحدث ؛ بشكل نقاد لا يحتمل ؛ ويصف نفسه بأنه (شخص متعب) .

وبدأت خلافاته مع زملائه الأمريكيين في النورماندي . ولكن دوره في هذه المعركة كان كبيراً ؛ فقد أدى تهديده لمدينة (كان) بتطويق مزدوج إلى اجتذاب ٧ فرق بانزر ألمانية نحو هذه المنطقة (في نهاية حزيران ـ يونيو ـ) ، وشكلت هذه القوات هدفاً ثميناً للقوات الجوية الملكية البريطانية . وكانت المنطقة المنبسطة المكشوفة ـ الواقعة إلى الشرق من بايو تشكل منطقة مثالية لاستخدام الدبابات على نطاق واسع . وتبدأ بعد ذلك في الغرب غابة متضرسة ، يقطعها عدد من الطرق والأسيجة الحية ، وتتخللها وديان غارقة بالمياه . وكانت المعركة في هذه المنطقة معركة مشاة قادرة على استخدام الأرض والقتال القريب . وكان هذا بدقة ما يتقنه إلى درجة الإبداع مونتغومري وقواته .

لقد تحولت معركة (كان) لتصبح معركة تثبيت ؛ وتجميد ؛ للفرق الألمانية التي كان بالمستطاع استخدامها بفعالية ضد القوات الأمريكية (في شبه جزيرة كوتنتان) .

ففي يوم ٤ تموز ـ يوليو ـ شن مونتغومري هجومه للاستيلاء على كان ، بعد أعنف قصف جوي ، وبالرغم من ذلك فإن قواته لم تصل إلى مركز المدينة إلا بعد ٦ أيام من المعارك الضارية ، كما أن قواته لم تتمكن من متابعة تقدمها نحو الجنوب ، فأصدر إليها الأمر

بالتوقف ، ووضع الترتيبات لاستئناف الهجوم يوم ١٨ تموز ـ يوليو ـ حيث اصطدم مونتغومري بستة خطوط دفاعية متتالية مدعومة بالأسلحة المضادة للدبابات (بين الأورن والديفز) وخسر مونتغومري (١٥٠) دبابة خلال ٣ أيام من القتال فاضطر مرة ثانية لإيقاف الهجوم الذي لم يتقدم أكثر من ١٠ كيلومترات إلى الجنوب الشرقي من كان . إلا أن هذا الهجوم تمكن من تثبيت ١٥ فرقة ألمانية ـ منها ٦ فرق مدرعة ـ بينما لم تصطدم القوات الأمريكية في قطاعات هجومها إلا بقوة ١٢ فرقة (منها فرقتين مدرعتين) ، وهذا ما يفسر سرعة تقدم الأمريكيين ؛ وتأخر البريطانيين في تقدمهم .

ولم يكن هذا التفاوت في التقدم أمراً مقبولاً ، لا سيما وأنه ترك فراغاً ، منع اتصال القوات الأمريكية بالقوات البريطانية . وزاد الأمر سوءاً الهجوم الذي شنه الألمان بقوة (١٥) فرقة منها ٤ فرق بانزر ، في يوم ٧ آب ـ أغسطس ـ مما تطلب تعاون القوات الأمريكية والبريطانية للقضاء على هذا الخطر .

وكان عرض جبهة الهجوم الألماني ٢٥ كيلومتراً ، فتقدمت فرقة البانزر الثانية لمسافة ١١ كيلومتراً ثم توقفت عند (جوفييني) ، وتبع ذلك هجوم عام لقوات الحلفاء في إطار خطة لتطويق مجموعة الفرق الألمانية (على شكل كماشة أو ضربة متلاقية) . وتم حصر هذه الفرق في الشمال أمام مدينة (فاليز) وفي الجنوب حول (أرجنتان) ، وكانت المسافة الفاصلة بين الطرفين في حدود ٣٢ كيلومتراً .

وقد جدد الحلفاء هجومهم يوم ١٤ آب ـ أغسطس ـ فاستولوا على (فاليز) يوم ١٦ آب ـ أغسطس ـ . وأخذ حجم الجيب في التناقص . وأمكن إغلاق دائرة الحصار يوم ٢٢ آب ـ أغسطس ـ ، إلا أن ٧ فرق مدرعة ألمانية بانزر استطاعت الإفلات من دائرة الحصار . واستسلمت للحلفاء ٩ فرق مشاة ألمانية . وبلغت خسائر الألمان ١٠ آلاف قتيل و٥٠ ألف أسير و٥٠٠ دبابة . وكان لمونتغومري وقواته دور أساسي وحاسم في هذا النصر .

بات لزاماً على قوات الحلفاء أن تندفع بسرعة نحو (نهر السين) وذلك بعد أن تمت لها تصفية القوات الألمانية في (جيب فاليز) . وكان (مونتغومري) يرغب في أن يحشد تحت قيادته أقصى ما يمكن له حشده من قوات الحلفاء ، والحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من الإمدادات الإدارية ؛ حتى يزجها على الاتجاه العام نحو الشمال .

وكان الذهاب قدماً لمسافة طويلة ؛ وبسرعة ؛ يتطلب تأمين كمية كبيرة من المحروقات والأعتدة ووسائط العبور (الجسور) ووسائط إعادة إصلاح الطرق ؛ والذخائر ؛ والقوات الاحتياطية اللازمة لتبديل القطعات المستنزفة ؛ وكان لا بد من إحضار ذلك كله ونقله من وراء البحار ، وإنزاله في موانىء جيدة الإعداد ، ثم نقله بالسيارات نحو جبهة متحركة باستمرار ، ولذا أصبح الاستيلاء على الموانىء الكبيرة أمراً حيوياً .

وصل (مونتغومري) إلى مدينة (أنفرس) يوم ٤ أيلول ـ

سبتمبر ـ وكتب : « **لقد سقطت معدات الميناء وأرصفته بين أيدينا بشكل سليم تقريباً ، وهذه نتيجة ثمينة لانتصارنا الكبير في النورماندي ؛ والتقدم السريع الذي نجم عنه** » .

وظهر بوضوح أنه من الضروري تركيز الجهد بالدرجة الأولى لاستخدام ميناء (أنفرس) بأسرع ما يمكن[1] .

وكانت القيادة الألمانية تدرك جيداً أهمية هذا المرفأ . ولهذا حشدت ضده قوات ضخمة ، كما شرعت في قصفه بالقذائف الموجهة (ف ١) و(ف ٢) . ورأى (مونتغومري) أن أسرع وسيلة لفتح (باب أنفرس) هي في حشد أكبر عدد ممكن من القوات ، إلى الشمال من الجبهة العامة ؛ حتى لو أدى ذلك إلى إيقاف التقدم في المناطق الأخرى . ووافق (أيزنهاور) على رأيه ـ جزئياً ـ عندما أوقف هجوم (باتون) في منطقة السار ؛ مؤقتاً . وعندما ألحق بمجموعة مونتغومري (مجموعة الجيوش ٢١) وسائط النقل التابعة لثلاث فرق أمريكية ؛ مع زيادة المعدل اليومي للإمدادات المختلفة حتى ألف طن تقريباً ؛ اعتباراً من يوم ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٤ .

وكان (مونتغومري) يؤكد بأن مهاجمة الألمان في الشمال ؛

---

(١) أنفرس **Anvers** وباللغة الفلمنكية أنتويرب (**Antwerpen**) مدينة بلجيكية ولها ميناء هام جداً على نهر الإيسكوت : (**Escaut**) عند مصبه . ويعتبر ميناء أنفرس من أضخم الموانىء البحرية في العالم ، وأكثرها نشاطاً .

وضرب مجنبة (خط سيغفريد) ودفعه إلى ما وراء نهر السين ؛ سيحل مشكلة (أنفرس) بشكل طبيعي . وتضمن توجيهه للعمليات (م ـ ٥٢٥ يوم ١٤ أيلول ـ سبتمبر ـ) ما يلي : « **إن هدفنا الحقيقي هو الوصول إلى الروهر ؛ ولكننا نود خلال تقدمنا احتلال مينائي أنفرس وروتردام** » .

كان الوصول إلى الروهر يتطلب خرق الجبهة الألمانية في نقطة تبعد تسعين كيلومتراً عن الجسر في (آرنهايم) عن طريق الراين الأسفل . وكان هذا العمل يتطلب احتلال جسور هذه المنطقة بآن واحد (غراف) و(زويد ـ ويلمسفار) و(ايندهوفن) .

ولما كانت قوات الفيلق المظلي الأول (الفرقة البريطانية الأولى والفرقتين الأمريكيتين ٨٢ و١٠١ ولواء المظليين البولوني ، والفرقة الأمريكية ١٠٤) ، قد وضعت تحت قيادة مونتغومري ـ بالإضافة إلى قواته الأساسية - فقد قرر تكليف قوات هذا الفيلق بمهمة احتلال الجسور فتم حشد ٤٦٠٠ طائرة لتنفيذ العملية (منها أكثر من ١١٠٠ قاذفة و١٢٠٠ طائرة مطاردة و٢٠٠ طائرة قاذفة ـ مطاردة و٥٥٠ طائرة دعم تكتيكي و١١٠٠ طائرة نقل وحوالي ٥٠٠ طائرة شراعية) .

وهكذا بدأ تنفيذ العملية التي حملت اسم الأرنيم أو الاسم الاصطلاحي (السوق ـ الحديقة)[1] في يوم ١٧ ـ أيلول ـ

---

(١) الأرنيم : (Arnhem) هي العملية التي حملت اسماً اصطلاحياً السوق ـ الحديقة : =

سبتمبر ـ ١٩٤٤ ، والتي تم فيها إنزال ثلاث مجموعات من المظليين على أهداف مختلفة . فتم إنزال الفرقة البريطانية الأولى فوق (الأرنيم ذاتها) ، وتم إنزال مظليي الفرقة الأمريكية ٨٢ في (غراف) بين الموز و ـ وول ـ ، فيما تم إنزال مظليي الفرقة الأمريكية ١٠١ بين شمال ايندهوفن وزويد ـ ويلمسفار .

وبوغتت القيادة الألمانية العليا في بداية الأمر من جرأة عملية (السوق ـ الحديقة) ، إلا أنه ـ من سوء حظ مظليي الحلفاء ـ كان القائد الأعلى (مودل) وقائد المظليين الشهير ـ شتيودنت ـ فتحركا بصورة مباشرة وبسرعة . وتحالف الطقس مع الألمان ، فقد هبت عواصف هوجاء ؛ وتكاثف الضباب ـ بصورة خاصة في منطقة عمل المظليين البريطانيين (الأرنيم) فحرمهم من الدعم والإمداد وخلق لهم صعوبات لا نهاية لها .

استولت فرقة المظليين الأمريكية ٨٢ على جسر (غراف) وجسر آخر على قناة (الموز ـ وول) ، فيما استولت فرقة المظليين الأمريكية ١٠١ على عدد من الجسور (زويد و ـ ويلمسفار) . وهاجمت فرقة الحرس الدفاع الألماني على قناة (ايسكوت ـ الموز) على طول طريق

= (Market-Garden) وكان هدفها الاستيلاء على ثلاثة جسور هولاندية هي نيموجين : (Nimegen) وغراف : (Grave) والأرنيم وهي الجسور القائمة على أنهار الماس : (Maas) و(وول Waal) والراين . وقد استغرق تنفيذ العملية مدة أسبوع تقريباً (من ١٧ حتى ليل ٢٥ ـ ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٤) . وكانت كارثة على المظليين الذين كان عددهم ١٠ آلاف مظلي ، فلم ينج منهم إلا ٢٤٠٠ تقريباً . وأسر الألمان منهم ٦٤٥٠ رجلاً نصفهم تقريباً من الجرحى .

(ايندهوفن) الذي تحف به المستنقعات والغابات . وكان هجومها بين صفين من المدافعين الألمان الذين انتشروا بسرعة شرق هذا المحور وغربه (كتيبتا مظليين وكتيبتا س . س) . وتقدمت فرقة الحرس تحت ستار من موجات الطائرات (تيفون) وشقت طريقها حتى (فالكنسفارد) التي وصلتها في مساء ١٧ أيلول ـ سبتمبر ـ . وفي يوم ١٨ منه حققت فرقة الحرس الاتصال مع الفرقة ١٠١ في (ايندهوفن) ، وتعرضت الفرقة ٨٢ على مسافة (٥٠) كيلومتراً شمالاً لهجوم معاكس . وقد وصلت الطائرات الشراعية حاملة الموجة الثانية من القوات ؛ في قلب المعارك العنيفة التي كانت دائرة رحاها للاستيلاء على مناطق الإنزال الجوي وأراضي الهبوط ، وبقيت جسور (نيميغ) بيد العدو . واضطر الحلفاء في يوم ١٩ إلى إنزال مائتي مظليِ وراء هذه الجسور للمساعدة في شن هجوم مباشر عليها . واندفعت خمس دبابات على الجسر ؛ فانفجرت دبابتان ، ومرت ثلاث . ومنذ تلك اللحظة أصبح الممر مفتوحاً حتى (آرنهيم) ، ولكنه كان مقصوراً على الطريق ومجنباته المباشرة . وكان ذلك وضعاً تعبوياً ـ تكتيكياً ـ غريباً للغاية .

بينما كانت قوات المظليين والقوات المدرعة تقوم بعملياتها الجريئة ؛ كان الحذر هو الطابع المهيمن على هجمات فرق المشاة ، ولهذا لم يتم فتح طريق (آرنهيم) إلا في يوم ٢٥ أيلول ـ سبتمبر ـ .

وكان الوضع في آرنهيم مأساة حقيقية ـ بالنسبة للمظليين البريطانيين ـ الذين تعرضوا لاختبار صعب منذ يوم ٢٠ أيلول ـ

سبتمبر ـ عندما لم يبق سوى (١٤٠) مظلياً من أصل (٦٠٠) ممن كلفوا بالدفاع عن الجسر ، وكان الحل الوحيد هو إنقاذ هؤلاء ، وتم ذلك في ليل ٢٥ ـ ٢٦ أيلول ـ سبتمبر ـ حيث أمر (مونتغومري) بتأمين الانسحاب لهم ـ بالسفن ـ .

لقد أثارت عملية (الأرنيم) جدلاً كبيراً في وسط قيادة الحلفاء . وكان بعض هذا الجدل موجهاً ضد (مونتغومري) للنيل من سمعته ومكانته ؛ فيما كان بعضها ناتجاً عن الخسائر الكبيرة التي نزلت بقوات المظليين ؛ وقد دافع رئيس هيئة أركان مونتغومري (الجنرال دوغينغاد) عن العملية بقوله : « **لقد كانت عملية السوق ـ الحديقة مغامرة ولا شك ؛ ولو أنها نجحت لأعطت فوائد جمة** » .

ولكن بالرغم من هذا الدفاع ؛ فقد كان هناك شبه اتفاق على أن هذه العملية كانت بمثابة خطيئة على المستوى الإستراتيجي ؛ ذلك أن القرار الذي اتخذه أيزنهاور بالموافقة على تنفيذ العملية ؛ بناء على إلحاح بطل العلمين وإصراره ؛ قد ساعد القيادة الألمانية العليا على تحقيق ما كانت تريده وتعمل له وهو : كسب الوقت ومنع الحلفاء من استخدام نهر الإيسكوت . وتجدر الإشارة « **إلى أن (مونتغومري) كان قد أكد بأن الجيش الكندي الأول سيعمل قدر استطاعته خلال هذا الهجوم لاستخدام كل وسائطه للتعجيل في استخدام ميناء أنفرس** » ، وكان ذلك يتطلب تطهير ضفتي نهر الإيسكوت ـ عند مصبه ـ . وقد ظهر أن هذا القول كان بعيداً عن

الواقع ؛ فقد فرض (مونتغومري) المهمة ؛ وحدد الواجب ؛ بدون أن تتوافر له الوسائط الضرورية للتنفيذ ؛ لأن الجيش الكندي الذي امتد جناحه امتداداً كبيراً ؛ كان عاجزاً عن تنفيذ أي شيء في مواجهة القوى الألمانية . وقد اعترف الجنرال (مونتغومري) يوم ٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ : « **بأنه لم يحسن تقديم الصعوبات الخاصة بفتح طرق التقرب نحو أنفرس ، فبدأ يفكر من جديد بمشكلة الميناء ؛ إذ لم تكن قواته قد قامت بأي عمل على هذا الاتجاه طوال ٣٥ يوماً** » .

وكتب مونتغومري بعد ذلك : « **لقد ظهر بوضوح تصميم العدو على العمل باستمرار لمنعنا من فتح طريق الإيسكوت لأطول مدة يستطيعها ، وأن علينا استخدام قوات اضافية على جناحنا الأيسر** » . ولم يكن باستطاعة أيزنهاور تقديم هذه القوات الإضافية بسبب ما كان يفرضه تسلسل العمليات ؛ ومسيرتها على القطاعات الأخرى .

وهكذا ؛ فقد كان العامل الاساسي في فشل عملية (السوق ـ الحديقة) هو عدم تقدير إمكانات الألمان تقديراً صحيحاً ؛ والتجاهل ـ أو الاستخفاف ـ بما كان باستطاعة الألمان القيام به من ردود فعل . ولقد حشد الألمان ٥ فرق من فرقهم القوية للعمل ضد الحلفاء في منطقة الإيسكوت .

لقد عمل (مونتغومري) على أثر الفشل الذي منيت به عملية السوق ـ الحديقة ؛ على تنظيم عمليات مشتركة للقوات البرية

والجوية والبحرية للقيام بهجومين متتاليين . كان هدف الهجوم الأول هو تحطيم النطاق الدفاعي الألماني في شمال أنفرس وإلى الشمال الشرقي منها . وقد نفذت الفرقة الكندية الأولى هذا الواجب حتى يوم ١٦ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ، وسط مقاومة الألمان الضارية وهجماتهم المضادة العنيفة .

وكان هدف الهجوم الثاني هو تصفية رأس الجسر الألماني (أو جزيرة برسكنس) ، وقامت بتنفيذه الفرقة الكندية الثالثة حتى يوم ١٤ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ .

وحققت هاتان العمليتان نتائج جزئية غير كافية ، فأعطى مونتغومري أمره في اليوم ذاته (١٤/١٠/١٩٤٤) : « **بإعطاء الأفضلية المطلقة لتأمين استخدام أنفرس ، على كل ما عداها من مهمات مجموعة الجيوش ٢١** » . فتم تنظيم مجموعة من الأعمال الهجومية المتتالية ، بكل القوى والوسائط المتوافرة ؛ وبدعم قوي من القوات الجوية ، فأمكن حتى نهاية شهر تشرين الأول ـ أكتوبر ـ تدمير القسم الأكبر من المقاومات الألمانية (وأسر ١٨ ألف جندي ألماني ـ أسرتهم الفرقتان الكنديتان الثالثة والثانية والفرقة البريطانية ٥٢) ، وخسر البريطانيون والكنديون ٢٧ ألف رجل . غير أن المقاومة الألمانية لم تتوقف ، كما أن عملية نزع الألغام وتطهير الإيسكوت لم تسمح باستخدام الميناء قبل ٢٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٤ .

لقد سيطرت المعركة من أجل الموانىء وأنفرس والإيسكوت على

أحداث فصل الخريف . وأثناء ذلك ؛ كانت بقية الفرق الأمريكية قد اندفعت بعمق حتى وصلت إلى نهر الموز ونهر الموزيل ، وتجاوزت خط سيغفريد من الجنوب ، وظهرت مشكلة تحديد الأهداف التالية للهجوم . وهنا عادت أفكار (مونتغومري) الإستراتيجية لتصطدم من جديد بأفكار (عمر نيلسون برادلي) . إذ كان (مونتغومري) يصر على شن هجوم مباشر نحو حوض الرور ـ روهر ـ وإعطائه الأفضلية الأولى ، فيما كان (برادلي) يؤكد على ضرورة تهديد (الروهر) و(حوض السار) في آن واحد .

وعقد (أيزنهاور) مؤتمراً لقادته في (بروكسل) يوم ١٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ، وكان هناك اتفاق على ضرورة التحرك بسرعة ، لحرمان القيادة الألمانية من أية فرصة زمنية تسمح لها بإعادة تنظيم قواتها ومواقعها ومقاوماتها . وحسم أيزنهاور الموقف ؛ فقرر أن يقوم الجيش الكندي الأول بهجومه بين نهري الموز والراين ؛ وأن يتقدم الجيش البريطاني الثاني من الغرب إلى الشرق نحو الراين ؛ وأن يعمل الجيش الأمريكي الحادي عشر على اتجاه دوسلدورف ، وأن يقوم الجيش الأمريكي الأول بالتقدم نحو كولونيا ، وأن تبقى (الآردين) جبهة ثانوية نظراً لطبيعتها الجغرافية الصعبة ، وأن يحتل الجيش الأمريكي الثالث مدينة (ميتز) الألمانية ؛ ثم يتجه بهجومه نحو السار ؛ ليتحرك بعد ذلك على اتجاه (مانهايم) .

١١ ـ ماذا حدث في الآردين ؟

لقد كانت الأهداف التي حددها أيزنهاور لجيوشه في مؤتمر بروكسل ؛ أكبر بكثير من قدرات هذه الجيوش وإمكاناتها ؛ وعلى

سبيل المثال ؛ فقد كان على الجيش الأمريكي الأول بقيادة هودجز وسيمبسون الهجوم بقوة (١٤) فرقة فقط على جبهة عرضها (٩٠) كيلومتراً . وكان على الجيش الأمريكي الثالث بقيادة باتون الهجوم بقوة (٩) فرق على جبهة (١٣٥) كيلو متراً . ولكن الموقف تطلب المغامرة ـ كما قال الجنرال الأمريكي برادلي : « **لو كان الأمن محور عمل قيادتنا في فرنسا لقضينا الشتاء على نهر السين ، ولرأينا أمامنا هيكل مدينة باريس وقد أحرقت** » .

انطلق (باتون) للهجوم في يوم ٨ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ ١٩٤٤ ، فكان أول من بدأ الهجوم . واضطر للهجوم بدون دعم جوي نظراً لسوء الأحوال الجوية ؛ وهطول الأمطار بغزارة . وكان على قواته اجتياز (نهر الموزل) وهو في حالة فيضان ـ على مقربة من مدينة (ميتز) ـ بهدف تطويق هذه المدينة الحصينة . وتأجل الهجوم في الشمال بسبب الأحوال الجوية ، ولم يبدأ ـ إلا في ١٧ تشرين الثاني ـ نوفمبر ـ وأفاد الألمان من هذا التأخير لتحسين دفاعهم عن خط سيغفريد ، ولزيادة حقول الألغام فيه وتحصينه . وهكذا لم يتم التقدم على هذا الاتجاه إلا لعمق ١٢ كيلومتراً ؛ خلال أسبوعين ، تعرضت قوات الهجوم خلاله لخسائر كبيرة . ولم يتمكن الحلفاء من اجتياز حوض الرور بشكل كامل . وخسر الألمان في هذه الفترة (١٠٠) ألف رجل بالإضافة إلى (٥٧) ألف أسير . وخسر الأمريكيون مقابل ذلك أكثر من (٦٤) ألف مقاتل ـ أكثرهم من وحدات الجيش الأول ـ . وكان من الضروري إيقاف الخسائر ؛ رغم ما أمكن تحقيقه من نجاح ؛ فتوقفت جبهة الحلفاء وقد

استنزفت قواها ، بالإضافة الى ما باتت تتعرض له من صعوبات التموين والإمداد وقسوة الشتاء . وانتشر الجيش الأمريكي الأول على جبهة عرضها ١٨٥ كيلومتراً ، يتألف ثلثاها من كتلة (جبال الآردين) التي اعتبرت جبهة ثانوية . وتجاهل الحلفاء مرة أخرى المميزات الإستراتيجية لمنطقة (الآردين) . وكتب برادلي : « **لن يجد الألمان شيئاً يستحق الاهتمام في الآردين** » .

كانت الفرق الأمريكية الأربع المنتشرة في مواجهة الآردين ؛ قد أنهت انتشارها في مساء يوم ١٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ ١٩٤٤ . وبات الجنود في مراكز الحراسة والمراقبة وهم يتأملون بأسى سرعة هبوط الليل على الغابات الكثيفة والموحشة والمغطاة بالثلوج . وكانت ظلمة الليل لا زالت تغطي الغابات في صبيحة يوم ١٦ كانون الأول ـ ديسمبر ـ عندما فتحت المدفعية الألمانية نيرانها على امتداد الجبهة . وشاهد الأمريكيون الذين أفاقوا على صوت ضجيج المعركة ولا زال النعاس في عيونهم ؛ ليشاهدوا مجموعة كثيفة من الجنود الألمان وهم يخرجون من وسط الضباب المنتشر على نهر الأور . وجاءت الصدمة المباغتة عنيفة ؛ واخترقت القوات المهاجمة الخط في موقع الفرقة الأمريكية ٢٨ ـ وبدأت معركة الآردين .

كيف حدث ذلك ؟ وكيف لم تعرف قيادة الحلفاء بأمر الحشد الضخم للقوات في الآردين (٣٦ فرقة معها ٦٠٠ دبابة) ؟

في الواقع ؛ كانت قيادة الحلفاء ـ أيزنهاور ـ تعرف أن الألمان

يقومون بحشد قواتهم استعداداً للقيام بهجوم مضاد ، ولكن قيادة الحلفاء عندما ناقشت الموقف ؛ اعتقدت أنه لا يمكن لجندي جيد ـ مثل فون رونشتد ـ أن يقدم على (المغامرة) بزج كل قواه الاحتياطية في معركة ذات نتائج غير مضمونة . ولكن قيادة الحلفاء تجاهلت أنه لا يمكن لفون رونشتد أو سواه التمرد على فكرة صاحبها هو (الفوهرر) ، الذي كان يريد الإستيلاء على أنفرس (انتويرب) بأي ثمن ، وشطر جبهة الحلفاء إلى قسمين ؛ وربما كان يأمل بإعادة قصة (دونكرك) وقذف قوات الحلفاء إلى البحر . ولم يميز هتلر ـ وهو في غمرة أحلامه ـ الفارق الزمني بين سنة ١٩٤١ وبين ما أصبح عليه الموقف في نهاية سنة ١٩٤٤ .

في هذا اليوم ذاته (١٦/١٢/١٩٤٤) صرح (مونتغومري) بما يلي :

« يقاتل العدو حالياً معركته الدفاعية على الجبهات كلها ؛ وسوف لن يسمح له موقفه بتنفيذ عملية هجومية رئيسة ؛ وعلاوة على ذلك ؛ فإنه سيحاول قدر استطاعته منع الحرب من الدخول في مرحلة القتال الآلي ـ الميكانيكي ـ نظراً لأنه يفتقر لوسائل النقل والوقود ؛ وهي المتطلبات الضرورية لعمليات الحرب المتحركة ، كما أن مدرعاته لا تستطيع منافسة مدرعاتنا في المعركة التصادمية .

إن العدو في موقف سيىء ؛ وإن عمليات القصف المرعبة المستمرة ضده قد أنزلت به خسائر فادحة وكبيرة سواء بالرجال أو الوسائط القتالية والأعتدة . وعلينا أثناء أشهر هجوم الشتاء إدراك

قضيـة حيـويـة ، وهي ضـرورة الاستمـرار في التقـدم ؛ إذ ليس بإمكاننا اللجوء إلى الراحة ؛ أو التوقف والاسترخاء لأي سبب من الأسبـاب حتى لا نسمح للعـدو بالحصـول على فتـرة زمنية كـافية يستطيع الإفادة منها لإعادة تنظيم قواته ؛ وبذلك أيضاً نتمكن من استنزاف قواته وقدراته حتى أقصى الحدود . إنه من المحتمل لنا أن نجابه الـوحل والبـرد والافتقار إلى الـدعم الجوي ، أثنـاء فترات الضباب وسوء الأحوال الجوية وغير ذلك ؛ ولكن علينا بالرغم من ذلك كله الاستمرار في قتال العدو أثناء فصل الشتاء » .

وكان قادة جيوش الحلفاء قـد اتفقوا مـع (مونتغـومري) عـلى صحة رأيه وأيدوه ، إلا أن القيادة الألمانية قـامت بهجوم رئيسي ؛ ووضعت قـوات الحلفاء أمـام مأزق صعب للغـاية ، وتمكنت من شطر قوات الحلفاء إلى شطرين ، وبـات من الصعب على القيـادة العـامة ـ بسبب صعـوبـة الاتصـال ـ تنسيق التعـاون بـين قـوات الحلفاء ، مما حمل (أيزنهاور) على تعيين (مونتغومري) قائداً عاماً للجبهة الشمالية بكاملها ، مع تعيـين (عمر نيلسـون برادلي) في الوقت ذاته قائداً عاماً للجبهة في جنوب الثغرة .

وقد استقبل القادة الأمريكيون تعيين (مونتغومري) قائداً عاماً لجبهة الشمال بشيء من الغضب والاستنكار نظراً لأن ذلك ينتقص من قيمة وكفاءة القادة الأمريكيـين ، ونظراً لانعكـاس ذلك عـلى الروح المعنوية للجنود الأمريكيين الـذين كان معـظمهم في الفرق الشمـالية التي بـاتت تحت قيادة مـونتغـومـري . وهـذا مـا ذكـره (برادلي) بقوله :

« لم يكن القائد البريطاني أكثر من (مونتي) ، وكان بالمستطاع أن يحدث هذا التغيير دونما اعتراض ودونما اضطراب أو توتر ، لو لم يكن قائده ـ مونتغومري ـ كما أنه من المؤكد لم يكن ليحدث شيء بعد ذلك أيضاً لو لم يفجر ـ مونتي ـ أزمة بين قيادات الحلفاء ، إذ لم يكن باستطاعة ـ مونتي ـ مع الأسف مقاومة رغبته لاقتناص هذه الفرصة لتمريغ أنف القوات الأمريكية بالوحل ، حتى أن رئيس هيئة أركان مونتغومري ذاته ، لم يتردد فيما بعد عن توجيه اللوم إلى ـ مونتغومري ـ للطريقة التي مارس بها قيادته ، ولتصرفاته تجاه القيادة الأمريكية في هذه الفترة بالذات . ولم يكن باستطاعة أيزنهاور إلا أن يضبط نفسه ، ويمتنع عن النطق ، ويكتفي عند مجابهته للأزمات بالضغط على أسنانه .

ولكن ما إن انقضت سنوات عديدة على نهاية الحرب ، حتى أعلن ـ أيزنهاور ـ اعترافه بدوره في إثارة الاضطراب الذي نجم عن هذا القرار . كما اعترف أيضاً بأنه لم يقترح أبداً مثل هذا التغيير . ولحسن الحظ ، فإن هذه الخطيئة الرئيسة قد جاءت في وقت متأخر من بعد مضي الأزمة الحادة التي سببها الهجوم الألماني .

وعلى كل حال ؛ فإن ـ مونتغومري ـ لم يزج لمجابهة الهجوم الألماني أكثر من لواء بريطاني واحد ؛ وقد عمل على وضع أربع فرق بريطانية إلى الخلف من جناح الجيش الأمريكي الأول . ولقد كان وضع الفرق البريطانية في الاحتياط حافزاً استثار ـ هودج ـ ودفعه لزج قواته الأمريكية كلها في الآردين ، مما حملني على التساؤل ـ فيما

بعد ـ عما إذا كانت هذه المزاودة تستحق سوء التفاهم الذي جاء نتيجة لتغيير القيادة .

لقد قام الجيش الأمريكي الأول بعمل رائع في اليوم الثاني من هجوم الألمان بقيادة فون رونشتد .

فقد استطاع في هذا اليوم (١٧/١٢/١٩٤٤) حشد ٦٠ ألف مقاتل و١١ ألف مركبة في حركة سريعة كأن سياطاً من النيران الحقيقية كانت تلهبها . وقد أمكن لهذا الجيش الأول خلال الأيام التسعة الأولى من الهجوم الألماني (حتى ٢٥/١٢/١٩٤٤) دفع ١٩٦ قافلة وصل عدد مركباتها ـ آلياتها ـ حتى ٤٨ ألف مركبة ، و٢٤٨ ألف مقاتل . وبدأ (باتون) هجومه في اتجاه التحصينات الأمريكية المفقودة في (باستونيا) . ولكن في عشية هذا الهجوم ؛ أذاع (مونتغومري) بأنه يخطط لتأخير موعد هجوم حلفائه في الشمال ؛ وهو الهجوم الذي كان قد حشد له الفيلق السابع بكامله .

وقد اختار ـ مونتغومري ـ هذا الموضوع لتصريحه ، بدلاً من أن يعمل على تنسيق التعاون بين التنظيمات الدفاعية على جبهته استعداداً لعمليات الهجوم المضاد .

ونتيجة لهذا التصريح ؛ تفرقت الفرق التي أمكن حشدها للهجوم ، وتمزقت ؛ من أجل المحافظة على مواقعها ، مما ساعد العدو على الاحتفاظ بالمبادأة .

ولم يتمكن ـ مونتغومري ـ من التخلي عن غطرسته وتباهيه للبدء

بالهجوم قبل يوم ٣ كانون الثاني ـ يناير ـ ١٩٤٥ ، أي حتى ما بعد اثني عشر يوماً من الموعد الذي كان قد تم تحديده للهجوم المضاد . . . وفي هذا الوقت تصدت فرقة المدرعات الثانية للقوات الألمانية ـ مع بقية القوات الأمريكية ـ ، وأرسل قائد هذه الفرقة برقية إلى القائد الأعلى ـ أيزنهاور ـ جاء فيها ما يلي : اصطدمت وحداتنا بفرقة مدرعات البانزر الثانية طوال أيام ٢٣ و٢٤ و٢٥ كانون الأول ـ ديسمبر ـ وتمكنت من القضاء عليها قضاء تاماً . . .

وفي هذا اليوم ذاته ، اتصل (برادلي) بالقائد الأعلى ـ أيزنهاور ـ ولما لم يجده ، تحدث إلى (بيديل سميث) وقال له : بيديل ! ألا تستطيعون يا شعب دفع ـ مونتغومري ـ للهجوم في الشمال . أرجو إخبار الرفاق جميعهم ، وبأسرع ما يمكن ، بأن الهجوم الألماني قد وصل اليوم ذروة انعطافه ، وسيبدأ العدو انسحابه فوراً ، وإذا لم يفعل ذلك في هذه الليلة فإنه سيفعل ذلك غداً » .

كان حقاً ما تحدث به ـ برادلي ـ فقد بدأ (رونشتد) فعلاً بسحب قواته بعد أن استنزف الهجوم قدرتها ؛ وبعد أن تبين له أن دباباته تصطدم بجدار صلب لا سبيل لاختراقه .

ولكن (مونتغومري) الباحث دائماً عن المعركة المنظمة ؛ تأخر في هجومه ، حتى إذا ما انطلق هذا الهجوم بعد الإعداد الجيد له ؛ كان العامل الحاسم الذي أرغم القوات الألمانية على التراجع إلى ما وراء الآردين . وخسر الألمان خلال معاركهم ، ٧٠ ألف جندي بين قتيل وجريح بالإضافة إلى ٥٠ ألف أسير ممن وقعوا في قبضة

قوات الحلفاء ، كما خسر الألمان ٥٠٠ ـ ٦٠٠ دبابة و١٦٠٠ طائرة . ومقابل ذلك خسر الحلفاء ٧٧ ألف جندي تقريباً .

وعقد (مونتغومري) مؤتمراً صحفياً يوم ٧ كانون الثاني ـ يناير ١٩٤٥ ، وكان مما صرح به : « . . . **وهكذا بدأ الموقف يتدهور . وهنا تداعت قوات الحلفاء كلها للوقوف بحزم فريقاً واحداً في مواجهة الخطر ، وتم وضع الاعتبارات الوطنية بعيداً عن حدود التقدير . فأصدر الجنرال أيزنهاور أمره بتعييني قائداً عاماً للجبهة الشمالية بكاملها . وقد استخدمت الإمكانات المتوافرة لمجموعة الجيوش البريطانية كلها ، وأمكن لي زج هذه الإمكانات في المعركة بصورة تدريجية ؛ وبطريقة لا تتعارض مع خطوط المواصلات الأمريكية .**

وأخيراً ؛ أمكن وضع هذه القوات في مقدمة المعركة لتعمل بقوة . وها هي القوات البريطانية تقاتل الآن بضراوة عند الجناح الأيمن للجيش الأمريكي الأول . وبذلك تتوافر لديكم صورة عن معارك القوات البريطانية التي تقاتل عند جناحي القوات الأمريكية التي عانت كثيراً من الضربة الألمانية القاسية . وتلك هي الصورة الرائعة للتحالف . . . » .

ولقد جاء هذا التصريح ليصب الزيت على النار ـ كما يقال في الأمثال الشعبية ـ ؛ فقد ثارت ثائرة القادة الأمريكيين ، وفهموا منه ـ ربما خلافاً لما كان يقصده مونتغومري ـ بأن الجنودالبريطانيين هم الذين يؤمنون حماية القوات الأمريكية ؛ وأن هذه القوات ـ

الأمريكية ـ قد وصلت إلى مرحلة مزرية بعدما تعرضت له من الخسائر في الآردين .

وعاد (مونتغومري) في الصفحة ٣٢٥ من مذكراته ، فتعرض لهذا الموقف بقوله : « **كان لزاماً علي عدم عقد ذلك المؤتمر الصحفي ـ يوم ٧ كانون الثاني ـ يناير ـ ، سواء لما حدث من تحريف لحديثي أو حتى لو لم يحدث مثل هذا التحريف أو التحويل ، ذلك لأن شعور القادة الأمريكيين كان قوياً ضدي ؛ بحيث كان يتم فهم كل ما أقوله بصورة خاطئة . ولهذا كان من الأفضل لو التزمت بالصمت ، ولم أنطق بشيء .**

هذا من ناحية ؛ ومن ناحية ثانية ، فقد كان يتم نقل تصريحاتي بصورة خاطئة . وعلى الرغم من ذلك فقد كان الشعور العام الذي استطعت تكوينه هو من عوامل الثقة الكبرى والهامة . إن التمييز بالتضاد ؛ مع المواقف المخزية التي اتخذها عدد من القادة الأمريكيين ، قد جعلني أظهر لمن يثيرون حساسيات خاصة على أنني لم أحرز الانتصار على الألمان وحدهم ؛ بل على الأمريكيين أيضاً ؛ وتلك هي الصورة الخاطئة تماماً .

إن ما لم أقله هو التالي : لقد خاضت قوات الحلفاء معركة حقيقية ودامية في الآردين ، ووقع في صفوف القوات الأمريكية ما يقارب الثمانين ألف إصابة ، ولم يكن ذلك ليحدث أبداً لو خضنا المعركة بصورة صحيحة ؛ بعد ذلك النصر الكبير الذي أنجزناه في النورماندي ؛ أو لو حافظنا على التوازن التعبوي ـ التكتيكي ـ في

توزيع القوى على الأرض وفقاً لتطور معركة الشتاء ؛ وعلاوة على ذلك ؛ فاننا أضعنا بنتيجة هذه المعركة التي لم يكن هنـاك ضرورة لاقتحامها ؛ فترة زمنية تقارب الستة أسابيع ـ وكان لهذه الأسـابيع أهميتها وانعكاساتها على المواقف السياسية التي بـرزت خلال تلك الفترة ؛ مع اقتراب الحرب من نهايتها » .

وهكذا ؛ ورغم مضي الزمن ؛ فقد تمسك الجميـع بمواقفهم ؛ واستمـر أيزنهاور ومـونتغومـري وبرادلي وسـواهم في الـدفـاع عن وجهات نظرهم ؛ وقد يكون ذلك أمراً طبيعياً ؛ بل هو من طبيعة الحرب ذاتها . ذلك أن التحولات الحاسمة والسريعة في الأعمـال القتـالية تفتـرض اتخاذ إجـراءات حاسمـة وسريعـة لمـواجهتهـا ، وتختلف هنـا وجهات النـظر ؛ إذ يعتقد كـل قـائـد ـ ومن خـلال القوات التي يتولى قيـادتها ؛ ومن خـلال المعانـاة التي يعيشها ـ أن المعالجة الأمثل هي وفقاً لما يراه هو بالذات ، وما يعتقده ، حتى إذا ما مضت الأيام ؛ أصبح أسيراً لمواقفه ووجهات نظره السابقة .

ولعل مجرد مراجعة عـامة لمـذكرات قـادة الحرب ـ عـلى جبهتي الشرق والغرب ـ تؤكد هذه الحقيقة . إلا أن المهم في الأمر ، هـو أن الاختلاف في وجهات النـظر ، والتباين في الآراء ، لم ينعكس بصورة سلبية على مسيرة الأعمال القتالية . واستمر العمل المشترك بين القوى المتحالفة لتحقيق هدف الحرب ـ وهو النصر ـ ، وهذا ما يتفق عليه كافة الجنود .

١٢ ـ اجتياح ألمانيا

تراجعت الفرق الألمانية ـ وعددها ٧٤ فرقة تناقص عددها ـحتى ٦٨ فرقة في شهر شباط ؛ فبراير ؛ ١٩٤٥ ـ والتجأت بعد فشل هجوم الآردين إلى خط سيغفريد .

وبالرغم من الضعف الذي نزل بهذه الفرق ؛ إلا أنه كان باستطاعتها تحقيق التوازن مع ٦٩ فرقة من فرق الحلفاء التي ارتفع عددها حتى أصبح يوم ٨ شباط ـ فبراير ـ بعدد ٧٨ فرقة .

ولم يكن باستطاعة ألمانيا زج فرق جديدة على هذه الجبهة بسبب انشغال ١٤٨ فرقة على الجبهة الشرقية ـ ضد الاتحاد السوفييتي ، وفي يوغوسلافيا ـ بالإضافة الى ٢٤ فرقة مجمدة في إيطاليا و١٧ فرقة في النروج والدانمارك .

كانت قيادة الحلفاء ترغب في التمسك بالمبادأة على الجبهة الغربية ؛ رغم ما نزل بقواتها من التعب وما أصابها من الجهد . وكان من رأي (عمر برادلي) استثمار الاضطراب العام الذي نزل بالقوات الألمانية للاندفاع في التقدم في كل مكان باتجاه الراين ـ بين بون وغوبلانس ـ مع تجنب القطاع المحصن في حوض الرور الأعلى .

أما (مونتغومري) فقد أصر على شن الهجوم على جبهة ضيقة تنطلق من ثغرة إيكس لتصل إلى نهر الراين ـ عند كولونيا في سهل رينانيا ـ ، وانضم أيزنهاور لهذه الفكرة وأيدها .

غير أن الأمر لم يحسم حتى عقد مؤتمر مالطا في الفترة من ٣٠ كانون الثاني ـ يناير ـ حتى ٢ شباط ـ فبراير ـ ١٩٤٥ والذي سبق مؤتمر (يالطا) وكان هدفه تنسيق وجهات النظر وتوحيدها قبل الاجتماع مع الحلفاء السوفييت .

وكانت وجهات النظر متناقضة ؛ متباينة ؛ على نحو ما كانت عليه من قبل : فالجنرال (مونتغومري) لم يشعر بالارتياح منذ أن أسندت إليه مهمة قيادة كافة القوات إلى الشمال من جيب الآردين ـ في ٢٠ كانون الأول ـ ديسمبر ـ بل طالب في ٢٩ منه ؛ بمنحه سلطة الإشراف على عمليات مجموعة الجيوش ١٢ أيضاً ؛ الأمر الذي عارضه (عمر برادلي) بقوة وشدة .

وكان من رأي (مونتغومري) أن تنظيم التعاون عن طريق أيزنهاور لم يكن كافياً أبداً ؛ بل لا بد من خلق قيادة واحدة وسلطة واحدة ، تعمل ضمن إطار توجيهات القيادة العليا التي تقتصر على تحديد الأهداف ، والواجبات .

وطرح (مونتغومري) فكرته القائلة بضرورة حشد القوى الهجومية المتوافرة ودفعها باتجاه الرور .

ولم يستطع أيزنهاور ارضاء مونتغومري بشكل كامل ، واستثارة الرأي العام الأمريكي الحساس لهذه النقطة ؛ فقطع عليه أحلامه ، واكتفى بأن ألحق بقواته الجيش الأمريكي الحادي عشر .

ولا شك في أن الضابط الدقيق التقليدي ـ مونتغومري ـ قد شعر

بالصدمات المتتالية من النهج الأمريكي الذي شكل عنده انطباعاً بأنه سلسلة من الابتكارات المتتالية . ولقد كان النهج الأمريكي كذلك فعلاً ، إلا أنه حقق نتائج لم يكن يتوقعها الفكر التقليدي ـ لا سيما في مجال الحكم على العدو وتقويمه ـ . ولقد أدى قرار أيزنهاور إلى تشكيل ثلاث مجموعات جيوش ، مجموعة الجيوش السادسة ومجموعة الجيوش ١٢ ومجموعة الجيوش ٢١ ـ بقيادة مونتغومري ـ وكانت هذه المجموعة الأخيرة تضم من القوات : الجيش الكندي الأول والجيش البريطاني الثاني والجيش الأمريكي الحادي عشر ، وهذه الجيوش الثلاثة قد ضمت ٩ فيالق ـ أو ١٧ فرقة مشاة و٩ فرق مدرعة وفرقتي مظليين ـ .

كان المخطط الاستراتيجي الذي تم تعديله في (مالطا) ووافق عليه (أيزنهاور) قد تضمن القيام بمجموعة من الأعمال القتالية على الضفة اليسرى لنهر الراين ؛ شمالي الموز ، وتشكيل رؤوس جسور وراء الراين في الشمال والجنوب ، ودفع كتلة ضخمة من ٣٥ فرقة تقريباً للعمل شرقي الراين وشمالي حوض الرور ، مع تجميع قوات أخرى على محور (فرانكفورت ـ كاسل) .

وهكذا اجتمع في هذا المخطط الهجوم على جبهة واسعة ـ وفقاً لما كان يفضله الأمريكيون ويرغبون به ـ مع حركة الكماشة ـ أو الضربة المتلاقية التي طالب بها أيزنهاور ـ إلى جانب توجيه الجهد الرئيسي نحو شمال الرور (وهو ما طالب به مونتغومري) . وعلى هذا انطلقت قوات الحلفاء على جبهة الغرب لتخوض صراعاً مريراً

في كل مكان من الجبهة ـ وبصورة خاصة في الرور ـ .

وكان على مجموعة الجيوش ٢١ أن تؤمن الحماية لجناحها الغربي من هجمات الفرق الألمانية المنتشرة في البلاد المنخفضة ؛ والتي تركت لمصيرها القاسي ؛ فشنت بين ٨ و١٣ آذار ـ مارس ـ هجمات متتالية في سهل ريناني ـ بين الحدود الهولاندية ودوسلدورف ـ، وكان الثمن الذي دفعته غالياً .

وأخذت جيوش مونتغومري في السير على ضفاف نهر الراين اعتباراً من يوم ١٠ آذار ـ مارس ـ وتمكنت من أسر ٥٣ ألف مقاتل ألماني ، فيما كانت بقية فرق قوات الحلفاء قد وصلت بدورها إلى الراين بعد قيامها بمناورات جريئة ، ولكن المنطقة الواقعة إلى الشمال من دوسلدورف ، لم تكن لتسمح لمونتغومري بتنفيذ مناورات على غرار المناورات الأمريكية .

وكان الألمان مصممين على الدفاع في هذه المنطقة أكثر من أي مكان آخر بغية حماية الحوض الصناعي في الرور ، ولهذا فقد خصص هتلر لهذه المنطقة ثلاث مجموعات جيوش ضمت ٦٣ فرقة ـ بالإضافة إلى عشر فرق كانت لا تزال قيد التنظيم ـ . كما كان يعمل في هذه المنطقة الجيش المظلي الألماني الأول بقيادة اشتيودنت ذاته ، بالإضافة إلى تجهيز المنطقة هندسياً تجهيزاً رائعاً .

ولهذا فقد قرر أيزنهاور زج فرق مجموعات جيوشه الثلاثة للعمل في هذه المنطقة ؛ وكلف (مونتغومري) بتنفيذ عملية (بلوندر) لاختراق الراين . واستخدم مونتغومري أسلوبه الدقيق لعملية

عبور نهر الراين بالقوة ، وتطلب هذا الأمر استخدام أعـداد كبيرة من وحدات المهندسـين ؛ وجلب مراكب العبـور النهريـة ، ونظم التعـاون مع القـوات البحريـة ، ووضع مخططاً لبرنـامج كـامـل للقصف بالطائرات .

وقد تزايد القصف الجوي ضد الأهداف التعبوية ـ التكتيكية ـ اعتباراً من يوم ٢٠ آذار ـ مارس ـ وفي يوم ٢١ منه ، نشر الحلفاء ستارة دخانيـة كثيفة عـلى جبهة أعـرض بكثير من جبهـة العبور ؛ وذلك بهدف إخفاء القوى والوسائط المكلفة بالهجـوم . ثم بدأت مجموعة من ٣٣٠٠ مدفعاً بقذف قنابلها اعتباراً من بعد ظهيرة يوم ٢٣ آذار ـ مارس ـ فيما كان المهندسون قد أعدوا منحدرات خاصة على ضفاف النهر لتسهيل استخدام معدات العبـور وزوارق النقل وقوارب الانقضاض والعبّارات الخ . . والتي بقيت مموهة على بعد كيلومتـرات من نهر الراين ؛ ولم تقتـرب من ضفـاف النهـر إلا في الساعات الأخيرة قبل الانقضاض .

وهكذا ؛ وبعد الإعداد الدقيق الذي تميز به نهج (مونتغومري) بدأ عبور النهر إلى الشمال من نهر الراين بالقوة اعتباراً من يوم ٢٣ آذار ـ مارس ـ وكانت بقية قوات الحلفاء قد أقامت جسوراً مماثلة وبدأت عمليات اجتياح ألمانيا ما وراء الراين .

وتم عبور (نهر الراين) تحت ستار قوي من نيران المدفعية وكافة أسلحة المشاة الثقيلة التي تمركزت على الضفة اليسـرى من النهر . ووصلت موجات العبور إلى الضفة اليمنى دون التعرض لصعوبات

كبيرة . ولكن الأمر لم يتم بمثل هذه السهولة ذاتها عندما حاولت قوات مونتغومري احتلال المراكز الدفاعية الحصينة (مثل ويسل) ، فتم تكليف لواء المغاوير الأول باحتلال هذه المدينة . ولكن سرعان ما تبين لمونتغومري ، أنه من الضروري إنزال فرقة المظليين البريطانية السادسة والفرقة الأمريكية المحمولة جواً ١٧ . ولم تكن الوسائط الضرورية للانزال غير متوافرة ، فتم استخدام ١٨٠٠ طائرة نقل وأكثر من ١٣٠٠ طائرة شراعية . وتم إنزال قوات الفرقتين إلى الشمال من مدينة (ويسل) بمهمة احتلال خط يبعد كيلومترات قليلة فقط إلى الشرق من نهر الراين ؛ ثم التمركز دفاعياً لمنع القوات الاحتياطية الألمانية من التقدم ومهاجمة المدافعين عن النهر من الخلف ؛ والبقاء ضمن مجال عمل المدفعية الصديقة . ودعمت العملية بأكثر من ٤٣١٥ طلعة جوية قامت بها الطائرات المطاردة بالإضافة إلى ٣٤٠٠ طلعة قامت بها الطائرات القاذفة .

وحققت العملية نجاحاً رائعاً ؛ فقد تمكن المظليون من احتلال عدد من الجسور على نهر (ويسل) وأسروا (٣٨٠٠) جندي ألماني ؛ كما استولوا على ١٢٤ مدفعاً . وتم بناء (١٢) جسراً منذ يوم ٢٧ آذار - مارس - لمصلحة مجموعة جيوش مونتغومري . وأصبح عرض رأس الجسر ٤٥ كيلومتراً وعمقه عشر كيلومترات ؛ وصار من الممكن البدء باستثمار النصر ، والانطلاق في السباق نحو برلين .

وكان واجب مجموعة جيوش مونتغومري (مجموعة الجيوش

٢١) الانطلاق من رأس جسر (ويسل) في الشمال من الحوض الصناعي (الرور) للتقدم نحو برلين ، مع تجنب الصدام بالقوات الألمانية قدر المستطاع .

وقد بدأ مونتغومري بالتحرك في يوم ٢٨ آذار ـ مارس ـ في وقت واحد مع بقية مجموعة جيوش الحلفاء ؛ حيث تم تطويق القوات الألمانية في (حوض الرور) وتجزئتها ؛ ثم القضاء عليها .

وتابعت مجموعات جيوش أيزنهاور تقدمها على ثلاثة محاور . وحدد المحور الشمالي لتقدم جيوش مونتغومري على اتجاه شيلزويغ ـ هولشتاين ـ وموانىء بحر البلطيق .

وبدأت عجلة الأحداث بالتسارع ؛ فقد أخذت المدن الكبرى في السقوط تباعاً في قبضة الحلفاء على جبهة الغرب ؛ فيما كانت الجيوش السوفييتية تتابع تقدمها الكاسح على جبهة الشرق ، هذا فيما كانت القوات الألمانية تنهار في كل مكان في إيطاليا والبلقان وأقطار أوروبا الشرقية .

وأدرك القادة السياسيون الألمان اقتراب الحرب من نهايتها . وكانوا ـ كما هو معروف ـ يحاولون التفاهم مع الغربيين لإيقاف الخطر السوفييتي . وقد تصدى لهذه المحاولة غورنغ وهملر ـ عندما حاولا الاتصال مع الحلفاء الغربيين في مدينة (بيرن) يوم ٨ آذار ـ مارس ـ . غير أن هذه المحاولة اصطدمت كسابقاتها بإصرار الحلفاء على استسلام ألمانيا دون قيد ولا شرط .

وقد اتخذ (مونتغومـري) في هذا المجـال موقفـاً مغايـراً لموقف (أيزنهاور) . وعبر مونتغومري عن موقفـه هذا بقـوله : « **لم أعط لعرض - هملر - اهتماماً كبيراً ، وكنت أرى بأن الروس يتقدمون بـاتجاهي ، وأنهم أخـطر من الألمان المهـزومين . وكـانت المهمـة الأساسية والمباشرة هي الاندفاع بأكبر سـرعة ممكنـة للوصول إلى البلطيق ، وخلق مجنبة هناك مقابل الشرق ، وكان هذا هو السبيل الوحيد لمنع الروس من دخول شلزويغ - وهولشتاين والتغلغل من هناك في شبه الجزيرة الدانماركية** » .

كانت قوات (مونتغومري) تتابع تقدمها بسرعة ، فوصلت إلى منطقة (لونيبورغ) يـوم ١٨ نيسان - أبـريل - ، ثم استـولت على (بـريم) في يوم ٢٦ منـه ، واجتـازت نهر ألب عـلى مقـربـة من (لـونيبـورغ) في يـوم ٢٩ منـه . وانـدفعت العنـاصر الخفيفـة - الميكانيكية - نحو لوبيك وويسمار التي تم احتلالها يـوم ٢ أيار - مايو - وذلك قبل وصول القوات السوفييتية بفترة قصيرة .

فقد تم اللقاء بين القوات السوفييتية وقوات الحلفاء على نهر ألب يوم ٢٥ نيسان - أبريل - ، واجتاحت القوات السوفييتية العاصمة الألمانية (برلين) . **وتم توقيع وثيقة استسلام كافة القوات الألمانية يوم ٧ أيار - مـايـو - غير أن هذه الوثيقة لم تصبح نافـذة المفعول إلا في اليوم التالي (٨أيار - مـايـو -١٩٤٥)** عندمـا وقعها القـادة السوفييت .

لقد انتهت الحرب الطاحنة ، ودفعت بريطانيا ثمنها غالياً جداً ؛

وأسهمت في تحقيق النصر إسهاماً كبيراً . ووقف (مونتغومري) وقد أذهلته نتائج الحرب ليجتر مرارة الثمار المحرمة . فقد خرجت بلاده من الحرب وهي مهيضة الجناح ؛ مستنزفة الوسائط والقوى . ولم يكن هناك ثمة فارق كبير بين وضع بريطانيا العظمى (المنتصرة) وبين ألمانيا التي نزلت بها الهزيمة .

لقد تغيرت خارطة العالم كثيراً ، فبرزت دولتان عظميان هما : الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفييتي ، وكان لا بد لهما من أن تحتلا مكان (بريطانيا العظمى) و(فرنسا) اللتين تربعتا على عرش العالم طوال قرون متتالية . لقد انحسرت الحضارة الغربية بسبب حروب التوسع والمنافسة بين الدول الغربية ، وأصبح على أوروبا أن تتكيف مع الظروف الجديدة التي خلقتها الحرب .

١٣ ـ وداع العلمين

لقد وضعت الحرب أوزارها ؛ وتسلم مونتغومري عدداً من المناصب القيادية ؛ حتى إذا ما كانت سنة ١٩٥٨ حان الوقت للاستراحة وقد تجاوز ـ مونتغومري ـ يومها السبعين عاماً ، فانصرف لكتابة مذكراته ؛ ورجع إلى دفاتره القديمة ؛ يرد بها على ما لصق ـ أو ألصق ـ به من اتهامات .

لقد تباعد الزمن بين يومه وأمسه ؛ وبدأت ظلال الحرب الشاحبة تختفي وراء أفق المستقبل . ولم يعد من المهم اجترار ذكريات الماضي بالنسبة للعجوز المتقاعد ؛ غير أن هذه الذكريات لم تكن إلا ثمرة جهد شاق ؛ وصراع عنيف ، وهي ليست ملكاً

(لمونتغومري) وحده بقدر ما هي خلاصة تجربة لمجموعات إنسانية عاشت عنف الحرب وأهوالها . ولهذا فإن تصدي مونتغومري للرد على ما قيل عنه ؛ لم يكن مجرد الرغبة في الحصول (على براءة ذمة من التاريخ) بقدر ما كان رغبة في إظهار ما خفي من أحداث هذا التاريخ .

لقد بدأ (مونتغومري) حياته ـ عملياً ـ في العلمين ؛ ولولا ذلك لكان نسياً منسياً . وانطلق من العلمين إلى ميادين القتال الأخرى ؛ مسجلاً في كل يوم صفحة جديدة ؛ ومضيفاً كل يوم إنجازاً كبيراً .

ولقد انتقل من قيادة الجيش ، إلى قيادة مجموعة الجيوش . ولعل النصر الذي أحرزه في العلمين وفي الأعمال القتالية التالية كان حافزاً للبحث عن المزيد من الانتصارات . فهل كان الخوف من الفشل هو سبب الحذر الشديد الذي تميز به نهج مونتغومري في إدارة الحرب ؟ .

إن تحليل أسلوب (مونتغومري) في إدارة الحرب ؛ يظهر في الواقع مجموعة العوامل الكامنة وراء ما اشتهر به مونتغومري من الحذر ـ فهو قبل كل شيء إنسان إنكليزي بكل معنى الكلمة ؛ وللشعب الإنكليزي أسلوبه المميز بالبرود ـ وعدم الانفعال بسرعة ؛ وعدم التأثر المباشر بالأحداث . ولهذا لم يكن غريباً أن يخضع الأمور كلها للتخطيط الدقيق ؛ والإعداد المسبق ، حتى إذا ما كان وقت التنفيذ انطلق ـ مونتغومري ـ قدماً دون تردد ، ودون

تمهل ، ودون إبطاء لتحقيق غايته .

هذا من ناحية ؛ ومن ناحية ثانية ؛ فلقد تولى ـ مونتغومري ـ القيادة وقد تجاوز الخمسين من عمره ، وفارقته حماسة الشباب ؛ واندفاع الشباب ؛ وتهور الشباب ؛ فلا غرابة أيضاً إن هو أظهر التمهل في إعداد مخططاته وإجراء استعداداته ؛ ولهذا ، فقد كان غريباً عليه أن يشهد هؤلاء الشبان من القادة الأمريكيين فينظر إليهم نظرة الشيخ المتمهل الذي خبرته الحياة وخبرها ؛ إلى الشباب الذين لا زالت الخبرة تعوزهم ؛ ولا زالت التجربة تنقصهم . ولكن كم كان مذهلاً للشيخ العجوز ـ مونتغومري ـ أن يرى ما حققته حماسة الشباب واندفاعهم من نتائج مثيرة على مستوى الأعمال القتالية في جبهات القتال . وهنا أيضاً كمنت المفارقة المثيرة بين فكر مونتغومري وبين فكر أيزنهاور والقادة الأمريكيين .

لقد كان (مونتغومري) وهو يخوض الحرب ؛ يرنو ببصره إلى (ما وراء الحرب) ، ويتطلع إلى عالم المستقبل ؛ في حين كان أيزنهاور ـ الجندي مائة بالمائة ـ يقصر ببصره في كثير من الأحيان على أفق المعركة وعلى ميدان القتال . وهذا بعض ما يفسر تعجل (مونتغومري) للوصول إلى (برلين) بوثبة واحدة لو أمكن له ذلك ؛ ولكنه لم يكن قادراً على إجراء مثل هذه الوثبة وهو مقيد بالقيود الأمريكية ؛ ولعل ذلك هو سبب ضيق (مونتغومري) بالقادة الأمريكيين الذين توافرت لهم القدرات الضخمة والإمكانات الجبارة التي سمحت لهم بفرض وجودهم . وهذا ما

أشار بداهة إلى أن دور (بريطانيا العظمى) في قطف ثمار الحرب سيكون دوراً ثانوياً وهزيلاً .

وعلاوة على ذلك ؛ فقد كانت الانتصارات السوفييتية على جبهة الشرق ؛ قد أبرزت الدور المتعاظم للاتحاد السوفييتي في الحرب ؛ مما سيضمن لهم الظروف المناسبة لقطف ثمار الحرب . وماذا سيبقى (لبريطانيا العظمى) سوى الفاكهة المحرمة ؟

لقد اكتسب (مونتغومري) شهرته الواسعة خلال قيادته للجيش الثامن في معركة العلمين ، فقد انتصر في هذه المعركة على القائد الألماني (رومل) وكانت سمعة (رومل) يومها تهز الدنيا وتملأ الآفاق . فليس غريباً أن يرتفع نجم مونتغومري كالشهاب الثاقب ليبلغ أعالي الفضاء . ولكن هل كان مونتغومري نداً مكافئاً لرومل ؟

قد يكون من المحال مقارنة قائد بقائد ، أو موازنة كفاءة بكفاءة ؛ فلكل كفاءته ، ولكل قدرته ، ولكل تكوينه القيادي ونهجه المميز لشخصيته . ولكن هناك حقيقة لا يمكن إنكارها ؛ لقد قاد (رومل) حربه في الشمال الأفريقي ؛ بإمكانات محدودة ، وحقق انتصاراته المذهلة ؛ بقدرات متواضعة ؛ وكان ميزان الصراع بالقوى والوسائط في غير صالحه أبداً ، بينما توافرت (لمونتغومري) الإمكانات والوسائط التي ضمنت له التفوق بالقوى والوسائط ، وهذا ما ساعد مونتغومري في كل مرة على تجاوز الأخطاء ؛ وزج قوى وإمكانات جديدة في المعركة ؛ وتعديل

المخطط الأساسي للهجوم .

وكان أسلوبه واحداً في الحالات كلها : هجوم جبهي مع حركة التفاف واسعة تصل إلى مؤخرة قوات المحور - أو أجنحتها ومجنباتها - وهو أسلوب معروف ؛ ساعدت على نجاحه الطبيعة الجغرافية لمسرح العمليات - الصحراء - .

ولعل ما حققه من نجاحات على المسرح الأفريقي ؛ قد حمله على إعادة تطبيق هذا الأسلوب ذاته في معارك صقليا وإيطاليا ؛ وكان مسرح العمليات هنا ذا طبيعة مختلفة ؛ إلا أن توافر القوى والوسائط ساعد قوات الجيش البريطاني الثامن على التكيف مع الظروف الجديدة . ولعل ذلك أيضاً ، هو الذي حمل مونتغومري على بذل المحاولة بعد المحاولة لتطبيق هذا الأسلوب في اجتياح ألمانيا (بداية من النورماندي ونهاية بجوار برلين) . إن ذلك لا يعني أن المارشال الإنكليزي (مونتغومري) كان تقليدياً إلى درجة جعلته محروماً من القدرة على الإبداع والابتكار ، فقد أظهر في مواقف كثيرة كفاءة عالية في إبداع الحلول المناسبة لمجابهة المآزق الطارئة .

لقد تسلم مونتغومري قيادة الجيش الثامن في فترة كان فيها هذا الجيش يعاني من مرارة الانتكاسات المتتالية ؛ قدر معاناته من الافتقار للقيادة الميدانية ذات الكفاءة العالية . وجاء مونتغومري ليحول الانتكاسات إلى انتصارات - حقيقية لا وهمية - وليسد الفراغ في الكفاءة القيادية . وكان العامل الأول في نجاحه هو قدرته على

إثارة الحماسة لدى الجنود المقاتلين ، ورفع روحهم المعنوية ؛ من خلال رفعه لقيمة (حب الوحدة) وبذلك ـ وكما وصفه مونتغومري ذاته ـ أصبح الجيش الثامن بكامله أسرة واحدة متحابة ومتعاونة لأداء الواجب المشترك . فكان (مونتغومري) في هذا المجال على الأقل نداً مكافئاً لرومل ، ونظيراً مقابلاً له .

ولقد برهن (مونتي ـ كما كان يسميه جنوده تحبباً ـ) على قدرة فائقة في التعامل مع جنسيات مختلفة ومع جنود من أمم شتى ؛ وكان قادراً على تنسيق التعاون مع القادة من مختلف الشعوب ؛ ولقد برهن على هذه القدرة أيضاً خلال عمله مع قادة الحلفاء بعد أن انتهت الحرب . ولهذا فإن ما حدث من اختلاف ومن صدام خلال اجتياح أوروبا إنما كان نتيجة للتغيير في النهج القيادي وفي (تحديد هدف الحرب) و(غاية السلم) . ولقد وقع (تشرشل) في مضمار السياسة ـ الاستراتيجية ، بين مطرقة (روزفلت) وسندان (ستالين) ، ووجد مونتغومري ذاته أيضاً وهو واقع بين مطرقة (أيزنهاور)(وسندان (جوكوف) . ولقد اضطر (تشرشل) لتغيير كثير من قناعاته في هدف الحرب وغاية السلم ، وكان لا بد (لمونتغومري) في النهاية من تغيير قناعاته ـ مكرهاً ـ إذ لم يكن له خيار آخر سوى الخضوع لأهون الشرين ؛ وابتلاع أقل المرين : مر الحلفاء الأصدقاء ، ومر الخصوم التقليديين .

هكذا مضت السنون ؛ ومر ربع قرن من عمر الزمن ، وجاء (مونتغومري) إلى العلمين : هنا عاش أحلى سنوات العمر ، في

بحر الرمال الواسع ؛ وهنا حقق أعظم الأمجاد والانتصارات .

لقد جاء إلى الصحراء الأفريقية ومعه بقية من تصميم الشباب وعزم الشباب ، وها هو يرنو إليها وهو على حافة نهاية رحلة العمر . ما أبعد الشقة ، وما أطول المسافة . ورجع إلى مصر . أين هي مصر اليوم من مصر الأمس يوم كانت تتربع فيها القوات البريطانية ؛ وتعيش راتعة في رحابها . لم يعد لبريطانيا في مصر سوى ظلال باهتة . لقد تغيرت الدنيا التي عرفها (مونتغومري) ، ولم يبق فيها ما يستهوي المارشال العجوز ، فليغادر هذه الدنيا راضياً مطمئناً .

لقد قدم لبلاده كل ما يستطيع ؛ وكل ما يمكن للإنسان أن يقدمه ، ولكن لا (مونتغومري) ولا بلاده (بريطانيا العظمى) قادرة على تغيير القدر أو تبديله .

بسام العسلي

قراءات

قراءات
١

بين أيزنهاور ـ ومونتغومري

تحدث (أيزنهاور) كثيراً عن علاقته بمونتغومري خلال الحرب على جبهة الغرب ؛ غير أنه من المهم التوقف عند المشكلة الأساسية التي أحدثت كثيراً من الجدل والنقاش وهي مشكلة (القيادة) و(إدارة الحرب) في فترة ما بعد إنزال النورماندي ، حيث ذكر أيزنهاور ـ ما يلي : « كانت المشكلة التي بقيت تحتاج للحل هي اتخاذ قرار بشأن اللجوء إما إلى هجوم مباشر على المواقع الألمانية ؛ مع البدء بإزالة المقاومات عند محاور الاقتراب من انتويرب ، أو الاستمرار في الهجوم نحو الشرق ضد بقايا قوات العدو التي استمرت في مقاومتها ؛ بهدف تأمين رأس جسر عند الراين ـ في الطرف الآخر من حوض الرور ـ . **وبينما كنا نقوم بدراسة العوامل المختلفة ؛ تقدم ـ مونتغومري ـ بصورة مباغتة ؛ بما كان يراه الحل المناسب ، وقال : إذا ما وفرنا الدعم الكامل لمجموعة جيوشه الحادية والعشرين ، مع تأمين متطلباته من الإمدادات للعمليات القادمة ، فإن باستطاعته الإسراع بالتقدم مباشرة حتى برلين ، لإنهاء الحرب** . وكنت على يقين عندما استمعت الى ما قاله الفيلد مارشال مونتغومري ـ بأن ما شاهده من تقدم سريع ، أثناء

الأسبوع الأخير ، قد كوَّن لديه قناعة بانهيار الروح المعنوية للعدو انهياراً كاملاً . وكان هذا هو العامل الذي حمله على الاندفاع بحماسة للمطالبة بتوفير الدعم والإمداد للتوجه مباشرة إلى برلين .

وعندما التقيت بالمارشال مونتغومري في بروكسل يوم ١٠/١٠/١٩٤٥ ، أوضحت له الظروف التي يجابهها جهاز الإمداد والتموين ، وأوضحت له مدى حاجتنا لاستخدام ميناء (أنتويرب) بأسرع ما يمكن ، وذكرت له في حديثي معه أنه لن تتوافر لنا إمكانات التقدم بقوة داخل ألمانيا ، والوصول إلى عاصمتها ؛ إلا اذا أمكن لنا تأمين مخزون كبير من الإمدادات ، وإلا إذا أمكن أيضاً تأمين جسور للخطوط الحديدية فوق الراين ، وذكرت له بأنه لا زالت هناك قوات احتياطية تتمركز في وسط بلاد العدو .

... كان المارشال مونتغومري ينطلق في تقديره للموقف من الوضع الذي كان عليه قطاع جبهته فقط ، وكان يدرك أن دعم مقترحاته يتطلب قتل كل تحركات القوات الأخرى لمدة عدد من الأسابيع ؛ وذلك من أجل تأمين متطلبات مجموعة الجيوش ٢١ وحدها .

ولعله لم يدرك ما يمكن أن يتطور إليه الموقف على امتداد بقية جبهاتنا الواسعة عندما يظهر أنه من المحال عليها متابعة التقدم ، إذ قد نضطر عندها لمجابهة احتمالات التوقف ؛ أو التراجع . ولهذا أصدرت تعليماتي إلى ـ مونتغومري ـ بما أريد إنجازه في الشمال ،

وهو استخدام أنتويرب . . . » .

لم يكن (مونتغومري) محروماً من الحجة للدفاع عن وجهات نظره ، وقد دافع مونتغومري عن نفسه ـ بعد سنوات ـ عندما قال في مذكراته :

« . . . لقد أصبح التطور الخاص باستراتيجية الحلفاء في شمال السين ، واحداً من أكبر المواضيع الجدلية في تاريخ الحرب . وكان الألمان هم الذين أفادوا في النهاية من هذه الاستراتيجية . وكنت ولا أزال اعتقد بأننا فشلنا في أيلول ـ سبتمبر ـ ١٩٤٤ في استثمار ما أصاب الألمان من الاضطراب والفوضى استثماراً كاملاً ، بعد هزيمتهم الساحقة في معركة النورماندي خلال شهر آب ـ أغسطس ـ .

إن استخدام ميناء (أنتويرب) لم يكن هو أسرع وسيلة لانهاء الحرب مع ألمانيا ـ على نحو ما زعمه بعضهم ـ بل إن أسرع طريقة كانت في العمل فوراً ، ومنذ منتصف شهر آب ـ أغسطس ـ لاستثمار النصر الذي تم إحرازه في النورماندي ، واستخدامه كرأس حربة لتوجيه ضربة قوية تنهي ألمانيا وتمنحنا في الوقت ذاته الموانىء التي كنا في حاجة إليها ، عند جناحنا الشمالي . ولكي نتمكن من ذلك ، كان يجب أن يتوافر لنا مخطط ؛ كما كان يجب أن يتم لنا تركيز الجهد ، ولم يكن لدينا لا المخطط ولا تركيز الجهد .

إنني لا أزال على قناعتي الثابتة بأننا لو اعتمدنا مخططاً للعمليات في منتصف شهر آب ـ أغسطس ـ وخصصنا له متطلباته الإدارية

والتموينية ؛ فإنه كان باستطاعتنا تأمين رؤوس الجسور الضرورية فوق الراين ؛ واحتلال حوض الرور قبل حلول فصل الشتاء .

ولو عولجت القضية بكاملها بشكل ملائم ، فإن النتيجة لن تقف عند حدود تقصير أجل الحرب فقط ؛ بل إنها كانت ستتجاوز ذلك لترفع من إمكانات الوصول بالحرب حتى نهايتها ؛ مع توفير قدر من التوازن ومن استقرار السلم المبكر ؛ بشكل أفضل بكثير من هذا الذي نشهد ظواهره حالياً في أوروبا .

لقد زعم بعضهم أنني كنت أتجاهل (أمر أيزنهاور) بإعطاء الأفضلية لفتح ميناء أنتويرب ؛ ولهذا لم أحاول الاهتمام بعملية الأرنيم حتى البدء بتنفيذها فعلاً .

وأقول إن هذا الزعم باطل ؛ لأنه لم يكن هناك أمر قد صدر عن أيزنهاور بالهجوم على أنتويرب ؛ كما أن أيزنهاور قد وافق على عملية الأرنيم . وأخيراً فإن أوامري للقتال قد اقتصرت حتى يوم ٨ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ ١٩٤٤ بالاستيلاء على خط الراين بأقصى سرعة ممكنة ، ثم صدر الأمر لأول مرة يوم ٩ تشرين الأول ـ أكتوبر ـ بإعطاء الأفضلية للهجوم على أنتويرب ، وهذا ما يؤكده سجل أوامر القتال .

لقد حدث التشويش والاضطراب بنتيجة ما يلي : كان أيزنهاور يريد الوصول إلى حوض السار واحتلال منطقة فرانكفورت والرور وأنتويرب وخط الراين . وقد عشت فترة القتال اليائس والمرير الذي خاضته القوات الألمانية في النورماندي ؛ ولهذا فقد اعتقدت

بأنه من المحال على أيزنهاور تحقيق هذه الأهداف جميعها بحركة انقضاض واحدة إلى الأمام . ولو عمل - أيزنهاور - على تبني مخططي لأمكن له على الأقل تحقيق هدفين منهما وهما الاستيلاء على أنتويرب وحوض الرور ؛ مع إقامة رؤوس جسور على نهر الراين في الشمال مما سيتيح الفرصة لمتابعة العمليات . كما أنه لو تبنى مخطط - عمر برادلي - لأمكن له تحقيق بعض أهدافه أيضاً مثل احتلال حوض السار ومنطقة فرانكفورت ؛ مع احتلال رؤوس جسور فوق نهر الراين عند المنطقة الوسطى والجنوبية . ولكن أيزنهاور كان متفائلاً جداً ، فاختار من الحلول أوسطها ؛ ومن هنا جاء فشله في تحقيق كل هدف من أهدافه ، وأصبح عندئذ يواجه حالة من الإحباط وخيبة الأمل . وبدهي أن أشعر أنا أيضاً بقسط كبير من الحزن وخيبة الأمل ؛ فقد كان كل ما أرجوه هو أن ننتهي من الحرب مع ألمانيا بأسرع ما يمكن ؛ وأن ننجح في إنقاذ عشرات الآلاف من الأرواح ؛ وإعادة الطمأنينة والراحة للشعب البريطاني ؛ ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث .

إنني وأنا أعود بالفكر إلى أحداث ما مضى ، أتزايد قناعة أكثر فأكثر بأن الحجج والبراهين وصعوبات عدم التفاهم حول الأسس الاستراتيجية بعد تجاوز نهر السين ؛ تكمن في جذورها وراء الاختلاف في فهم المصطلحات الفنية والتعبيرات العسكرية . فقد تم طرح القضية تحت عنوان (**اختراق ضيق في جبهة عريضة**) وقد وصف - أيزنهاور - مخططي بأنه (**هجوم على شكل كماشة**) كما وصفه في مناسبة أخرى بأنه (**اختراق على شكل سكين**) .

ولكن : هل كان الاختراق القوي والضخم بأربع عشرة فرقة هو مما يمكن وصفه بأنه (**جبهة ضيقة**) ؟ . لقد كان من الأفضل وصفه بأنه (**ضربة رئيسة**) . وكنت قد برهنت بالحجة مفهوم (**الضربة الوحيدة**) ضد عدو كان قد وصل إلى مرحلة كبيرة من الضعف . وكان وصفي له مستخلص مما كانت عليه الخطوط الدفاعية عند طرفها الأيسر خلال معارك الصحراء . وذكرت الظروف الملائمة لتوجيه (**الضربة القاضية**) وأنا على معرفة ببعض ما يماثل هذه الأمور . ولو أمكن لنا أن نتحرر مرة واحدة من كلمة (**ضيق**) لتساقطت جميع الحجج والذرائع واختفت وراء كلمة (**عريض**) مثل (الكماشة ؛ والسكين ؛ الخ . .) .

إن القصة المأساة والمحزنة للأحداث التي وقعت بعد نجاح معركة النورماندي ؛ هي قصة يمكن إيجازها بنقد أساسي واحد : لقد كانت هناك حاجة لوجود قرار متخذ ـ سواء كان صحيحاً أو خاطئاً ـ .

ففي النورماندي ؛ كان مخطط استراتيجيتنا لمعركة الإنزال بسيطاً ؛ وتم بموجبه تحديد الوسائط الضرورية لتنفيذه . وتمت دراسة المخطط وحددت بموجبه الوسائط الضرورية لتنفيذه ؛ ورسمت أبعاده بدقة وبكامل التفاصيل ؛ بحيث لم يترك مجال لأحد أن يتصرف كما يريد ؛ وأمكن لنا تحقيق النجاح . ولكن ما إن تجاوزنا حدود النورماندي حتى أصبحت استراتيجيتنا مرنة ؛ ولم يعد هناك مخطط ؛ وأخذنا ننتقل بوثبات لا رابطة بينها .

يبقى المجال مفتوحاً ـ بصورة بدهية ـ لمناقشة ما سبق اتخاذه من مقررات ؛ سواء كانت هذه المقررات صحيحة أو خاطئة ؛ ولكن ما لا نستطيع مناقشته هو أنه عندما كانت تقرر القيادة العليا استراتيجيتنا ؛ فإنها لم تكن تعمل على متابعة توجيهها . ولهذا تم التقدم حتى وقوع هجوم الآردين على جبهات متعددة ، ولم يكن هناك ثمة تنسيق فيما بينها ، وكان جواب الألمان على ذلك هو توجيه ضربتهم في (الآردين) عندما لم نكن في وضع متوازن ، وأخذنا على حين غرة .

٢ ـ مونتغومري والقادة السوفييت

التقى مونتغومري للمرة الأولى بالقائد السوفييتي ـ جوكوف ـ وبالقادة السوفييت يوم ٥ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٥ ، عندما قدم مونتغومري إلى برلين للتوقيع على وثيقة هزيمة ألمانيا ، وإسناد السلطة العليا في ألمانيا لقادة الحلفاء : الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي .

كان جوكوف يتابع أثناء الحرب باهتمام كبير أعمال الجيش الثامن بقيادة مونتغومري في شمال أفريقيا . ففي سنة ١٩٤٠ والسنة التالية حلت بقوات بريطانيا هزائم منكرة ، ثم جاء مونتغومري وأمكن له إنزال الهزيمة بالقوات الألمانية التي وصلت إلى أبواب مصر ، ثم اشترك جيشه بحملة إيطاليا ، وبعد ذلك قاد مونتغومري قوات الحلفاء بكفاءة عالية خلال الإنزال في النورماندي ثم في التقدم حتى نهر السين . وها هو مونتغومري : بقامته الطويلة

وحيويته الدافقة وهيئته العسكرية الكاملة .

وجلس إلى جوكوف ، وتحدث معه في منطقة العلمين وعملياتها ، وقارنها بمعارك منطقة ستالينغراد . ولم يستطع جوكوف احتمال هذه المقارنة فشرح لمونتغومري أن عمليات منطقة العلمين كانت عمليات على مستوى الجيش ، بينما عملت في ستالينغراد مجموعة من الجبهات ، ونفذت فيها عمليات ذات أهمية استراتيجية كبيرة ، كان من نتيجتها ، سحق أكبر تجمُّع للقوات الألمانية وقوات حلفائها في منطقة الفولغا والدون ، ثم بعد ذلك في منطقة شمال القفقاس ، وإن هذه العملية هي التي أرست بداية التحول الحاسم في الحرب ، وطرد القوات الألمانية من الاتحاد السوفييتي .

ثم قال مونتغومري لجوكوف .

« **أيها السيد الماريشال ، لقد قررنا أن نحتل منطقتنا في برلين خلال الأيام القريبة القادمة ، كما أن أصدقاءنا الأمريكيين والفرنسيين ، على ما يبدو ، يرغبون كذلك في أن يحتلوا مناطقهم في الوقت ذاته ، واستناداً لذلك ، أود لو أتفق معكم الآن على تحديد طرق المواصلات التي ستمر قواتنا من خلالها إلى برلين** » .

وأجاب جوكوف :

« قبل أن نقر المسائل المتعلقة بطرق المواصلات التي ستسير عليها القوات الإنكليزية والأمريكية إلى برلين ، يجب أن تحتل جميع قوات الحلفاء المناطق التي حددت لها حسب قرارات مؤتمر القرم . وبعد أن يتم ذلك سنبحث في المسائل العملية المرتبطة بمرور قوات

الحلفاء إلى برلين وانتشار أفراد الحلفاء في برلين ذاتها . ولا أستطيع أن أوافق على مرور عسكريي الحلفاء إلى برلين قبل أن تنسحب القوات الأمريكية من تيورينغيا والإنكليزية من منطقة فيتينبرغ » .

كان مونتغومري يود الاعتراض ، ولكن أيزنهاور تدخل عندئذ بسرعة قائلاً : « لا تجادل يا مونتي . إن الماريشال جوكوف على حق . إن عليك أولاً أن تسارع في الخروج من فيتينبرغ ، وعلينا أن نخرج من تيورينغيا » .

فقال مونتغومري معقباً عندها : « حسناً . فليكن كذلك . لن نختلف الآن . دعونا في اجتماعنا الأول هذا ، نلتقط لأنفسنا صورة مشتركة ، وقد استقدمت لهذه المناسبة مصوراً ممتازاً » . وقام مصور أيزنهاور باستهلاك كل ما عنده من الأفلام .

وفي يوم ١٠ حزيران ـ يونيو ـ ١٩٤٥ ، قدم جوكوف إلى مقر قيادة الحلفاء في فرانكفورت على نهر الماين ، وقلد مونتغومري أرفع وسام سوفييتي (وسام النصر) . وقام الإنكليز والأمريكيون بالانسحاب من فيتينبرغ وتيورينغيا ، وأرسلوا قواتهم لاحتلال مناطقهم المحددة لهم في برلين .

وفي النصف الثاني من شهر حزيران ـ يونيو ـ قدم الماريشال مونتغومري لزيارة جوكوف في برلين ، وأعلمه أن الحكومة الإنكليزية قد منحته والماريشال ك . ك . روكوسوفسكي والجنرال ف . د . سوكولوفسكي و . م . س . مالينين الأوسمة العسكرية لبريطانيا العظمى . وطلب مونتغومري إلى جوكوف تعيين اليوم

الذي يستطيع فيه أن يقلدهم هذه الأوسمة ، والمكان الذي يختاره لهذا الاحتفال . فرجاه جوكوف أن يعين اليوم والمكان بنفسه . فقال الفيلد ماريشال مونتغومري بلباقة فائقة : « **لقد قامت القوات السوفييتية بتوجيه ضربتها النهائية في منطقة بوابة براندنبورغ ، ورفعت الراية الحمراء فوق الرايخستاغ ، وإنني أرى أن يجري في هذا المكان بالذات تقليدكم أوسمة بريطانيا العظمى التي تشيد بخدمات القوات السوفييتية التي كنتم تقودونها** » .

توجه جوكوف في اليوم المعين والساعة المحددة إلى بوابة براندنبورغ ؛ فاستقبل ومرافقيه استقبالاً مهيباً ، واصطفت مفرزة من قوات الحرس الإنكليزية . وحضر الحفل عدد كبير من القادة والضباط البريطانيين وقام مونتغومري بتقليد جوكوف وسام (بانيا) من الدرجة الأولى ، كما تم تقليد كونستانتين كونستانتينوفيتش روكوسوفسكي وسام (بانيا) من الدرجة الثانية . وفاسيلي دانيلوفيتش سوكولوفسكي وسام الاستحقاق ، وكذلك ميخائيل سيرغييفيتش مالينين الذي قلد بدوره وسام الاستحقاق .

وقد تقدم مونتغومري فاقترح على القادة السوفييت الذين تم تقليدهم الأوسمة البريطانية ، القيام باستعراض (مفرزة الشرف) ، فقبل القادة السوفييت بسرور بالغ اقتراح مونتغومري ، واستعرضوا مفرزة الشرف . وفي المساء أقام الفيلد ماريشال مونتغومري حفل استقبال في مقر قيادته على شرف القادة الأربعة ، ودعي إلى الحفل عدد كبير من القادة والضباط السوفييت .

بدأ مجلس الأشراف بعدئذ عمله ، بانسجام وتفاهم . وشعر القادة السوفييت منذ بداية الأمر أنه كانت تجري في كافة لجان الأشراف دراسة دقيقة وتفصيلية للممثلين السوفييت ولسياسة وتكتيك الجانب السوفييتي ونقاط القوة والضعف فيهم . ومقابل ذلك ، شعر القادة الغربيون أن زملاءهم السوفييت يسيرون على النهج ذاته في دراستهم للقادة أو للممثلين الغربيين وأسلوب التعامل معهم . وكان الممثلون الأمريكيون والإنكليز قد زودوا في الواقع بمعلومات وثائقية معدة جيداً عن ألمانيا وطاقتها الاقتصادية والعسكرية ، كما كانت تتوافر لديهم المعلومات الدقيقة عن القضايا السياسية والاقتصادية والمخططات الضرورية لبناء ألمانيا الجديدة .

أخذت العقبات المتتالية في اعتراض مسيرة أعمال مجلس الأشراف ، نتيجة لتعارض المخططات السوفييتية مع المخططات الغربية . وعلم السوفييت بأن تشرشل كان قد أرسل إلى الفيلد ماريشال مونتغومري أثناء الحملة الختامية من الحرب برقية سرية يأمره فيها :

« بأن يجمع السلاح الألماني والعتاد القتالي بكل دقة وعناية ؛ وأن يخزن بطريقة تتيح إمكانية توزيعه بسهولة على القطعات الألمانية التي ينبغي التعاون معها إذا ما استمر الهجوم السوفييتي » .

عمل القادة السوفييت على الإدلاء بتصريح شديد اللهجة ضد تصرف الإنكليز خلال الاجتماع الدوري التالي لمجلس الأشراف ، وأعلنوا بأن التاريخ لم يشهد إلا قليلاً من أمثلة هذا الغدر والخيانة

للتحالفات والتعهدات .

وحاول مونتغومري سحب الاتهام السوفييتي ، غير أن زميله الأمريكي الجنرال كلاي قد ظل صامتاً ، إذ أنه كما يبدو ، كان يعلم بتوجيهات رئيس الوزارة البريطانية . ولم تمض فترة طويلة ، حتى صرح تشرشل علانية ، وهو يخطب أمام الناخبين في حملته الانتخابية في منطقة ودفورد أنه أصدر في الواقع هذا الأمر السري إلى الفيلد ماريشال مونتغومري . وبعد مضي فترة من الزمن أكد مونتغومري بدوره أنه تلقى هذه البرقية من تشرشل .

عاد القادة السوفييت فطرحوا في مجلس الأشراف قضية القوات الألمانية الموجودة في منطقة الاحتلال البريطانية والتي كانت تضم أكثر من مليون جندي وضابط . وطالبوا بحلها تنفيذاً لمقررات مؤتمر بوتسدام . وقدموا بياناً بهذه القوات التي ضمت :

١ ـ مجموعة جيش الشمال الألمانية . ٢ ـ مجموعة فيلق شتوكهاوزن . ٣ ـ مجموعة فيلق فيتهوف . ٤ ـ المنطقة الجوية الثانية . ٥ ـ إدارات المناطق العسكرية في هامور ، وايتسييخو ونايمينستر وريندسبورغ وفليسنبورغ وهامبورغ . ٦ ـ وجود ٢٥ موقعاً عسكرياً ألمانياً محلياً أو تابعاً للمناطق . ٧ ـ قوات إشارة . ٨ ـ وحدات دبابات . ٩ ـ بالإضافة إلى وجود قوات جوية وبحرية مع خدماتها .

لدى بحث المذكرة السوفييتية في مجلس الأشراف ، اضطر مونتغومري للاعتراف بوجود قوات ألمانية منظمة في المنطقة

البريطانية ، وهي تنتظر حلها ، وتقوم بأعمال مختلفة تحت قيادته . وقال إن عدم حلها إنما يعود لصعوبات فنية مرتبطة بتسريح الجنود الألمان . وقال مونتغومري بعد ذلك في إحدى جلسات مجلس الأشراف - في شهر تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٤٥ ، عن هذه المسألة :

« لو قيل لي إن هناك اختلافاً ما بين سلوكنا في هذه المسألة ، وسلوك زميلنا الأمريكي ، لفوجئت ؛ ذلك لأن السلوك الذي نتبعه هذا ، كان قد حدد منذ البداية ، أثناء وجود القيادة الموحدة وبقيادة الجنرال أيزنهاور » .

هكذا ظهر واضحاً الاختلاف بين قادة حلفاء الأمس . ولقد وحد هدف الحرب بين القادة الحلفاء ، ثم جاء الاختلاف على غاية السلم ليفرق بينهم ، ويمزقهم شر ممزق .

ولقد تعرض أيزنهاور ومونتغومري بصورة خاصة للهجمات السوفييتية العنيفة . ولم يكن مونتغومري إلا منفذاً للقرار السياسي ، الذي اتخذه رئيس وزراء دولته - تشرشل - ليس ذلك فحسب ، بل إن قادة الحلفاء الغربيين قد نسقوا مواقفهم جميعاً ، وكان الاتفاق بينهم تاماً ، بشأن التدابير الواجب اتخاذها من أجل إعادة بناء ألمانيا على أسس جديدة .

وكذلك كان الاتفاق بينهم تاماً في مواجهة المخططات السوفييتية . لقد انتصر الحلفاء على ألمانيا النازية ، ولكن انتصار الغربيين بات ميتاً بعد أن سيطرت روسيا على أوروبا الشرقية .

وأعادت تنظيمها على النهج السوفييتي ذاتـه ـ النظام الاشتـر كي ـ فهل كان الغربيون يتوقعون وهم يخوضون الحرب إلى جانب الاتحاد السوفييتي أن يتخلى الاتحاد السوفييتي عن مكاسبه التي حققها بقوة السلاح ؟ .

لقد كان مونتغومري قائداً ، عاش أيـام (بريـطانيا العـظمى) وعرف أمجاد أمبراطوريتهـا . وكان من الصعب عليـه تصور قيـام الاتحاد السوفييتي ونهوضه إلى مرتبة إحدى الـدولتين العـظميين في العـالم ، ليحل محـل بريـطانيا وفـرنسا اللتـين خرجتـا من الحرب منهكتين ومستنزفتين . وعلى هذا فإن تنفيذ مونتغـومري لقـرارات تشرشل لم يكن تنفيذاً سلبياً ، أو بالاحرى تنفيذ القرار العسكري المحكوم بالقرار السياسي ، وإنما كان تنفيذاً واعياً ومـدركاً لمـا كان يجب أن تكون عليه مسيرة الأمور وتطوراتها . وعلى هذا فإذا ما وقع الهجوم على مونتغومري ، فباعتباره القائد العسكري الذي اضطلع بدور رأس الحربة في الهجوم السياسي ، وكان بذلك النموذج الأكثر وضوحاً للقائد البريطاني الذي خاض الحـرب من أجل (العـظمة البريطانية) ، ثم خرج من الحرب وقد زالت تلك العظمة رغم ما حققته من انتصارات ، ورغم ما قدمته من التضحيات .

ولقد حاول مونتغومري التعلق بعجلة الماضي ، غـير أن عجلة الزمن تجاوزته ، ولكن ذاكرة التاريخ لم تتجـاهل انتصـاراته ، ولم تتنكر لجهوده .

٣ ـ مونتغومري في مذكرات روكوسوفسكي

عملت قوات جبهة روسيا البيضاء الثانية بقيادة ماريشال الإتحاد السوفييتي (روكوسوفسكي)(*) على توجيه ضرباتها للقوات الألمانية في شمال برلين ؛ حتى تم لها الاتصال بالقوات البريطانية العاملة في هذا القطاع .

وقد تحدث (روكوسوفسكي) عن ذكريات لقائه مع مونتغومري بقوله : « سلمني قائد فيلق الحرس المدرع الثالث ؛ الجنرال بانفيلوف ؛ والذي كان فيلقه هو أول من حقق اللقاء مع القوات البريطانية ؛ دعوة من الفيلد مارشال مونتغومري . وفي اليوم التالي ذهبت مع مجموعة من الضباط الأمراء والقادة إلى ويسمار . وقبل الدخول إلى المدينة استقبلنا ضباط بريطانيون في لباس الميدان العادي ؛ وقد اعتمروا الكمات ـ البيريه ـ بدلاً من الخوذ . وبعد استقبال رسمي قصير ؛ رافقونا إلى مقر قائدهم العام . وقد غمرنا شعور بأن الإنكليز يحاولون إعطاء هذا اللقاء أكبر حرارة ممكنة . وكنا نرد على ذلك بالمثل .

(*) كونستانتين روكوسوفسكي : (Constantin-Rokossovski) مارشال الاتحاد السوفييتي (١٨٩٦ ـ ١٩٦٨) دخل الجيش القيصري سنة ١٩١٤ ، ثم انضم إلى الجيش الأحمر . وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية كان قائداً لفيلق ميكانيكي ؛ ثم أصبح قائداً للجيش . وتولى بعدئذ (منذ صيف سنة ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب) قيادة عدد من الجبهات . وتولى بعد الحرب قيادة القوات السوفييتية في ألمانيا المحتلة ، وأصبح نائباً لوزير الدفاع السوفييتي ، ثم مفتشاً عاماً لوزارة الدفاع . وتفرغ في نهاية حياته لكتابة مذكراته التي صدرت تحت عنوان (الواجب العسكري) .

ها هو الفيلد مارشال مونتغومري ؛ وشددنا على الأيدي ؛ وتبادلنا التهاني بالنصر . ولقد حرص الإنكليز على مراعاة مراسم الاحتفال بدقة ؛ فأطلقت المدفعية صلية التحية ؛ وصدحت أبواق حرس الشرف ؛ ودار الحديث بين ضباطنا والضباط الإنكليز عن طريق المترجمين وبدونهم .

وتخلى مونتغومري عن الرسميات ؛ ويبدو أن العدوى انتقلت إليه من روح المرح التي هيمنت على الجميع . ولم يخل الحدث من مصورين ورسامين ومراسلين صحفيين ؛ هذا إذا لم نقل أن عددهم كان زائداً عن اللزوم .

وأعتقد أنه لا مجال للاستغراب هنا . فقد كان هذا أول لقاء بين القادة العسكريين لجيشين متحالفين بعد حرب دامية استمرت أربع سنوات ضد العدو المشترك (ألمانيا الفاشية) .

وبعد أن تعارف الجميع ـ بعضهم على بعض ـ دعانا الفيلد مارشال مونتغومري إلى قاعة الضيافة ؛ حيث موائد الطعام ؛ لكن الحديث شغل الجميع عن الطعام . والتقطت لي صورة مع الفيلد ماريشال مونتغومري عند خارطة علقت على الجدار .

ورحنا نتبادل التقاط الصور ـ منفردين ومجتمعين ـ . ولقد ترك اللقاء الحار لدينا انطباعاً جيداً ومؤثراً . وقد تبين لنا أن الضباط البريطانيين ؛ وقائدهم مونتغومري بالذات ؛ أكثر بساطة ووداً مما كنا نتصوره .

وكـان الوداع حـاراً أيضاً . ورافقنـا في طريق العـودة الضباط الذين استقبلونا ذاتهم ؛ وعلى رأسهم قائد فرقـة المظليـين الجنرال باولس .

قمنا من جانبنا بالرد على هـذه المبادرة الـطيبة ؛ ودعـونا الفيلد ماريشال مونتغومري لزيارتنا مع أعوانه . وتقرر أن يتم الاستقبال على طريقة الضيافة الروسية .

وضعنا حرس الشـرف من الجنود الكـوبانيـين من فيلق خيالـة الحرس الثالث ، بترتيب الفرسان وباللبـاس القوزاقي الكـامل ، وقد أعطى هذا المنظر مونتغومري وضباطه انطباعاً مثيـراً ، بحيث أنهم استمـروا لفترة طـويلة وهم ينـظرون نـظرات الإعجـاب إلى هؤلاء الفرسان وهم يبتعدون طراداً . وبعد مراسم الاحتفال ؛ دعونا الضيـوف الإنكليز إلى قـاعة الاحتفـالات الكبرى حيث قـدم لهم الطعام المحضر بعناية . وقد شعر الضيوف بالراحة وهم يجلسـون خلف الموائد (في حين كانت ضيافتنا لدى الإنكليز وقوفاً) .

وقد اتخذ الحديث طابعاً ودياً ، حتى أن مونتغومري نسي نفسه ، إذ أنه حاول في البدء تحديد توقيت الزيارة بلباقة متناهية ، إلا أنه توقف عن النظر إلى ساعته ؛ وانشغـل عنها بـالحديث الـذي كان يدور حول أمور عامة .

وفي الختام قامت الفرقة المسرحية للجبهة بتقديم استعراضها . ولقد كان استعراضاً رائعاً بحق ؛ بحيث نال إعجاب ضيوفنا الذين بهـرتهم حركـات الفرقـة وشـدتهم إليهـا . وكـان التصفيق الحـاد

وعبارات التحية والاستحسان تتعالى بعد كل مشهد . وقد عبر مونتغومري عن إعجابه وسروره . وودعنا الفيلد ماريشال ومرافقيه بحرارة في ساعة متأخرة من الليل .

لقد ترك هذا اللقاء لدينا شعوراً بالثقة بأن شعوب مختلف الدول ؛ والتي تتكلم بلغات مختلفة ؛ وحتى ذات العقائد المختلفة ؛ قادرة إذا رغبت أن تعيش متحابة يحترم بعضها بعضاً . ولقد ملأت البهجة قلوب الجنود . وكنت أنظر إلى وجوههم الطافحة بالبشر ، فتغمرني السعادة لسرورهم .

المراجع الرئيسة للبحث

١ ـ العمليات الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية (١ ـ ٤) وزارة الحربية ـ الجيش المصري ـ مطبعة القوات المسلحة ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ .

٢ ـ المعارك الحاسمة في الحرب العالمية الثانية ـ بيتر يانغ ـ ترجمة المقدم بسام العسلي ـ الإدارة السياسية ـ فرع الثقافة والتوجيه ـ دمشق ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٣ م .

٣ ـ أشهر قادة الحرب العالمية الثانية ـ بكباشي عبد الفتاح حسن . بكباشي منقريوس نظمي . أحمد الأرفلي ـ شركة فن الطباعة ـ القاهرة . ١٩٤٩ .

٤ ـ حرب صليبية في أوروبا ـ دوايت أيزنهاور ـ ترجمة إبراهيم عبود ـ دار اليقظة العربية بدمشق ـ ١٩٦٠ .

٥ ـ الدبابات ـ العميد الركن محمد وليد جلاد ـ اللواء أحمد يوسف ـ قدم لها العماد مصطفى طلاس ـ دمشق ١٩٨٤ .

(6) AVEC LA 8ÈME ARMÉE (D'EL ALAMEINE A L'ADRIATIQUE MARÉCHAL MONTGOMERY (AMIOT- DUMONT) PARIS 1952.
(7) LA GUERRE SANS HAINE (MARÉCHAL ROMMEL) AMIOT-DU MONT PARIS 1952.
(8) THE DECISIVE BATTLES OF THE WESTERN- WORLD. J.F.C. FULLER (VOL II) PALADIN- GRANDA- PUBLISHING LIMITED- 1970.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الوجيز في حياة مونتغومري	٥
مما قيل في مونتغومري (مونتي)	٧
مما قاله مونتغومري	١١
المقدمة	١٥
الفصل الأول	
١ ـ الإنسان وقدره	٢٣
٢ ـ قيادة الجيش الثامن	٣٥
٣ ـ علم حلفا ـ نقطة التحول الحاسمة	٤٦
٤ ـ الإعداد للهجوم الكبير	٥٧
٥ ـ معركة العلمين	٧٧
٦ ـ استثمار النصر ـ المطاردة	١١٨
٧ ـ معركة العقيلة	١٣١
٨ ـ الجيش الثامن في معركة تونس	١٤٤

الموضوع	الصفحة

الفصل الثاني

٩ ـ صقليا وإيطاليا ١٦٧

١٠ ـ النورماندي وغزو أوروبا ١٧٨

١١ ـ ماذا حدث في الآردين ؟ ١٩٠

١٢ ـ اجتياح ألمانيا ٢٠١

١٣ ـ وداع العلمين ٢٠٩

قراءات

١ ـ بين أيزنهاور ومونتغومري ٢١٩

٢ ـ مونتغومري والقادة السوفييت ٢٢٥

٣ ـ مونتغومري في مذكرات روكوسوفسكي ٢٣٣

المراجع الرئيسة للبحث ٢٣٧

الفهرس ٢٣٩

مشاهير قادة
الحرب العالمية الثانية

الحرب العالمية الثانية، التي ما زالت كابوساً يؤرق حياة الناس، وعقلاء القادة، حتى يومنا هذا، أبرزت قادة عظاماً يجدر بعسكريينا ومثقفينا وجميع شبابنا أن يدرسوها، ويستفيدوا من خبراتها. . .
فقديماً قيل: «إذا أردت أن تكون عظيماً فاقرأ حياة العظماء».

لقد اختار مؤلف هذه السلسلة الجديدة، وهو المحلل العسكري الشهير والكاتب المبدع، أشهر قادة هذه الحرب، فكتب عن كل واحد منهم كتاباً، حلل فيه شخصية القائد موضوع البحث، وشرح المعارك التي خاضها، في إطار بحث شائق للظروف التي أحاطت بكل معركة من تلك المعارك وأدت إلى النصر أو الهزيمة.

الناشر

